

**الإهداء**

**إلى أئمتنا علماء التفسير وعلوم القرآن...**

**الذين يسروا لنا هذا العلم...**

**وإلى كل من اتخذ القرآنَ دستور حياة...**

**وإلى طلبة العلم وعشاق القرآن...**

**الشكر والتقدير**

**أشكر والديَّ اللذين كان لهما الدور الأكبر في إيصالي لهذه الدرجة...**

**وأشكر زوجتي التي صبرت وأعطت الكثير...**

**وأشكر أساتذتي في كلية الشريعة وفي قسم التفسير الذين تربينا على أيديهم...**

**وأشكر مشرفي العزيز الدكتور سليمان الدقور الذي تابعني في هذه الرسالة من أولها إلى آخرها ولم يبخل عليّ بوقته وعلمه...**

**وأشكر أساتذتي المناقشين الذين تكرموا عليّ بمناقشة هذه الرسالة...**

**قائمة المحتويات**

| **الموضوع** | **الصفحة** |
| --- | --- |
| قرارُ لجنةِ المناقشةِ | **ب** |
| الإهداء | **ج** |
| شكر وتقدير | **د** |
| فهرس المحتويات | **هـ** |
| الملخص باللغة العربية | **ح** |
| المقدمة | **1** |
| توطئة: في المفردة القرآنية والوحدة الموضوعية للسورة | **9** |
| تمهيد: في خصائص جزء عمَّ | **12** |
| الفصل الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الأول للحزب التاسع والخمسين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة. | **17** |
| المبحث الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة النبأ وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **17** |
| المبحث الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة النازعات وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **34** |
| المبحث الثالث: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة عبس وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **56** |
| المبحث الرابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة التكوير وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **67** |
| الفصل الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الثاني للحزب التاسع والخمسين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة. | **84** |
| المبحث الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة المطففين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **84** |
| المبحث الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الطارق وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **103** |
| الفصل الثالث: الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الأول للحزب الستين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة. | **115** |
| المبحث الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الغاشية وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **115** |
| المبحث الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الفجر وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **126** |
| المبحث الثالث: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة البلد وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **139** |
| المبحث الرابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الشمس وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **151** |
| المبحث الخامس: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الضحى وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **162** |
| الفصل الرابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الثاني للحزب الستين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة. | **169** |
| المبحث الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة التين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **169** |
| المبحث الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة العلق وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **180** |
| المبحث الثالث: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة العاديات وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **192** |
| المبحث الرابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الفيل وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **210** |
| المبحث الخامس: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة قريش وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **221** |
| المبحث السادس: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الكوثر وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **232** |
| المبحث السابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة المسد وعلاقتها  بالوحدة الموضوعية للسورة | **240** |
| المبحث الثامن: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الإخلاص وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **248** |
| المبحث التاسع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الفلق وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة | **260** |
| الخاتمة | **270** |
| قائمة المراجع | **274** |
| الملخص باللغة الإنجليزية | **283** |

**الانفرادات اللفظية دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسور القرآنية،**

**دراسة تطبيقية في سور الجزء الثلاثين**

**إعداد**

**مصطفى حمدو عبدالحميد عليان**

**المشرف**

**الدكتور سليمان الدقور**

**الملخص**

تتناول هذه الأطروحة دراسة العلاقة بين الوحدة الموضوعية في سور الجزءالثلاثين من القرآن وما انفردت به من انفرادات لفظية، حيث قمت بدراسة موضوع كل سورة ومقاصدها ومميزاتها وترابطها المعنوي، وبعدها قمت بدراسة دلالات الانفرادات اللفظية المعجمية والصرفية والصوتية والبلاغية، ثم عملت على إيجاد العلاقات بين هذه الإنفردات اللفظية و موضوعها ومقصودها وجوها والعلاقة بين عنوان السورة والمفردات والعلاقة بين المفردات بعضها ببعض.

وقد قسمت أطروحتي هذه إلى توطئة في المفردة القرآنية والوحدة الموضوعية للسورة. ثم تمهيد في خصائص جزء عمَّ. ثم الجانب التطبيقي على السور القرآنية في جزء عمَّ حيث جاء في أربعة فصول وعشرين مبحثاً، كل نصف حزب في فصل.

وقد بلغ عدد السور التي بحثتها عشرين سورة، وعدد الفرائد اللفظية إحدى وستون فريدة.

وفي الخاتمة: ذكرتُ أبرز النتائج ومنها:

إنَّ سورَ الجزء الثلاثين بينها اشتراك كبير في المقاصد والأساليب والموضوعات.

في كل سورة من هذه السور العشرين انفرادات لفظية تتناسب مع محور السورة وجوها ومقصودها، وتتناسب مع عنوان السورة، ومفردات القرآن تتناسق مع مقاصد السورة ومعانيها.

يساعد دراسة دلالات الانفرادات اللفظية على استجلاء الوحدة الموضوعية للسورة. فالانفرادات اللفظية ترسم للسورة ملامح عامة تخبر عن مضمونها باختصار وتضفي على شخصيتها لوناً خاصاً لا يُرى في سور أخرى.

**المقدمة**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن تفسير القرآن الكريم من أعظم العلوم وأشرفها، لأن شرف العلم من شرف المعلوم، والمعلوم هو كلام الله تعالى، وفضل كلامه على سائر الكلام كفضله على سائر خلقه.

وقد تعددت مدارس التفسير وألوانه واتجاهاته، ومن ألوانه: التفسير الموضوعي للسورة، ومن التفسير الموضوعي البحث في الوحدة الموضوعية للسورة واستجلاء مقاصدها.

والوحدة الموضوعية للسور القرآنية أمر شائق شائك، تناولها بعض المفسرين من خلال تفاسيرهم ودراساتهم، وإن مما يلاحظ في السور القرآنية وجود مفردات تفردت فيها بعض السور، ولها علاقة بموضوع السورة ومحورها. وإن دراسة هذه الانفرادات اللفظية تعين على كشف الوحدة الموضوعية للسورة، فالمفردات اللفظية في السورة لبناتٌ يشدُ بعضها بعضاً وإضاءات تسلط الضوء على الوحدة الموضوعية للسورة. وإن من أسرار إعجاز القرآن وبنائه اختيار اللفظة المناسبة، فاللفظة القرآنية تقوم على الدقة والانتقائية، فكل مفردة في القرآن مختارة لتؤدي وظيفتها بدقة متناهية.

ولذلك قمت مع مجموعة من زملائي في شعبة التفسير في الجامعة الأردنية – وبإشراف أساتذتنا الكرام – بدراسة هذه الانفرادات اللفظية التي لم تتكرر هي أو جذرها في القرآن، ودراسة دلالاتها المتنوعة ثم استنباط العلاقة بينها وبين الوحدة الموضوعية للسورة وعنوان السورة وعلاقة المفردات بعضها ببعض، كل ذلك لمعرفة الأسباب التي اختصت بها سورة بانفرادات لفظية ما.

سيحاول الباحث في هذه الدراسة تبيين الدلالات المختلفة للكلمات القرآنية التي انفردت بها السور القرآنية في الجزء الثلاثين، محاولاً إبراز أهم خصائص هذه الألفاظ البيانية واللغوية وما تحمله من صور وتناسق يؤثر في النفس البشرية ويحقق الهداية القرآنية. ويبين تناسق هذا اللفظ مع النسيج القرآني للسورة الواحدة، وتحقيقه التكامل البنائي في الوحدة القرآنية.

وسيقوم الباحث في هذه الدراسة ببيان وجوه متعددة لدلالة اللفظة القرآنية، مظهراً بعض أوجه الإعجاز القرآني في تلك الكلمات، ومبرزاً جمالية تلك الألفاظ ودقة التعبير القرآني فيها.

**مشكلة الدراسة:**

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

1. ما الوحدة الموضوعية لسور الجزء الثلاثين؟ ما موضوعاتها ومقاصدها ومميزات كل سورة؟
2. ما الألفاظ التي انفردت في سور الجزء الثلاثين، وما دلالتها؟
3. ما علاقة الألفاظ التي انفردت في كل سورة بموضوعها ومحورها؟
4. ما علاقة المفردات اللفظية للسورة بعضها ببعض وبعنوان السورة؟

**أهمية الدراسة:**

1. حاجة الدراسات الدّلالية والدراسات الموضوعية إلى البحث عن دلالة الانفرادات اللفظية مع ربطها بالسورة التي وردت فيها.
2. حاجة الدراسات التحليلية في التفسير إلى تحليل الانفرادات اللفظية ضمن سورها وبيان ارتباطها بها.
3. حاجة الأبحاث التفسيرية إلى المشاريع البحثية.

**أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1. استقراء الألفاظ التي انفردت بها كل سورة في جزء عمَّ، ولم أعتمد على كتاب معجم الفرائد القرآنية وحسب بل أضفت عليه بعض المفردات واستدركت عليه بمفردة ذكرها مع أنه قد تكرر جذرها في القرآن.
2. دراسة دلالات الألفاظ المعجمية والاشتقاقية والبلاغية والصوتية (الجرس اللفظي) وأثرها في محور السورة وموضوعها.
3. استنتاج علاقة الألفاظ التي انفردت بها كل سورة بموضوعها وعنوانها وعلاقتها ببعضها.
4. تحليل الدور الذي تؤديه هذه الألفاظ في بناء مقاصد السورة الواردة فيها.

**الدراسات السابقة:**

* + تقدمت شعبة التفسير في قسم أصول الدين بمشروع عنوانه: (الانفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية-دراسة تطبيقية). واشترك فيه سبعة طلاب كان نصيبي دراسة جزء عمَّ.
  + وقد أظهر المشروع عدم وجود دراسات سابقة متخصصة –وشاملة للقرآن- تهدف إلى ما يهدف إليه المشروع.

وقد وُجِدت دراستان لأستاذنا الدكتور جهاد النصيرات حول علاقة الانفرادات اللفظية بالوحدة الموضوعية لسورة الأحزاب ولسورة يوسف.

وأما موسوعة الشارقة في التفسير الموضوعي بإشراف الدكتور مصطفى مسلم فهي موسوعة ضمَّت جهوداً مباركة ولكنها لا تتناول هذا الجانب ولا تتطرق إليه، هذا عدا عن بعض السلبيات التي تلاحظ فيها ومنها:

1.عدم وجود منهجية موحدة سار عليها الباحثون.

2.التوسع في مقدمات السورة كفضائلها ووقت نزولها. 3.التكرار في التقسيم غير المفيد فمثلاً يذكر بعض الباحثين في كل سورة: مناسبة السورة للمحور، مناسبة الفاتحة للخاتمة، مناسبة المقاطع لبعضها، مناسبة المقاطع للمحور، مناسبة فاتحة السورة بخاتمة السورة السابقة، مناسبة خاتمة السورة لخاتمة السورة اللاحقة... والكلام فيها متداخل ومكرر.

وأما كتاب معجم الفرائد القرآنية للأستاذ باسم البسومي[[1]](#footnote-1) فهو أول كتاب في استقصاء المفردات التي لم تتكرر (جذراً واشتقاقاً) ولكنه لا يدرس علاقة هذه الفرائد مع الوحدة الموضوعية للسورة، وقد استدركت عليه بعض المفردات إذ أضفت ثلاث مفردات وحذفت من عنده مفردة كان قد تكرر جذرها في سور أخرى.

**منهج الدراسة:**

تعتمد هذه الدراسة على ثلاثة مناهج:

الأول: المنهج الاستقرائي: حيث سيقوم الباحث باستقراء تلك الألفاظ التي انفردت بها كل سورة من السور آنفة الذكر، واستقراء ما قيل عنها من دلالات ومعانٍ، واستقراء ما قال أهل التفسير عن السورة وموضوعها.

الثاني: المنهج التحليلي؛ حيث سيقوم الباحث بمعالجة تلك المعلومات التي استقرأها، ونقدها علميًّا، وتدقيقها وتحليل معطياتها للوصول إلى ما يهدف إليه من خلال هذه الدراسة.

الثالث: المنهج ألاستنتاجي: حيث سيقوم الباحث باستنتاج علاقة المفردات التي انفردت في السور قيد الدراسة بالوحدة الموضوعية للسورة.

ومنهجيتي في بحث كل سورة هو التقديم لها بذكر مقدماتها؛ لأنَّ ذلك يساعد على فهم موضوعها وجوها، ثم درست الوحدة الموضوعية لها من خلال تحديد موضوعها ومقاصدها ومميزاتها وترابطها المعنوي ولم أكن اعتمد على التفاسير في تقطيع المقاطع ولكن كنت أجتهد فيها بحسب ما أراه من موضوعات مترابطة داخل السورة، كما كنت أعمل على استخلاص محور بعض السورة من خلال المفردات.

ثم درستُ الانفرادات اللفظية ولا بد في بحث المفردات من الإجابة عن الأسئلة التالية:

* + ما جذر الكلمة؟ وما أقوال أهل اللغة والمعاجم فيها؟
  + ما هي أقوال أهل التفسير في المفردة؟ وهل الخلاف فيها حقيقي؟ وهل في الكلمة قراءات أخرى؟
  + لماذا جاءت المفردة على هذا الوزن؟ وما دلالة مجيئها اسماً أو فعلاً؟ وما دلالة مجيئها معرفة أو منكرة؟ وما دلالة تقديمها وتأخيرها؟
  + ما الأساليب البلاغية المتعلقة بالمفردة؟
  + ما الدلالة الصوتية للمفردة؟ وما مناسبتها لجو السورة؟

ثم استنباط العلاقة بين هذه المفردات ومحور السورة وموضوعها وعنوانها وعلاقة المفردات بعضها ببعض.

**خطة الدراسة:**

قُسِّمت هذه الدراسة على النحو التالي:

* المقدمة.
* توطئة: في المفردة القرآنية والوحدة الموضوعية للسورة.
* تمهيد: في خصائص جزء عمَّ.
* الجانب التطبيقي على السور القرآنية في جزء عمَّ،وفيه أربعة فصول:

**الفصل الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الأول للحزب التاسع والخمسين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة.**

**المبحث الأول**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة النبأ وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الثاني:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة النازعات وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الثالث**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة عبس وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الرابع**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة التكوير وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**الفصل الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الثاني للحزب التاسع والخمسين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة.**

**المبحث الأول**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة المطففين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الثاني:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الطارق وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**الفصل الثالث: الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الأول للحزب الستين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة.**

**المبحث الأول**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الغاشية وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الثاني:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الفجر وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الثالث**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة البلد وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الرابع**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الشمس وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الخامس:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الضحى وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**الفصل الرابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الثاني للحزب الستين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة.**

**المبحث الأول**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة التين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الثاني:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة العلق وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الثالث**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة العاديات وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الرابع**: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الفيل وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الخامس:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة قريش وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث السادس:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الكوثر وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث السابع:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة المسد وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث الثامن:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الإخلاص وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**المبحث السابع:** الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الفلق وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة؛

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة.

المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.

المطلب الثالث: العلاقة بين هذه الألفاظ وجو السورة وموضوعها.

**الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.**

**واللهَ أسأل أن يعينني على إتمامها على أحسن حال، وأن يجنبني الزلل في كل مقال، وأن ينفعني وطلبة العلم بها، إنه خير مسؤول ومنه أرجو القبول.**

**توطئة**

**في المفردة القرآنية والوحدة الموضوعية للسورة**

إن للإعجاز القرآني أوجهاً متعددة لا يمكن حصرها والإحاطة بها، والإعجاز يشمل كلمات القرآن ومفرداته وتراكيبه ويشمل سوره وموضوعاته، وإن كل سورة -بمفردها- معجزة متحدى بها، وهذا يقتضي دراسة كل سورة بما تحتويه من موضوعات ومقاصد ومفردات لاستكشاف وحدتها الموضوعية ودلالات مفرداتها وأساليبها وعلاقتها بموضوعاتها، يشير الإمام السيوطي في كتاب الإتقان إلى ذلك فيقول:" قاعدة قال بعض المتأخرين الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاجه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر في مراتب تلك المقدمات قرباً وبعداً من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، وبهذا يتبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة"[[2]](#footnote-2).

وقال البقاعي في علم المناسبة في السور والآيات -وهو علم له علاقة قوية بالتفسير الموضوعي-: "يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين:أحدهما: كل جملة على حيالها، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب"[[3]](#footnote-3).

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز:"... وعلى الباحث أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها، على وجه يكون معواناً له على السير في تلك التفاصيل"[[4]](#footnote-4).

وهذا ما يسميه المعاصرون بالتفسير الموضوعي[[5]](#footnote-5)، وقد قسموه إلى ثلاثة أقسام هي:

1. التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

2. التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

3. التفسير الموضوعي للسورة القرآنية[[6]](#footnote-6).

والبحث في دلالات الانفرادات اللفظية التي لم تتكرر بجذورها واشتقاقاتها هو بحث مبتكر حديث لم يبحث فيه الأقدمون، وهو يخدم البحث الموضوعي للسورة يقول الخطابي في أهمية تناسق المفردات مع سياق السورة:" ثم اعلم أن عامود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعها الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"[[7]](#footnote-7).

وهذا يقتضي الانطلاق من المفردة نفسها لأن الخطأ في فهم المفردة سيؤدي إلى خلل في فهم الآية والسورة قال الفراهي: "لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام. وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع. وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سدّ جميع أبوابه، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن، أغلق عليه باب التدبر و أشكل عليه فهم الجملة، و خفي عنه نظم الآيات والسورة … ثم سوء فهم الكلمة ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم، فإن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضاً للزوم التوافق بينها"[[8]](#footnote-8).

وإيجاد المناسبة بين هذه الانفرادات للسورة والوحدة الموضوعية لها هو وجه من أوجه الإعجاز القرآني السامية التي تخفى على البعض وتتجلى لآخرين، قال الإمام الرازي:" علم المناسبات علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"[[9]](#footnote-9).

وإن البحث في دلالات الانفرادات اللفظية والوحدة الموضوعية يُعين على أمرين في البحث الموضوعي:

الأول: معرفة الموضوع الكلي للسورة والجو العام لها خلال معرفة السبب في اختصاص السورة بالمفردة.

الثاني: تحديد المعنى المراد للمفردة -المحتملة- من خلال السياق العام للسورة –كما سيأتي في بحثي لبعض السور-.

وهذا من فوائد البحث الموضوعي في القرآن قال د. صلاح الخالدي:" التفسير الموضوعي هو تفسير هذا العصر، وهو تفسير المستقبل أيضاً وله أهمية كبرى عند المسلمين وحاجتهم إليه ماسة. وهذا التفسير الموضوعي يحقق للمسلمين فوائد عديدة من حيث صلتهم بالقرآن الكريم، وتعرفهم على مبادئه وحقائقه ومن حيث تشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافاتهم، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم وتكوين مجتمعاتهم، ومن حيث حسن عرض القرآن والإسلام على الآخرين والوقوف أمام الأعداء والمخالفين"[[10]](#footnote-10).

ولذلك فإنني أرى أن هذا الفن – أعني المناسبة بين المفردات والوحدة الموضوعية- يعد لوناً رابعاً من ألوان التفسير الموضوعي وله أهميته في إظهار بعض أوجه الإعجاز القرآني حيث يظهر للباحث أن السورة القرآنية بأساليبها وألفاظها قطعة واحدة لا نشاز فيها وأنَّ كل مفردة تأخذ موقعها في رسم لوحة فسيفسائية جميلة.

**تمهيد**

**خصائص جزء عمَّ وسماته العامة**

قبل الدخول في دراسة جزء عمَّ لا بدَّ من إبراز خصائص هذا الجزء وسماته ومقاصده وموضوعاته، ويحسن بي أن أسألَ أسئلةً تساعد على تجلية هذه الخصائص والسمات العامة:

* كم عدد سور هذا الجزء؟ وما هي مرحلة نزولها بشكل عام؟
* ما موضوعات سور الجزء؟ و ما دلالة موقع هذا الجزء في آخر المصحف؟ هل لترتيب هذا الجزء في آخر المصحف علاقة بموضوعاته؟
* ما فضائل سور هذا الجزء؟
* بماذا تتميز أسماء السور في هذا الجزء عن غيرها من السور؟
* ما الأساليب البلاغية التي تكررت في الجزء؟
* ما مناسبة ختم الجزء بالمعوذتين؟ وهل بين المعوذتين- آخر القرآن- وفاتحة القرآن مناسبة؟
* ما الجرس الصوتي (الإيقاع الموسيقي) الغالب على الجزء؟ وما دلالة ذلك؟
* ما مقاصد هذا الجزء وأهدافه العامة؟
* ما هي الانفرادات اللفظية التي اختص بها الجزء؟ وكم عددها وما السمة البارزة فيها؟

**\* خصائص جزء عمَّ:**

- يحتوي على أكبر عدد من السورة مقارنة مع غيره من الأجزاء، بسبب قصر السور. وعدد سوره سبع وثلاثون سورة كلها مكية ما عدا: النصر و البينة. وفي بعضها خلاف كالزلزلة والكوثر والمعوذتين.

- جلُّ سور هذا الجزء مكية ما عدا سورتين، وهذا يعني أن الجزء تنطبق عليه خصائص السور المكية غالباً. فالجزء من حيث إنه مكي فآياته قصيرة وكأنها صيحات وطرقات لأهل الشرك والضلال كي يستيقظوا وينتبهوا إلى أهمية هذا الدين. قال سيد قطب:" هذا الجزء كله- ومنه هذه السورة- ذو طابع غالب.. سوره مكية فيما عدا سورتي «البينة» و «النصر» وكلها من قصار السور على تفاوت في القصر. والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة- على وجه التقريب- في موضوعها واتجاهها، وإيقاعها، وصورها وظلالها، وأسلوبها العام. إنها طرقات متوالية على الحس. طرقات عنيفة قوية عالية. وصيحات. صيحات بنوّم غارقين في النوم! "[[11]](#footnote-11).

- موضوعات الجزء هي بيان العقائد الإسلامية كتوحيد الله وإثبات أسمائه وصفاته واليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار والدفاع عن مقام النبوة وعن القرآن وتوجيه الإنسان إلى الاستعاذة بالله وحده واللجوء إليه، والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة. قال سيد قطب:" وفي الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للإنسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان. وعلى مشاهد هذا الكون وآياته في كتابه المفتوح. وعلى مشاهد القيامة العنيفة الطامة الصاخة القارعة الغاشية. ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب في صور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها... واتخاذها جميعا دلائل على الخلق والتدبير والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة..."[[12]](#footnote-12)

- فضائل السور: معرفة فضائل السورة مهمة في معرفة ثِقَلها الموضوعي، و فضائل سور هذا الجزء كثيرة منها:

- فضل سورة التكوير والانشقاق والانفطار: عن ابن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت، وأحسب أنه قال: سورة هود "[[13]](#footnote-13)

- فضل سورة الإخلاص والكافرون والزلزلة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ إِذَا زُلْزِلَتْ عُدِلَتْ لَهُ بِنِصْفِ القُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ عُدِلَتْ لَهُ بِرُبُعِ القُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عُدِلَتْ لَهُ بِثُلُثِ القُرْآنِ»[[14]](#footnote-14)

- فضل سورة الإخلاص: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَلْزَمُ قِرَاءَةَ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فِي الصَّلَاةِ مَعَ كُلِّ سُورَةٍ، وَهُوَ يَؤُمُّ بِأَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، قَالَ: " حُبُّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ "[[15]](#footnote-15).

- فضل المعوذتين: عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ألم تر آيات أنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط؟ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"[[16]](#footnote-16).

- أسماء السور: تمتاز أسماء سور هذا الجزء في أغلبها بأنها لا تتعلق بقصص الأنبياء ولا بفروع الدين ولكن تتعلق بأصول الدين وخاصة اليوم الآخر والحشر والحساب.

- الأساليب البلاغية وكثرة المحسنات البديعية: يكثر في هذا الجزء أساليب عديدة منها:

1. أسلوب القسم لتأكيد المعاني وتفخيمها.

2. الاستفهام غير الحقيقي والمقصود منه التعجب أو الإنكار أو التقرير.

3. السجع الرصين غير المتكلف، وموافقة رؤوس الآي.

4. الطباق والمقابلة في الألفاظ والمعاني، وكثرة التشبيهات والاستعارات.

5. براعة الاستهلال[[17]](#footnote-17) وحسن الاختتام ورد المقطع على المطلع[[18]](#footnote-18).

- الجرس الصوتي (الإيقاع الموسيقي) للجزء: يغلب على الجزء الإيقاعات الصوتية القوية والسريعة ويغلب على الجزء ظاهرة الأناقة والايقاع الموسيقي فهناك أناقة واضحة في التعبير، مع اللمسات المقصودة لمواطن الجمال في الوجود والنفوس، وافتنان مبدع في الصور والظلال والإيقاع الموسيقي والقوافي والفواصل، تتناسق كلها مع طبيعته في خطاب الغافلين النائمين السادرين، لإيقاظهم واجتذاب حسهم وحواسهم بشتى الألوان وشتى الإيقاعات وشتى المؤثرات.

- تتناسب موضوعات هذا الجزء مع موقعه في آخر المصحف فهي كأنها خلاصة الأجزاء معروضة في رسائل سريعة وقوية، كما أن سورة النصر مؤذنة بانتهاء عصر النبوة ودخول الناس إلى الدين أفواجا، واختتام المصحف بالمعوذتين توجيه للالتجاء إلى الله والاستعاذة به دوماً، والإكثار من ذكر الآيات الربانية في السموات والأرض إشارة إلى أنك أيها المسلم إن انتهيت من قراءة المصحف المكتوب فانظر إلى المصحف الكوني المشاهد في الكون. فالجزء من حيث إنه آخر المصحف -وترتيب المصحف توقيفي- وكأنه يذكر برسائل مهمة وسريعة ويعطي خلاصة القرآن ويفتح الطريق للنفس للانطلاق في النظر في الكون.

- مقاصد الجزء كثيرة يمكنني إجمالها في الآتي:

1. إثبات أركان الإيمان كتوحيد الله وإثبات صفاته والدفاع عن كتبه وملائكته ورسله، وإثبات اليوم الآخر والبعث والجنة والنار.
2. إقامة الأدلة والبراهين الكونية على قدرة الله في الخلق والإبداع وإيجاد مختلف عجائب الكون.
3. التخويف والتهديد للكافرين والمستكبرين بذكر مصرع الأقوام السابقة وذكر أهوال القيامة والنار.
4. الترغيب للمؤمنين والطائعين بذكر ما أعده الله لهم في الآخرة وتبشيرهم بالنصر والفتح.
5. تربية المؤمنين وتزكيتهم بذكر الأخلاق الفاضلة وثوابها.
6. تثبيت النبي - صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين و بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم.
7. في الجزء إرشاد إلى أنواع التوحيد: الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

- تناسب هذا الجزء مع الجزء الذي سبقه: يتشابه الجزءان بالتركيز على الحقائق الكبرى كالبعث والحساب وصدق النبي والقرآن والنظر في الكون، وتوجيه الأنظار إلى مظاهر الطبيعة للاستدل على ربوبية الله وملكه لكل شيء.

- مناسبةُ ختمِ القرآن بالمعوذتين: قال ابن جزي:" فإن قلت: لِمَ ختم القرآن بالمعوذتين، وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه، الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: لمَّا كان القرأنُ من أعظم نِعم الله على عباده، والنعمة مظنة الحسد، ختم بما يُطفىء الحسد، من الاستعاذة بالله. الثاني: يَظهر لي أنَّ المعوذتين ختم بهما لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما: " أنزلت علي آيات لم يُر مثلهن قط[[19]](#footnote-19)" كما قال في فاتحة الكتاب: " لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها[[20]](#footnote-20) " فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم يرَ مثلهما، للجمع بين حسن الافتتاح والاختتام. ألا ترى أن الخُطب والرسائل والقصائد، وغير ذلك من أنواع الكلام، يُنظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

والوجه الثالث: أنه لمّا أمر القارىء أن يفتح قراءته بالتعوُّذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، فيكون القارىء محفوظاً بحفظ الله، الذي استعاذ به مِن أول أمره إلى آخره"[[21]](#footnote-21).

- مناسبة آخر المصحف بأوله: جاء في أضواء البيان: " فيكون في خاتمة المصحف الشريف انتزاع الإقرار من العبد لله سبحانه بطريق الإلزام، بالمعنى الذي أرسل الله به رسله، وأنزل من أجله كتبه، وهو أن يعبد الله وحده، وهو ما صرح الشيخ[[22]](#footnote-22) به في الإحالة السابقة. وإذا كان الشيخ رحمه الله، قد نبه على مراعاة خاتمة المصحف، فإنا لو رجعنا إلى أول المصحف وآخره لوجدنا ربطاً بديعاً، إذ تلك الصفات الثلاث في سورة الناس موجودة في سورة الفاتحة، فاتفقت الخاتمة مع الفاتحة في هذا المعنى العظيم، إذ في الفاتحة الحمد لله رب العالمين، وملك يوم الدين، فجاءت صفة الربوبية والملك والألوهية في لفظ الجلالة.

وتكون الخاتمة الشريفة من باب عود على بدء، وأن القرآن كله فيما بين ذلك شرح وبيان لتقدير هذا المعنى الكبير..."[[23]](#footnote-23)

- الانفرادات اللفظية في الجزء: هذا الجزء اختص بأكبر عدد من الانفرادات اللفظية حيث بلغت بالتحديد إحدى وستون فريدة، وفي ذلك إشارة إلى تفردِّ مشاهده ومعانيه ودلالاته كما سأبحث في أطروحتي هذه.

**الفصل الأول**

**الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الأول للحزب التاسع والخمسين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة**

**المبحث الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة النبأ وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

تسمى سورة عم وسورة النبأ لافتتاحها بقول الله تبارك وتعالى: [ﭑ ﭒ ﭓ ] {النبأ:1}

وذكر السيوطي في الإتقان أربعة أسماء: عمَّ، والنبأ، والتساؤل، والمعصرات[[24]](#footnote-24).

وعد آيها أصحاب العدد من أهل المدينة والشام والكوفة أربعين. وعدها أهل مكة وأهل البصرة إحدى وأربعين آية[[25]](#footnote-25).

**ثانياً: وقت نزولها:**

وهي مكية بالاتفاق[[26]](#footnote-26).

وعدت السورة الثمانون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المعارج وقبل سورة النازعات[[27]](#footnote-27).

**ثالثاً: فضلها:**

أخرج الترمذي بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "شيبتني (هود) و(الواقعة) و(المرسلات) و(عم يتساءلون) و(إذا الشمس كورت)"[[28]](#footnote-28).

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها وهي المرسلات من وجهين-فيما يبدو-[[29]](#footnote-29):

1. تشابه السورتين في الكلام عن البعث وإثباته بالدليل، وبيان قدرة الله عليه، وتوبيخ الكفار المكذبين به.
2. اشتراك السورتين في وصف الجنة والنار، ونعيم المتقين وعذاب الكافرين، ووصف يوم القيامة وأهواله.

أما مناسبتها لما بعدها: فكلتا السورتين تتحدث عن القيامة وأحوالها، وعن مآل المتقين، ومرجع المجرمين.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة**

**أولاً: موضوعها**[[30]](#footnote-30)**:**

سورة عم مكية وتسمى سورة النبأ لأن فيها الخبر الهام عن القيامة والبعث والنشور، ومحور السورة يدور حول إثبات عقيدة البعث التى طالما انكرها المشركون، وكذبوا بوقوعها، وزعموا أن لا بعث، ولا جزاء ولا حساب !

والنبأ العظيم هو الخبر العظيم و قد اختلف المفسرون في المقصود به هنا على عدة أقوال[[31]](#footnote-31) جمع بينها الامام ابن عاشور فقال: "والتعريف في النبأ تعريف الجنس فيشمل كل نبأ عظيم أنبأهم الرسول صلى الله عليه وسلم به، وأول ذلك إنباؤه بأن القرآن كلام الله، وما تضمنه القرآن من إبطال الشرك، ومن إثبات بعث الناس يوم القيامة، فما يروى عن بعض السلف من تعيين نبأ خاص يحمل على التمثيل"[[32]](#footnote-32).

ابتدأت السّورة الكريمة بالإخبار عن موضوع القيامة، والبعث والجزاء، هذا الموضوع الذي شغل أذهان الكثيرين من كفار مكة، حتى صاروا فيه ما بين مصدق ومكذب. ثم أقامت الدلائل والبراهين على قدرة رب العالمين، فإن الذي يقدر على خلق العجائب والبدائع، لا يعجزه إعادة خلق الإنسان بعد فنائه.

وختمت السورة الكريمة بالحديث عن هول يوم القيامة، حيث يتمنى الكافر أن يكون ترابا فلا يحشر ولا يحاسب.

وآياتها منسجمة متوازنة مما يسوغ القول إنها نزلت دفعة واحدة، فقد افتتحت بالاستفهام عن تساؤل المشركين عن النبأ ثم مضت السورة بالإجابة عليهم.

**ثانياً: مقاصدها وأغراضها:**

يمكن استخلاص مقاصد السورة على شكل نقاط وهي[[33]](#footnote-33):

* الإنكار على المشركين في خوضهم في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم كالبعث والحساب، وتهديدهم على استهزائهم.
* إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله.
* إثبات أن الله قادر على كل شيء وأنَّ كل ما في الكون يجري بقدرته تعالى وحكمته.
* بيان لطف الله تعالى بالإنسان في الدنيا حيث سخَّرَ له المخلوقات.
* الترهيب من الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين والترغيب بما في الجنة من نعيم المؤمنين.
* الإنذار بيوم الحشر للذين جحدوا به والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث.
* إظهار جبروت الله وعظمته إذ لا يتكلم في حضرته أحد إلا بإذنه.
* تقرير أن علم الله تعالى محيط بكل شيء ومن جملة الأشياء أعمال الناس وأنها مكتوبة وسيحاسبون عليها.
* بيان الحسرة والندامة التي تصيبُ الكافر يوم القيامة في مشهد تهديدي تخويفي.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

* براعة الاستهلال حيث افتتحت بسؤال موح مثير للاستهوال والاستعظام وتضخيم الحقيقة التي يختلفون عليها، وهي أمر عظيم لا خفاء فيه، ولا شبهة؛ ويعقب على هذا بتهديدهم.
* حشدت السورة مجموعة من الحقائق والمشاهد والصور والإيقاعات يعود بهم إلى ذلك النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون.
* تكرار الردع والتهديد [ﭝ ﭞ ﭟ ] {النبأ:4}[ﭡ ﭢ ﭣ ] {النبأ:5} وكلمة كلا ردع لهم وزجر، ثم كرر الردع والزجر بالجملة الثانية، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، "قال أهل المعاني: تكرير الردع مع الوعيد دليل على غاية التهديد. وفي ثم إشارة إلى أن الوعيد الثاني أبلغ من الأول"[[34]](#footnote-34).
* ظهور أسلوب التوكيد بــ (إنّ) في آيات عديدة، وذلك لتوكيد المعاني وتقرير اليقين المناسب لإزالة الشكوك والظنون في البعث والقرآن.
* تكرر في السورة ذكر ظواهر كونية علمية متتابعة قلما تُذكر في سورة أخرى، وقد ذكر لهم من مظاهر قدرته أموراً تسعة يشاهدونها بأعينهم لا يخفى عليهم شيء.
* تعدد الإيقاعات الصوتية متناسبةً مع المشاهد: فمشهد العذاب قوي عنيف ومشهد النعيم لطيف قال سيد قطب:" ثم مشهد العذاب بكل قوته وعنفه: [ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ] {النبأ:21}، ومشهد النعيم كذلك وهو يتدفق تدفقا: [ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ] {النبأ:31}. وتختم السورة بإيقاع جليل في حقيقته وفي المشهد الذي يعرض فيه. وبإنذار وتذكير قبل أن يجيء اليوم الذي يكون فيه هذا المشهد الجليل..."[[35]](#footnote-35) وقال:" هذا الحشد الهائل من الصور والمشاهد، تذكر في حيز ضيق مكتنز من الألفاظ والعبارات، مما يجعل إيقاعها في الحس حادا ثقيلا نفاذا، كأنه المطارق المتوالية، بلا فتور ولا انقطاع!"[[36]](#footnote-36).
* تعدد فاصلة الآيات لتناسب معنى المقطع ففي أول السورة كانت الفاصلة ( الواو والنون) مناسبة لجو حكاية الأحاديث، أما الآيات التي تتبعها فإنها فاصلتها قد جاءت بالألف الممدودة وكأن فيها معنى البيان والجزم مناسبةً للحقائق التي تحملها الآيات.
* اختتام السورة بمشهد مخيف يظهر فيه الحسرة والندامة من الكافر إذ يتمنى أن يكون تراباً.
* تضمنت السورة الكريمة أساليب بلاغية نوجزها فيما يلي[[37]](#footnote-37):
* الإِطناب بتكرار الجملة للوعيد والتهديد [ﭝ ﭞ ﭟ ] {النبأ:4}[ﭡ ﭢ ﭣ ] {النبأ:5}
* الإِيجاز بحذف الفعل لدلالة المتقدم عليه [عن النبأ العظيم] (النبأ: 2) أي يتساءلون عن النبأ العظيم.
* التشبيه البليغ: [ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ] أصل الكلام جعلنا الأرض كالمهاد الذي يفترشه النائم، والجبال كالأوتاد التي تثبت الدعائم، فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغاً، ومثله (وَجَعَلْنَا اليل لِبَاساً) (النبأ: 10) أي كاللباس في الستر والخفاء.
* التشبيه البليغ:[ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ] أي كالأبواب في التشقق والانصداع، فحذفت الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغاً.
* السجع مثل {أَلْفَافاً، أَفْوَاجاً، أَبْوَاباً، مَآباً، أَحْقَاباً} وهو من المحسنات البديعية.
* مما يميز السورة اختصاصها بمفردات لفظية لم تتكرر –ولو بجذرها- في سور أخرى وهي: وهاجا، ثجاجا، دهاقا. وهذا له دلالاته، فلماذا اختصت هذه السورة بهذه المفردات؟ وما علاقة هذه المفردات بموضوع السورة ومحورها؟ هذا ما سأجيب عنه في بحثي بإذن الله تعالى.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

تتكون السورة من ثلاثة مقاطع متماسكة في وحدة موضوعية واحدة، وهي:

-المقطع الأول: [ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ](النبأ 1- 16)

ويبدأ المقطع باستفهام إنكاري عن تساؤل المشركين حول البعث –وهي عقيدة من العقائد التي أتى بها القرآن- وأتبع ذلك بالزجر والتهديد لهم عن هذا التشكيك في البعث والقرآن، ثم عرض لهم بعض الأدلة والبراهين الكونية الشاهدة على قدرة الله تعالى وحكمته، والمقصود من ذلك أن القادر على خلق هذه المخلوقات العجيبة قادر على بعث الأجساد بعد موتها وفي ذلك تصديق لحقائق القرآن.

-المقطع الثاني[[38]](#footnote-38) [ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ](النبأ: 17- 36)

في هذا المقطع حديث عن يوم القيامة وبيان لأهواله وبيان لما أعده الله للفريقين: فريق الكافرين وفريق المتقين، وهو متمم للمقطع الأول ولا ينفصل عنه لأنه حديث عن البعث والقيامة والحساب والجنة والنار بأسلوبي الترغيب والترهيب. قال المراغي:" بعد أن نبه عباده إلى هذه الظواهر الباهرة، ولفت أنظارهم إلى آياته القاهرة، أخذ يبين ما اختلفوا فيه ونازعوا فى إمكان حصوله وهو يوم الفصل، ويذكر لهم بعض ما يكون فيه تخويفا لهم من الاستمرار على التكذيب بعد ما وضحت الأدلة واستبان الحق، ثم أبان لهم أن هذا يوم شأنه عظيم وأمر الكائنات فيه على غير ما تعهدون، ثم ذكر منزلة المكذبين..."[[39]](#footnote-39).

-المقطع الثالث[[40]](#footnote-40): [ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ] (النبأ: 37- 40)

بعد أن وصف الله تعالى وعيد الكفار ووعد المتقين، ختم الكلام بالإخبار عن عظمته وجلاله وشمول رحمته وعلى التخصيص يوم القيامة، وأردفه ببيان أن هذا اليوم حق لا ريب فيه، وأن الناس فيه فريقان: فريق بعيد من الله، ومصيره إلى النار، وفريق قريب من الله، وتكريمه وثوابه، ومرجعه إلى الجنة، ثم عاد إلى تهديد الكفار المعاندين وتحذيرهم من عاقبة عنادهم وكفرهم[[41]](#footnote-41). فالمقطع الختامي عرض ليوم الحساب ولقيام الخلائق أجمعين لرب العالمين، وفي ذلك مزيد بيان عما يتساءل عنه الكافرون بأسلوب تهديدي تخويفي.

قال الشيخ سعيد حوى في الأساس في التفسير:" الفقرة الأولى في السورة تتحدث عن مظاهر قدرة الله عز وجل لتقيم عليهم الحجة، أن البعث الذي سيرون فيه صدق القرآن كائن، ثم تأتي الفقرة الثانية لتحدثنا عن اليوم الذي سيعلمون فيه صدق القرآن ثم تأتي الخاتمة لتبين لهم أن هذا القرآن الذي أنزله الله عزوجل قد تم به الإنذار، فخاتمة السورة تشير إلى بدايتها.. "[[42]](#footnote-42).

وبذلك تكون المقاطع الثلاثة متسقة متماسكة ضمن وحدة واحدة تبدأ باستفهام عما يتساءل عنه الكافرون وتمضي السورة في الإجابة عليهم بأساليب عدة تبدأ باستفهام تقريري حول تلك المظاهر الكونية من خلقها؟ ومن سخرها لكم؟ ثم يتبع ذلك أسلوب ترهيبي يتحدث عن أهوال يوم القيامة وعن عذاب الكافرين في جهنم. ويتبع ذلك الحديث عن نعيم الجنة للمتقين بأسلوب ترغيبي. وقد ورد كل ذلك بأسلوب جازم يفيد اليقين لدفع تلك الظنون التي في صدورهم.

وختم السورة بالحديث عن قيام الخلائق لرب العالمين وبالإنذار بعذاب الله تعالى، وبذلك يُرد صدر السورة على مطلعها حيث افتتحت بالتساؤل عن البعث واختتمت بالإنذار بيوم القيامة والعذاب والقيام لرب العالمين.

**المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها:**

**المفردة الأولى: وهَّاجا:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الوهج حرُّ النار قال الخليل في العين:" الوهج: حر النار والشمس من بعيد. وقد توهجت النار "[[43]](#footnote-43).

وجاء في مقاييس اللغة:" الواو والهاء والجيم: كلمة واحدة، وهي الوهج: حر النار وتوقدها. ويستعار ذلك فيقال: توهج الجوهر: تلألأ. وتوهجت رائحة الطيب ووهج الطيب: أرجه ورائحته. وسراج وهاج: وقاد. وكذلك نجم وهاج"[[44]](#footnote-44). ووهجان الجمر: اضطرام توهجه[[45]](#footnote-45).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لم يختلف المفسرون في تفسيرهم للوهاج عن أهل اللغة ولكن تعددت أقوالهم، فقالوا: الوهاج هو المضيء أو الوقاد. وقيل: الوهّاج يجمع النّور والحرارة[[46]](#footnote-46). وقال عبد الله بن عمرو:" الشمس في السماء الرابعة، إلينا ظهرها، ولهيبها يضطرم علوا"[[47]](#footnote-47).

ورأى الرازي أن في كلام أهل اللغة اضطراباً في تفسير الوهاج فقال:" كلام أهل اللغة مضطرب في تفسير الوهاج، فمنهم من قال الوهج مجمع النور والحرارة، فبين الله تعالى أن الشمس بالغة إلى أقصى الغايات في هذين الوصفين، وهو المراد بكونها وهاجا "[[48]](#footnote-48). ولا أرى أن هناك اضطراباً في أقوالهم ولكنه تنوع في العبارة فقط.

وقد تطرق المفسرون المعاصرون إلى الجانب العلمي في خلق الشمس وأبدعوا في إضافة معانٍ علمية جديدة اكتشفها العلم الحديث، فتحدثوا عن فوائد الشمس للحياة والإنسان وحجمها وحركتها وحرارتها وموقعها بالنسبة للأرض، قد جعل الله الشمس في هيئة كرة ملتهبة هي عبارة عن فرن نووي هائل يتكون من الغازات الملتهبة، ولو ابتعدت الشمس عنا نصف تلك المسافة لقلت الطاقة الواصلة إلى الأرض ولتجمدت الكائنات الحية حتى إن الدماء لتتجمد في عروقنا، ولو اقتربت نصف المسافة بيننا وبينها لأحرقت الشمس كل شئ، ولكن الله يمسك الأرض والشمس على مسافات محكمة تجعل الحياة ممكنة ومزدهرة في هذا النظام البديع. فالشمس هي سراج، والسراج يحرق الزيت ويصدر الضوء والحرارة، والشمس تقوم بالعمل ذاته فهي تحرق الهيدروجين وتدمجُه (بشكل نووي)  لتصدر الضوء والحرارة أيضاً.  أما القمر فلا يقوم بأي عمل من هذا النوع بل هو كالمرآة التي تعكس الأشعة الشمسية الساقطة عليه فيردَّ جزءاً منها إلى الأرض بمراحل متعاقبة على مدار الشهر[[49]](#footnote-49).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

إن لكل مفردة في صيغتها دلالات تلقي بظلالها على جو السورة، فقد جاءت هذه المفردة مضعَّفةً للدلالة على المبالغة في شدة حرارتها ولمعانها كما بيّن علماء الطبيعة. كما جاءت هذه الآية معطوفة على الاستفهام السابق (ألم نجعل الأرض مهادا) وهو استفهام تقريري يقرر هذه الحقائق ويؤكدها كما أنه يحمل معنى التعجب من عقولهم وعدم استدلالهم بهذه المخلوقات العجيبة على قدرة الله وحكمته.

وفي ترتيب هذه الآية بعد ذكر السموات حكمة فذكر السماوات يناسبه ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضائها وذلك الشمس، ففي ذلك مع العبرة بخلقها عبرة في كونها على تلك الصفة ومنة على الناس باستفادتهم من نورها فوائد جمة[[50]](#footnote-50).

وفي هذه الآية تشبيه بليغ فقد شُبهت الشمس بالسراج الوهاج والغرض من التشبيه تقريب صفة المشبه إلى الأذهان. وزيد ذلك التقريب بوصف السراج بالوهاج، أي الشديد السنا[[51]](#footnote-51).

وقد بيَّن المشتغلون في التفسير العلمي للقرآن هذا التشبيه بصورة أوضح فبينوا أن الشمس تشبه السراج من حيث إن السراج يحرق الزيت والشمس تحرق الهيدروجين أما القمر فلا يوجد فيه ما يحرقه –كما مر آنفاً-. قال د. المحجري:" ومن العجيب حقا أننا لم نستوعب هذه الدقة الإلهية في التفرقة بين ضوء الشمس ونور القمر، فكان المفروض أن نفرق بين الضوء والنور ونسمى الآشعة التي تأتي من مصدر ضوئي مباشر بالضوء وتلك التي تأتي من مصدر ضوئي غير مباشر بالنور ولكنا خلطنا لغويا بين الضوء والنور"[[52]](#footnote-52).

وجاءت المفردة مقرونة بالفعل "جعلنا" دون "خلقنا" لأن كونها سراجاً وهاجاً حالة من أحوالها وإنما يعلق فعل الخلق بالذوات[[53]](#footnote-53). وأرى والله أعلم أنه جاء بالفعل " جعل" لما في هذا الفعل من إظهار مزيد تفضل وتمنن على الإنسان ونسب الجعل لله وحده إشارة إلى أنه لا يقدر على هذا الفعل إلا هو، وجاء بنون العظمة لما في هذا الفعل من قدرة عظيمة.

**المفردة الثانية: ثجاجا**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الثج شدة الانصباب جاء في العين:" الثج: شدة انصباب المطر والدم"[[54]](#footnote-54).

وقال ابن فارس:" الثاء والجيم أصل واحد، وهو صب الشيء. يقال ثج الماء إذا صبه، وماء ثجاج أي صباب"[[55]](#footnote-55).

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحج فقال: (هو العج والثج)[[56]](#footnote-56) قال الأزهري:" فأما العج فرفع الصوت بالتلبية، وأما الثج فإن أبا عبيد زعم أنه سيلان دماء الهدي"[[57]](#footnote-57).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

التفسير المجمل للآية [ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ(النبأ: 14) هو: أنزلنا من السحاب ماءً كثيراً متتابعاً فالمعصرات في أرجح الأقوال هي السحاب قال السمين الحلبي:"(من المعصرات): يجوز في «من» أن تكون على بابها من ابتداء الغاية، وأن تكون للسببية. ويدل قراءة عبد الله بن يزيد وعكرمة وقتادة «بالمعصرات» بالباء بدل «من»"[[58]](#footnote-58).

إلا أن أهل التفسير قد تعددت أقوالهم فيها على أقوال:

أحدها: أنها السموات، قاله أُبَيّ بن كعب، والحسن، وابن جبير[[59]](#footnote-59).

والثاني: أنها الرّياح، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة ومقاتل. فعلى هذا القول تكون «من» بمعنى «الباء»، وتقديره: بالمعصرات. وإنما قيل للرياح: معصرات، لأنها تستدرُّ المطر.

والثالث: أنها السحاب، وبه قال ابن عباس وأبو العالية. والضحاك، والربيع[[60]](#footnote-60).

وقوله جل وعلا: ( ماء ثجاجا) [[61]](#footnote-61) قال مجاهد: ( ثجاجا ): منصبا، وقال الثوري: متتابعا، وقال ابن زيد: كثيرا، وقال مقاتل: أي: مطراً كثيراً مُنْصبّاً يتبع بعضُه بعضاً[[62]](#footnote-62). قال ابن جرير:" ولايعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج، وإنما الثج الصب المتتابع"[[63]](#footnote-63).

وقد بينت الآية حكمة إنزال المطر من السحاب بأن الله جعله لإنبات النبات من الأرض جمعاً بين الامتنان والإيماء إلى دليل تقريب البعث ليحصل إقرارهم بالبعث وشكر الصانع. وفي الآية استدلالان: استدلال بإنزال الماء من السحاب، واستدلال بالإنبات[[64]](#footnote-64).

ويظهر في هذه الآية مظهر من مظاهر الإعجاز العلمي " فقد ظلّ العديد من العلماء حتى آواخر القرن السابع عشر الميلادي مقتنعين بفكرة الكهوف الكبيرة في داخل الأرض كمصدر رئيسي لماء الأنهار... ولم يستطع أحد من علماء الغرب ومفكريه تصور إمكانية أن تكون زخات المطر المتفرقة علي مدار السنة كافية لابقاء الأنهار وغيرها من مجاري الماء متدفقة به على مرور الزمن. على الرغم من أن فرنسيا باسم برنارد باليسي (1510 م -1590 م ) كان قد أعلن أن الأنهار والينابيع لايمكن أن يكون لها مصدر غير ماء المطر، وأشار إلى أن الماء تبخره حرارة الشمس، وتحمل الرياح الجافة التي تضرب الأرض هذا البخار فتتشكل السحب التي تتحرك في كل الاتجاهات كالبشائر التي يرسلها الله، وعندما تدفع الرياح تلك الأبخرة يسقط الماء فوق أجزاء من الأرض، وعندما يشاء الله تذوب تلك السحب التي ليست سوى كتلة من الماء، وتتحول إلى مطر يسقط على الأرض، وعندما يواصل هذ الماء نزوله من خلال شقوق الأرض ويستمر في النزول حتى يجد منطقة مغلفة بالصخور الكثيفة فيستقر عندها على هيئة مخزون فوق هذا القاع الذي يتدفق منه الماء عندما يجد فتحة توصله إلى سطح الأرض على هيئة ينابيع أو جداول أو أنهار.

وواضح أن باليسي هذا قد نقل هذا الكلام عن ترجمات معاني القرآن الكريم التي كانت قد توافرت للأوروبيين في زمانه، أو عن بعض كتابات المسلمين التي قام الأوروبيون بترجمتها في بدء عصر النهضة الأوروبية إلى كل من اللاتينية واليونانية بعد نهبها من المكتبات الإسلامية في كل من الأندلس وإيطاليا وصقلية، أو خلال الحروب الصليبية، وذلك لوضوح النبرة الإسلامية في كتابته"[[65]](#footnote-65).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

كما قلت سابقاً فإن صيغة المفردة تلقي بظلالها على جو السورة وتساعد في تشكيل شخصيتها، فقد جاءت هذه المفردة مضعَّفةً على وزن فعَّال والثجاج: المنصب بقوة، للدلالة على المبالغة في كثرة انصباب الماء وتتابعه لإظهار عظيم فضل الله على الإنسان.

كما جاءت هذه الآية معطوفة على الاستفهام السابق [ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ] {النبأ:6} وهو استفهام تقريري يقرر هذه الحقائق ويؤكدها كما أنه يحمل معنى التعجب من عقولهم وعدم استدلالهم بهذه المخلوقات العجيبة على قدرة الله وحكمته.

ومناسبة الانتقال من ذكر السماوات إلى ذكر السحاب والمطر قوية.

وفي الاستدلال بإنزال المطر وإنبات النبات مناسبة لحالة البعث قال ابن عاشور:"وتلك كلها فيها حياة قريبة من حياة الإنسان والحيوان وهي حياة النماء فيكون ذلك دليلا للناس على تصور حالة البعث بعد الموت بدليل من التقريب الدال على إمكانه حتى تضمحل من نفوس المكابرين شبه إحالة البعث"[[66]](#footnote-66).

وفي الإيقاع الصوتي للكلمة تصوير للمعنى إذ يتكرر حرف الجيم وهو حرف انفجاري يشير إلى تكرار سقوط زخات المطر وارتطامها بالأرض، أو يشير إلى حركة الإعصار التي تحدث في السحاب لاستنزال المطر، والله أعلم.

**المفردة الثالثة: دهاقا**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الدهاق المتتابع الممتلئ جاء في العين:"كأس دهاق: ملأى. وأدقتها: شددت ملأها. والدهدقة: دوران البضع الكثير في القدر إذا غلت، تراها تعلو مرة وتسفل أخرى"[[67]](#footnote-67).

وقال الأزهري في تهذيب اللغة:" دهق: قال الليث: الدهق: خشبتان يغمز بهما الساق. قال: وادهقت الحجارة ادهاقا؛ وهو شدة تلازمها، ودخول بعضها في بعض.. وقال غيره: أدهقت الكأس إلى أصبارها؛ أي: ملأتها إلى أعاليها"[[68]](#footnote-68).

وقد أبان ابن فارس عن معنىً دقيق في الدهاق أضفى إليه معنى الحركة والتجدد فقال:"الدال والهاء والقاف يدل على امتلاء في مجيء وذهاب واضطراب. يقال أدهقت الكأس: ملأتها"[[69]](#footnote-69).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

وللمفسرين في هذه المفردة ثلاثة أقوال[[70]](#footnote-70):

أحدها: أنها الملأى، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أنها المتتابعة. رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: أنها الصافية، قاله عكرمة.

وأقوى الأقوال الأول قال ابن جزي:" ( وَكَأْساً دِهاقاً ) أي: ملأى وقيل: صافية والأول أشهر"[[71]](#footnote-71).

وقال أبو حيان:" الدهاق: الملأى، مأخوذ من الدهق، وهو ضغط الشيء وشده باليد كأنه لامتلائه انضغط"[[72]](#footnote-72).

ولا يمتنع أن تكون هذه الصفات كلها موجودة فقد أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد (دهاقا): الملأى المتتابعة[[73]](#footnote-73).

وقد وجدت عند الفيروز أبادي معنىً لطيفاً لهذه لمفردة إذ جعلها من الأضداد[[74]](#footnote-74) فالدهاق هو الملءُ والإفراغ وهذا يعني أن كأس أهل الجنة يُمْلَأُ ويُفرغ بشكل متتابع وفي ذلك منتهى السعادة واللذة الحسية.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

من أسرار اختيار هذه المفردة في هذا الموضع أن هذا الموضع موضع امتنان على المؤمنين في الجنة، ولا يحسن الإتيان بمفردة تناسب هذا المعنى كما جاءت به هذه المفردة فهي من الأضداد- كما قال الفيروز آبادي سابقاً- فالدهاق هو الملْءُ والإفراغ وهذا يعني أن كأس أهل الجنة يملىءُ ويُفرغ بشكل متتابع وفي ذلك منتهى السعادة واللذة الحسية.

وهذه المفردة تعطي معنى التدفق والتجدد –كما أشار ابن فارس- فهذه الكأس شرابها ليس راكداً ولا منقطعاً، بل يستمر تعبأته مراراً وتكراراً، والإيقاع الصوتي للكلمة يوحي بذلك التدفق والتجدد.

وهذه معانٍ لا يمكن أن تأتي به مفردة أخرى كأن نقول: كأساً ملأى أو متتابعة أو معبَّأة. وليس لهذه المفردات إيقاع صوتي (موسيقي) كما لهذه المفردة.

ومن خصائص هذه الصيغة أنها جاءت بالمصدر الدال على المفعول فهي كأس مدهقة لا داهقة[[75]](#footnote-75) وهذا أبلغ في الدلالة على قوة الإدهاق والتتابع، وجاء المصدر منوناً للدلالة على التعظيم.

كما جاءت الجملة معطوفة على [ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ] {النبأ:31} وهي معطوفة على معنى التوكيد لتوكيد هذه الحقائق كما أكد حقائق جهنم، وتأخرت أسماء "إن" المنصوبة: مفازا، حدائق، كأساً...، تنويهاً بشأن المتقين، بخلاف وصف حال الطاغين في جهنم إذ قدَّمَ الاسم "جهنم" تفخيماً لشأنها وتحقيراً لشأنهم [ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ] {النبأ:21}.

ولذلك فإن هذه الآية [ﭛ ﭜ ﭝ ] {النبأ:34} جاءت بصيغةِ ذات دلالات لطيفة مناسبة لموضع الإمتنان والتفضل.

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية ومحور السورة**

موضوع السورة واضح وظاهر وهو الإنكار على المشركين في تشكيكهم بالبعث والقرآن، ثم إقامة الأدلة والبراهين على قدرة الله تعالى على الخلق والإيجاد ثم الإعدام والإفناء، ومقصود ذلك توجيه الأنظار والعقول إلى النظر والاستدلال كي يصلوا إلى أن صانع ذلك كله لا يعجزه بعث الخلائق مرةً أخرى وفي ذلك إثبات صدق القرآن الكريم.

وهذه المفردات الثلاث: وهاجا، ثجاجا، دهاقا، جاءت مناسبة لموضوع السورة ومقاصدها:

فالمفردة الأولى والثانية: وهَّاجا، ثجَّاجا، جاءتا في وصف ظواهر كونية عظيمة تدل على أن صانعها قدير حكيم خبير. وهي مخلوقات ذات فائدة كبيرة للإنسان فلولا الشمس الوهاجة والسحاب الثجاج لما استطاع الإنسان العيش على وجه الأرض.

وقد بيَّنَ علماء الطبيعة خصائص كل من الشمس والسحاب وأسرار خلقهما بما يدهش العقول ويقودها إلى معرفة الصانع الخبير.

وقد وردت هاتان المفردتان بصيغة تناسب هذه المعاني وتناسب محور السورة، فقد جاءتا بالتضعيف على وزن "فعَّال" للدلالة على شدة الوهج والإضاءة وللدلالة على شدة الإنصباب من السحاب، وهذا مناسب لموضع الإمتنان والتفضل. واقترنت المفردتان بفعل منسوب إلى ضمير المتكلم (جعلنا، أنزلنا) للدلالة على أن عظمة هذه المصنوعات وعلى أن صانعها عظيم قدير.

كما جاءتا بصيغة تفخيم وتضعيف لتناسب فاتحة السورة التي افتتحت بسؤال يحمل معنى التهويل والتفخيم، ولتناسب خاتمة السورة أيضاً الذي يحمل معنى التهويل والتفخيم لأمر الخالق الذي خلقهم أول مرة وسيبعثهم ليوم الحساب.

كما جاءت هاتان المفردتان في سياق الاستفهام وهو استفهام تقريري يقرر هذه الحقائق ويؤكدها كما أنه يحمل معنى التعجب من عقولهم وعدم استدلالهم بهذه المخلوقات العجيبة على قدرة الله وحكمته. وكل هذا مناسب لجو التشكيك من المشركين.

وجاءت كلتا المفردتين بصيغة تشبيه لتقريب المعاني والصور إلى عقولهم فشُبِّهَت الشمس بالسراج وشبهت السحاب بالفتاة المعصر التي كادت أن تحيض.

أما الإيقاع الصوتي –الموسيقي- للمفردتين فهو مناسب لفاصلة المقطع حيث تقرر الحقائق على شكل جمل قصيرة وكأنها طرقات وجولات في الكون، وهذا يناسبه فاصلة سهلة –لا تعقيد فيها- فجاءت الألف. كما نلحظ تكرر حرف الجيم في الكلمتين وهو حرف انفجاري وكأنه يوحي بتلك الإنفجارات التي تكون على سطح الشمس وتلك الأصوات التي تصاحب نزول المطر من رعد وريح وارتطام زخات المطر بالأرض.

أما المفردة الثالثة –دهاقاً- فإن من مقاصد السورة الإخبار عما سيحصل بعد البعث للكافرين والمؤمنين مستخدمةً أسلوبي الترغيب والترهيب، وهذه المفردة مناسبة لهذا المقصد وهذا الأسلوب، إذ أخبرت بدقة متناهية عن صفة من صفات شراب المتقين، وفي ذلك مبالغة في ترغيب المؤمنين في التمسك بالإيمان بالنبأ العظيم، وقد جاء القرآن مؤكداً لهذا الخبر بــ (إنَّ) وقدَّم خبرها ( للمتقين) على أسمائها تنويهاً بشأن المتقين وترغيباً لهم بعكس حال الطاغين إذ أخّرهم تحقيراً لهم وقدَّم ( جهنم) تهويلاً لأمرها.

ومن أسلوب القرآن في الترغيب أو الترهيب الإتيان بمفردات غريبة اللفظ والمعنى لتبقى النفس مترقبةً متشوِّفةً لنعيم الجنة أو متخوفةً من عذاب جهنم، فإن اللفظ الغريب النادر الاستعمال – أو اللفظ الذي يبتكره القرآن[[76]](#footnote-76)- له وقع في النفس أكثر من تلك الألفاظ المعهودة، فإن نعيم الجنة مهما وُصفَ ففيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت – كذلك الحال في عذاب النار-.

ومن أسرار اختيار هذه المفردة في هذا الموضع أن هذا الموضع موضع امتنان على المؤمنين في الجنة، ولا يحسن الإتيان بمفردة تناسب هذا المعنى كما جاءت به هذه المفردة فهي من الأضداد- كما قال الفيروز آبادي سابقاً- فالدهاق هو الملء والإفراغ وهذا يعني أن كأس أهل الجنة يُمْلَأُ ويُفرغ بشكل متتابع وفي ذلك منتهى السعادة واللذة الحسية. وهذه المفردة تعطي معنى التدفق والتجدد –كما أشار ابن فارس- فهذه الكأس شرابها ليس راكداً ولا منقطعاً، بل يستمر تعبأته مراراً وتكراراً، والإيقاع الصوتي للكلمة يوحي بذلك التدفق والتجدد. وجاءت المفردة بالمصدر- عوضاً عن اسم المفعول- لأنه أقوى دلالةً، ولهذا كله لا يمكن أن تَحلَّ مفردة أخرى محل هذه المفردة[[77]](#footnote-77).

أما علاقة المفردات بعنوان السورة (النبأ) وهو البعث – على أحد الأقوال-، هو أنَّ (الوهَّاج والثجَّاج) مِن مظاهر قدرة الله ومَن صَنَعَ هذه المخلوقات العجيبة لا يعجزه البعث مرة أخرى، وبينهما ترابط آخر وهو أن إخراج النبات متوقف على إشعاع الشمس وماء السحاب[[78]](#footnote-78) وفي ذلك مشابهة لبعث البشر من الأرض[[79]](#footnote-79).

وأما ( دهاقا) فهو وصف لحال أهل الجنة بعد البعث فهي مندرجة في إطار موضوع البعث ومفصلة لمجمله. وجاءت هذه المفردات بصيغة مفخمة مناسبةً لشأن النبأ العظيم.

وعلى القول الثاني لمعنى النبأ وهو القرآن أو النبي فإن وجه الترابط يبقى قائماً بصورة بديعة لطيفة فإن القرآن ( ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ) هو السراج الوهاج للأمة الذي ينير لها الطريق[[80]](#footnote-80)، وهو شمس الحقائق والبراهين الذي لا يقوم معه شك أو ظن. وهو أيضاً غيثٌ ثجاج فأحكامه وهديه تغيت البشر وتنفعهم كما ينفع الماء الزروع والإنسان والحيوان. والقرآن كذلك تشريعاته صافية وحججه متتابعة (داهقة) فهو لا يخلق من كثرة الرد ولا تفنى عجائبه.

وأما علاقة المفردات بعضها ببعض فإنها كلها جاءت بصيغة مفخمة مؤكدة –كما وضحت سابقاً- وكلها جاءت مناسبةً للفاصلة ( الألف الممدودة ) إشارة إلى أن الشواهد على قدرة الله قائمةً واضحة سهلة.

وظهر لي أن هذه المفردات كلها جاءت تحمل معنى البعث والتجدد فالسراج الوهاج يُظهِر النور والضياء بلا انقطاع، والمعصرات تنزِلُ الماء الثجاج على الأرض بلا انقطاع، والكأس الدهاق يُخرِجُ الشراب المتتابع الصافي بلا انقطاع، وإن الذي خلقها بهذه الصفات لهو أجدر بأن يخلق الخلق ويفنيهم مراراً وتكراراً بلا توقف ولا انقطاع، وبذلك يكون قد أجابهم على تساؤلهم عن النبأ العظيم بأساليب متعددة وبألفاظ متفردة –والله أعلم-.

**المبحث الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة النازعات وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة النازعات لافتتاحها بالقسم الإلهي بالنازعات. وقال الخفاجي:" وتسمى سورة الساهرة والطامّة" [[81]](#footnote-81). وعدد آيها خمس وأربعون عند الجمهور، وعدها أهل الكوفة ستا وأربعين آية[[82]](#footnote-82).

**ثانياً: زمن نزولها:**

وهي مكية بالاتفاق. وهي معدودة الحادية والثمانين في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة النبأ وقبل سورة الانفطار[[83]](#footnote-83).

**ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

تتعلق السورة بما قبلها من وجهين[[84]](#footnote-84):

1. تشابه الموضوع: فكلتا السورتين تتحدث عن القيامة وأحوالها، وعن مآل المتقين، ومرجع المجرمين.
2. تشابه المطلع والخاتمة: فإن مطلع السورتين في الحديث عن البعث والقيامة، والأولى اختتمت بالإنذار بالعذاب القريب يوم القيامة، والثانية ختمت بالكلام عما في أولها من إثبات الحشر والبعث.

أما تناسبها مع ما بعدها-عبس-: فتتشابه السورتان في الحديث عن القيامة والجزاء والحساب.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة**

**أولاً: موضوعها**[[85]](#footnote-85)**:**

سورة النازعات مكية، شأنها كشأن سائر السور المكية، التي تعنى بأصول العقيدة الإيمانية (الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء) ومحور السورة يدور حول القيامة وأحوالها، والساعة وأهوالها، وعن مآل المتقين، ومآل المجرمين.

ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالنازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات، وقد اختلف المفسرون في تفسيرها[[86]](#footnote-86).

ثم تحدثت عن المشركين، المنكرين للبعث والنشور، فصورت حالتهم في ذلك اليوم الفظيع. ثم تناولت السورة (فرعون، الطاغية الجبار، الذي ادعى الربوبية وتمادى في الجبروت والطغيان، فقصمه الله، واهلكه بالغرق هو وقومه.

وتحدثت السورة عن طغيان أهل مكة وتمردهم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكرتهم بأنهم أضعف من كثير من مخلوقات الله.

وختمت السورة الكربمة ببيان وقت الساعة الذي استبعده المشركون وأنكروه، وكذبوا بحدوثه.

وفي السورة توكيد رباني بتحقيق يوم البعث والحساب وما سوف يستولي على الكفار فيه من خوف وندم. وتذكير برسالة موسى إلى فرعون وموقف فرعون وما في ذلك من عبرة. وتدليل على قدرة الله على البعث والتنكيل بالكفار بما كان من مصير فرعون. وبمشاهد الكون وعظمة الله وبديع صنعه فيه. وتنديد بالكفار لشكهم في الآخرة وبيان إنذاري وتبشيري بمصير كل من المتقين والطاغين فيها.

قال سعيد حوى في محور السورة وسياقها:" تبدأ السورة بأقسام يفهم جوابها من سياق السورة، ثم تحدثنا عن اليوم الآخر وموقف الكافرين منه، ثم تقص علينا من نبأ موسى وفرعون، ثم تعطينا دروساً في التقوى، ثم تخاطب السورة البشر مذكرة إياهم بنعم الله عليهم ثم يعود الحديث عن اليوم الآخر... والسورة في سياقها العام تربي على التقوى.."[[87]](#footnote-87)

**ثانياً: مقاصدها وأغراضها:**

ويمكن إجمال مقاصد السورة فيما يلي[[88]](#footnote-88):

* إثبات البعث والجزاء، وإبطال إحالة المشركين وقوعه، وتهويل يومه وما يعتري الناس حينئذ من الخوف.
* تخويف الإنسان من الطامة والراجفة والرادفة وكلها مشاهد في يوم القيامة.
* الاستدلال ببعض مصنوعات الخالق لإبطال قول المشركين بتعذر الإحياء بعد انعدام الأجساد.
* تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكيره بقصص الأنبياء من قبله.
* الامتنان في خلق هذا العالم من فوائد يجتنونها وأنه إذا حل عالم الآخرة وانقرض عالم الدنيا جاء الجزاء على الأعمال بالعقاب والثواب.
* إثبات أن وقت الساعة لا يعلمه إلا الله تعالى، وذلك لا يقدح في مرتبة النبوة لأنه مبشر ونذير ولا يعلم الغيب الا الله.
* بيان أن السؤال عن وقت الساعة تعنت وجهالة لأنها توشك أن تحل فيعلمونها عيانا وكأنهم مع طول الزمن لم يلبثوا إلا جزءاً من النهار.
* تقرير أن لا تزكية للنفس البشرية إلا بالإسلام أي بالعمل بشرائعه
* التنديد والوعيد الشديد لمن يدعي الربوبية والألوهية فيأمر الناس بعبادته.
* إن قصة موسى عليه السلام مع فرعون وجنوده عبرة لمن اعتبر، وعظة لمن اتعظ، فقد أرسله الله إليه، وأيده بالمعجزات، ومع هذا استمر فرعون في كفره وطغيانه، فانتقم الله منه انتقاما شديدا.
* مشروعية الاستدلال بالكبير على الصغير وبالكثير على القليل وهو مما يعلم بداهة وبالضرورة إلا أن الغفلة أكبر صارف وأقوى حايل فلا بد من إزالتها أولا.
* دل مجموع الآيات هنا، وفي سورة السجدة (فصلت) وسورة البقرة وغيرها، على أن الله تعالى خلق الأرض أولا، ثم خلق السماء ثانيا، ثم دحا الأرض بعد ذلك ثالثا لأنها كانت أولا كالكرة المجتمعة، ثم إن الله تعالى مدها وبسطها.
* وفي الآيات توكيد قوي للمبدأ القرآني المحكم الذي قررته آيات كثيرة في سور عديدة من كون الإنسان يكسب أعماله باختياره وسعيه وأنه مجزى عليه وفاقا لذلك.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

- براعة الاستهلال: إذ افتتحت السورة بالقسم الطويل لتشويق السامع على المقسم عليه ثم حذفته وتركته تقديره للسامع والقارئ أي: لتبعثنّ أو ليكونَنّ. قال سيد قطب:"هذا المطلع جاء في صيغة القسم، على أمر تصوره الآيات التالية في السورة:**[ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ] {النازعات:6}**...}"[[89]](#footnote-89).

- اختتام السورة بما يناسب فاتحتها: إذ افتتحت بالقسم على البعث واختتمت بأنّ الساعة آتية لا محالة ولا ينفع معرفة وقتها قال السيوطي:" بدأت بالراجفة، وختمت بالطامة"[[90]](#footnote-90).

- تكرر في السورة ألفاظ هي أوصاف للآخرة مثل: الراجفة، الرادفة، الساهرة، الطامة. وفي ذلك تحذير وتنبيه للإنسان من خطورة ذلك اليوم وما سيحدث فيه.

- تعدد الفواصل تبعاً لتعدد المشاهد: ففي افتتاح السورة إيقاع سريع يوحي بقرب وقوع الراجفة والرادفة، ثم في المقطع الثاني إيقاع هادئ: [ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ] {طه:9} يناسب الأسلوب القصصي الذي يدخل الإستئناس على قلب المؤمن، ثم رجع في المقطع الثالث إلى الإيقاع السريع لعرض بعض مظاهر القدرة الإلهية في الكون، وفي المقطع الرابع عاد للحديث عن الطامة الكبرى وأهوالها وإيقاعه شديد سريع أيضاً. وهنا كلام جميل لسيد قطب يحسن نقله حيث قال:" وفي الطريق إلى إشعار القلب البشري حقيقة الآخرة الهائلة الضخمة العظيمة الكبيرة يوقع السياق إيقاعات منوعة على أوتار القلب، ويلمسه لمسات شتى حول تلك الحقيقة الكبرى. وهي إيقاعات ولمسات تمت إليها بصلة... والهاء الممدودة ذات الإيقاع الضخم الطويل، تشارك في تشخيص الضخامة وتجسيم التهويل"[[91]](#footnote-91).

- فواصلها لا يشبهها شيء في القرآن كما قال البقاعي:" ولا شيء فيها ممايشبه الفواصل[[92]](#footnote-92). ورويها سبعة أحرف، وهي: طار حمقه"[[93]](#footnote-93).

-تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البلاغة – لم يتكرر بعضها في سور أخرى- وهي تزيد السورة خصوصية، وهي[[94]](#footnote-94):

1 - الطباق بين الآخرة والأولى في قوله{فَأَخَذَهُ الله نَكَالَ الآخرة والأولى}(النازعات:25) والطباق كذلك بين {عَشِيَّةً.. وضُحَاهَا}

2 - المقابلة بين قوله: [ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ(النازعات: 27-29 ) وبين [ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا ] {النازعات:30-31} وكذلك المقابلة بين {فَأَمَّا مَن طغى وَآثَرَ الحياة الدنيا} وبين {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النفس عَنِ الهوى} الآيات.

3 - الطباق بين {الجنة.. الجحيم} وبين {السمآء.. والأرض} الوارد في الآيات.

4 - التشبيه المرسل المجمل: [ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ] {النازعات:46}

5- توافق الفواصل في الحرف الأخير مثل {ضُحَاهَا، دَحَاهَا، مَرْعَاهَا، أَرْسَاهَا} وهو من المحسنات الدبيعية ويسمى السجع.

* اختصت السورة بانفرادات لفظية لم تتكرر في غيرها من السورة وهي: نخِرَةً، السَّاهِرَةِ، سَمْكَهَا، أَغْطَشَ، دَحَاهَا، الطَّامَّةُ. وهي مفردات متناسبة مع محور السورة ومقاصدها، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

تتكون السورة من أربعة مقاطع مترابطة هي:

**المقطع الأول: الآيات (1- 14 ) وفيه الحلف بمخلوقات على وقوع البعث:**

[ﮢ ﮣ ﮤﮥ ﮦ ﮧﮨ ﮩ ﮪﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﯷ ﯸ ﯹ] (النازعات: 1-14)

بدأ سبحانه هذه السورة بالحلف بأصناف من مخلوقاته - إن ما جاء به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من أمر البعث وعرض الخلائق على ربهم، لينال كل عامل جزاء عمله - حق لا ريب فيه فى يوم تعظم فيه الأهوال، وتضطرب القلوب، وتخشع الأبصار، ويعجب المبعوثون من عودتهم إلى حياتهم الأولى بعد أن كانوا عظاما نخرة تمر فيها الرياح، ويتحققون أن صفقتهم كانت خاسرة، إذ إنهم أنكروا فى الدنيا معادهم، ويجابون على تعجبهم بألا يحسبوا أن الإحياء صعب على الله، فما الأمر عنده إلا صيحة واحدة، فإذا الناس جميعا ظاهرون فى أرض المعاد. وقد اختلف في تفسير هذه الأشياء، وأشهر هذه الأقوال[[95]](#footnote-95):

الأول: أنها الملائكة: وقال به كثير من الصحابة والتابعين والمفسرين.

الثاني: أنها صفات النجوم وحركاتها حيث تنزع من أفق إلى أفق وتطلع ثم تغيب وتغرق وتسبح في الفضاء ويسبق بعضها بعضا في السير.

الثالث: وقيل إنها صفات الأرواح حين تنزع من الأجساد فأرواح الكفار تنزع بشدة بينما أرواح المؤمنين تخرج نشيطة مسرعة فتسبح في ملكوت الله وتتسابق إلى الحضرة الإلهية أو إلى مصائرها السعيدة.

الرابع: قيل: النازعات والناشطات والسابحات والسابقات هي النجوم. والمدبرات هي الملائكة.

الخامس: قيل: النازعات والناشطات والسابحات هي النجوم. والسابقات والمدبرات هي الملائكة.

وهذه الأقوال تخمينية كما يبدو ولا يوجد أثر نبوي يحدد المدلولات تحديدا قطعياً قال الرازي:" واعلم أن الوجوه المنقولة عن المفسرين غير منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصا، حتى لا يمكن الزيادة عليها، بل إنما ذكروها لكون اللفظ محتملا لها، فإذا كان احتمال اللفظ لما ذكرناه ليس دون احتماله للوجوه التي ذكروها لم يكن ما ذكروه أولى مما ذكرناه إلا أنه لا بد هاهنا من دقيقة، وهو أن اللفظ محتمل للكل، فإن وجدنا بين هذه المعاني مفهوما واحدا مشتركا حملنا اللفظ على ذلك المشترك: وحينئذ يندرج تحته جميع هذه الوجوه. أما إذا لم يكن بين هذه المفهومات قدر مشترك تعذر حمل اللفظ على الكل، لأن اللفظ المشترك لا يجوز استعماله لإفادة مفهوميه معا، فحينئذ لا نقول مراد الله تعالى هذا، بل نقول: يحتمل أن يكون هذا هو المراد، أما الجزم فلا سبيل إليه هاهنا"[[96]](#footnote-96).

أقول: إن جاز لي أن أركب قولاً آخر من هذه الأقوال من خلال النظر إلى سياق الآيات ومحور السورة التي قد جاءت لتذكر الإنسان بالآخرة والحساب بأسلوب يوقظ الأنفس: الراجفة، الرادفة، الطامة.. أقول: إن جاز لي ذلك فإني أرى أن:

النازعات هي الملائكة التي تنزع أرواح البشر، والسابقات هي الملائكة أيضاً التي تتسابق في تنفيذ أوامر الله في الكون، أما السابحات فهي النجوم، وأما الناشطات والمدبرات فهي نفوس البشر.

ولكن ما مناسبة ذلك مع سياق الآيات وجو السورة؟

أقول: في السورة إثبات للبعث ورد على من ينكره، وإظهار أنَّ من المخلوقات من هو أعظم خلقاً وأكثر طاعة لله – من الإنسان- وهذا يناسبه القسم بالنجوم التي تسبح في أرجاء الكون بانتظام- ومن آيات السورة (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها)-، ويناسبه أيضاً القسم بالملائكة التي تتسابق في طاعة الله تعالى وأنت أيها الإنسان قد أكرمك الله وأسجد لك الملائكة فكيف لا تسارع في طاعته !. والتي تتسابق في نزع أرواح البشر وفي ذلك تنبيه وتحذير للإنسان في حركته في الحياة. ولذلك جاء ذكر:" الناشطات والمدبرات" أي النفوس التي تنشط في هذه الحياة وتدبر لأمورها وتنسى الموت وتغفل عن الساعة والطامة الكبرى التي تطم على كل مظاهر الحياة.

والقول بأن المدبرات هي النجوم قول غير صحيح لأننا لو قلنا بأن النجوم تدبر الأمور لكان فيه حجة لعبدة النجوم والكواكب وهو ما أبطله القرآن، وأما القول بأنها الملائكة فهو بعيد لأن الملائكة لا تدبر لأن الله ما أعطاها حرية الاختيار كالإنسان والمدبر هو الله.

قال سيد قطب:" وأيا ما كانت مدلولاتها فنحن نحس من الحياة في الجو القرآني أن إيرادها على هذا النحو، ينشئ أولا وقبل كل شيء هزة في الحس... لنعيش في ظلال القرآن بموحياته وإيحاءاته على طبيعتها. فهزة القلب وإيقاظه هدف في ذاته، يتحراه الخطاب القرآني بوسائل شتى"[[97]](#footnote-97).

**المقطع الثاني: الآيات (15- 26) وفيه قصة موسى مع فرعون:**

[ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ] (النازعات 15-26)

وفي هذا المقطع عرض لقصة موسى مع فرعون بصورة مجملة فيها العبرة والتذكير بمصير من طغى وتجبر والتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين.

**المقطع الثالث: الآيات [ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﮥ ﮦ ﮧﮨ ﮩ ﮪ ﮫ] (النازعات: 27-33)**

فيه إظهار بعض مصنوعات الله للإنسان والامتنان عليه بها ليجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب.

**المقطع الرابع: الآيات [ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃﰄ ﰅ ﰆ ﰇﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ] (النازعات 34-46)**

وفيه الحديث عن الطامة وأهوالها وأنه لا يعلم وقتها إلا الله، والترغيب والترهيب بذكر الجنة والجحيم، وأنه لا ينفعهم معرفة وقتها لأنهم كافرون أصلاً بالرسالة، وحين يرونها سيندمون على ذلك، فعادت السورة من حيث بدأت ورُد عجزها على مطلعها فهي بدأت بنزع الأرواح وانتهت بالبعث والنشور، وذكرت في المقطع الأول الراجفة والرادفة وذكرت في المقطع الأخير الطامة الكبرى والجنة والنار.

ويظهر الترابط بين المقاطع من خلال أن السورة افتتحت بالقسم على البعث والنشور ثم ذكرت بمصير أحد الذين أنكروا البعث وهو فرعون ثم بيَّنت بالأدلة الكونية العلمية أن خلق الإنسان أهون عند الله من خلق السموات والأرض، وتكوير الليل على النهار، وإخراج الماء من الأرض وإنبات النبات، ثم عادت لتخوِّف الإنسان من الطامة الكبرى وأنها آتية لا محالة ولا ينفع معرفة وقتها، وبرز في السورة أسلوبا الترغيب والترهيب بذكر الجنة والنار، والتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بذكر موسى وما لاقاه من فرعون[[98]](#footnote-98).

**المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها**

**المفردة الأولى: نخرة**

النَّخرة البالية والناخر البالي المتفتت جاء في العين:" نخر: نخر الحمار بأنفه نخيرا أي: مد نفسه في الخياشيم كأنه نغمة خاء مضطربة. ونخرتا الأنف خرقاه... ونخرت الخشبة أي: بليت فاسترخت حتى تفتتت إذا مست، وكذلك العظم الناخر"[[99]](#footnote-99).

وقال ابن فارس:" النون والخاء والراء أصل صحيح يدل على صوت من الأصوات ثم يفرع منه. النخير: صوت يخرج من المنخرين، وسمي المنخران من جهة النخير الخارج منهما. وفرع منه فقيل لخرقي الأنف النخرتان... فأما الشجرة النخرة والعظم النخر فمن هذا أيضا ; لأن ذلك يتجوف فتدخله الريح، ويكون لها عند ذلك نخرة، أي صوت. ويقولون: النخر: البالي. والناخر: الذي تدخل فيه الريح وتخرج منه ولها نخير. والقياس في كله واحد عندنا"[[100]](#footnote-100).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لا يختلف كلام المفسرين عن كلام أهل اللغة فالناخرة هي البالية، ولكن القراء اختلفوا فقد قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم "ناخرة" وقرأ غيرهم: "نخرة"[[101]](#footnote-101) ومن العلماء من قال هما بمعنى واحد ومنهم من فرَّق بينهما قال ابن الجوزي:" قال الفرّاء: وهما بمعنى واحد في اللغة. مثل طمع، وطامع وحذر، وحاذر. وقال الأخفش: هما لغتان -إلا أن بعض اللغويين فرق بينهما- فقد قال الزجاج: يقال: نخر العظم ينخر، فهو نخر. مثل عفن الشيء يعفن، فهو عفن. وناخرة على معنى: عظاما فارغة، يجيء فيها من هبوب الرياح كالنّخير"[[102]](#footnote-102).

قال الزمخشري:"يقال: نخر العظم، فهو نخر وناخر، كقولك: طمع فهو طمع وطامع، وفعل أبلغ من فاعل، وقد قرىء بها، وهو البالي الأجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير"[[103]](#footnote-103). قلت: ولكن لا يجوز الترجيح بين القراءتين المتواترتين اذا كان ذلك يؤدي إلى الطعن في إحداهما.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة في موضع الاستئناف وهو إما ابتدائي بعد جملة القسم وجوابه، لإفادة أن هؤلاء هم الذين سيكونون أصحاب القلوب الواجفة والأبصار الخاشعة يوم ترجف الراجفة، وإما استئناف بياني لأن القسم وما بعده من الوعيد يثير سؤالا في نفس السامع عن الداعي لهذا القسم فأجيب ب يقولون أإنا لمردودون في الحافرة، أي منكرون البعث، ولذلك سلك في حكاية هذا القول أسلوب الغيبة شأن المتحدث عن غير حاضر[[104]](#footnote-104).

وحُكيَ مقالهم بصيغةِ المضارع لإفادة أنهم مستمرون عليه وأنه متجدد فيهم لا يرعوون عنه. وللإشعار بما في المضارع من استحضار حالتهم بتكرير هذا القول ليكون ذلك كناية عن التعجيب من قولهم هذا[[105]](#footnote-105).

وظرف (إذا) في قوله: (أءذا كنا عظاما نخرة) هو مناط التعجب وادعاء الاستحالة، أي إذا صرنا عظاما بالية فكيف نرجع أحياء. وهذا الاستفهام إنكاري مؤكد للاستفهام الأول للدلالة على أن هذه الحالة جديرة بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت، فهما إنكاران لإظهار شدة إحالته[[106]](#footnote-106).

والمفردة "نخرة" على قراءة الجمهور صفة مشتقة من قولهم: نخر العظم، إذا بلي. وهي أبلغ من "ناخرة" لأن الأولى تعني عظاماً بالية متفتتة والثانية تعني عظاماً فارغة، ولكن الثانية تعطي معنى أخر كذلك وهي أنها عظام مجوفة يدخل فيها الهواء فيصدر منها الصوت.

**المفردة الثانية: السَّاهرة:**

**الدلالة المعجمية للجذر:**

السَّاهرة اسم فاعل من سهر والسهر: امتناع النوم بالليل. والساهور: من أسماء القمر، والساهرة: وجه الأرض العريضة البسيطة[[107]](#footnote-107).

والظاهر أن السّاهرة هي أرض ذات سهر كليل ساهر أي ذي سهر قال في القاموس المحيط:" سهر، كفرح: لم ينم ليلا. وليل ساهر: ذو سهر. والساهرة: الأرض، أو وجهها"[[108]](#footnote-108).

وقال ابن فارس:" السين والهاء والراء معظم بابه الأرق، وهو ذهاب النوم. ويقال للأرض: الساهرة، سميت بذلك لأن عملها في النبت دائما ليلا ونهاراً... ثم صارت الساهرة اسما لكل أرض"[[109]](#footnote-109).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

تعددت أقوال المفسرين في تفسير هذه المفردة على أقوال هي:

أحدها: أنّ السّاهرة: وجه الأرض، قاله ابن عباس ومجاهد، وعكرمة والضّحّاك، واللغويون.والثاني: أنه جبل عند بيت المقدس، قاله وهب بن منبّه[[110]](#footnote-110). والثالث: أنها جهنّم، قاله قتادة[[111]](#footnote-111). والرابع: أنها أرض الشام، قاله سفيان[[112]](#footnote-112).

ولكن الراجح هو الأول قال ابن كثير:" وهذه الأقوال كلها غريبة، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى"[[113]](#footnote-113).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

وجاءت المفردة لتفيد الفجأة والسرعة وعدم التأخير ففاء فإذا هم بالساهرة للتفريع على جملة فإنما هي زجرة واحدة و (إذا) للمفاجأة، أي الحصول دون تأخير فحصل تأكيد معنى التفريع الذي أفادته الفاء وذلك يفيد عدم الترتب بين الزجرة والحصول في الساهرة.

والإتيان ب (إذا) الفجائية للدلالة على سرعة حضورهم بهذا المكان عقب البعث. وعطفها بالفاء لتحقيق ذلك المعنى الذي أفادته (إذا) لأن الجمع بين المفاجأة والتفريع أشد ما يعبر به عن السرعة مع إيجاز اللفظ[[114]](#footnote-114).

والمعنى: أن الله يأمر بأمر التكوين بخلق أجساد تحل فيها الأرواح التي كانت في الدنيا فتحضر في موقف الحشر للحساب بسرعة[[115]](#footnote-115).

وجاءت هذه اللفظة على وزن اسم الفاعل لأنها تُسهرُ من فيها بسبب الخوف والرهبة، وعُرِّفت بـ (أل) التعريف للدلالة على أنها أرض معروفة لديهم يساقون إليها سوقاً، أو للدلالة على أنها أرض لا يوجد بمثل صفتها هذه غيرها فهي أرض مستوية بيضاء لا نبات فيها وتسهر من فيها لشدة الخوف والرهبة.

واختيرت هذه اللفظة على مترادفاتها (مقارباتها) لما فيها من معاني دقيقة لا تحملها غيرها من المترادفات فالساهرة هي الأرض التي سالكها لا ينام خوفا منها، وهي الأرض التي يجري السراب فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء، وهي الأرض إنما تسمى ساهرة لأن من شدة الخوف فيها يطير النوم عن الإنسان، فتلك الأرض التي يجتمع الناس فيها في موقف القيامة يكونون فيها في أشد الخوف، فسميت تلك الأرض ساهرة لهذا السبب[[116]](#footnote-116).

**المفردة الثالثة: سمكها:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

السمك هو السقف وسمك الشيء يسمكه سمكا فسمك رفعه فارتفع وجاء في العين:" السمك في الماء، الواحدة، سمكة. والسمكة: برج في السماء... والسمك يجيء في موضع السقف. والسماء مسموكة، أي: مرفوعة كالسمك.وسنام سامك، أي: مرتفع"[[117]](#footnote-117). والسمك: السقف، أو من أعلى البيت إلى أسفله، والقامة من كل شيء[[118]](#footnote-118).

قال الأزهري:" والسمك: القامة من كل شيء بعيد طويل السمك "[[119]](#footnote-119).

وقال ابن فارس:" السين والميم والكاف أصل واحد يدل على العلو. يقال سمك، إذا ارتفع... ومما شذ عن الباب وباين الأصل: السمك"[[120]](#footnote-120).

ويبدو أن ابن فارس لم يجد رابطاً بين السمك (الحيوان) والسمك (السماء) والذي يظهر لي من كلام أهل اللغة أنَّ الجامعَ بينهما أنهما معلقان: السمكة في الماء والسماء في الهواء، والله أعلم.

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لا اختلاف عند المفسرين في معنى رفع السمك فرَفَعَ سَمْكَها أي رفعها في الهواء فَسَوَّاها بلا شقوق، ولا فُطور، ولا تفاوت، يرتفع فيه بعضها على بعض قال الرازي:" واعلم أن امتداد الشيء إذا أخذ من أعلاه إلى أسفله سمي عمقا، وإذا أخذ من أسفله إلى أعلاه سمي سمكا، فالمراد برفع سمكها شدة علوها حتى ذكروا أن ما بين الأرض وبينها مسيرة خمسمائة عام، و قد بين أصحاب الهيئة مقادير الأجرام الفلكية وأبعاد ما بين كل واحد منها وبين الأرض. وقال آخرون: بل المراد: رفع سمكها من غير عمد. وذلك مما لا يصح إلا من الله تعالى"[[121]](#footnote-121).

وقال السمين الحلبي:" (رفع سمكها فسواها): جملة مفسرة لكيفية البناء. والسمك: الارتفاع. ومعناه في الآية كما قال الزمخشري: «جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديداً رفيعاً». وسمكت الشيء: رفعته في الهواء. وسمك هو، أي: ارتفع سموكا فهو قاصر ومتعد. وسنام سامك تامك، أي: عال مرتفع"[[122]](#footnote-122).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت المفردة بصيغة مبالغة (رفع سمكها) فالرَّفعُ جعل جسم معتلياً وهو مرادف للسَّمك فتعدية فعل رفع إلى «السمك» للمبالغة في الرفع، أي رفع رفعها أي جعله رفيعاً، وهو من قبيل قولهم: ليل أليل، وشعر شاعر، وظل ظليل[[123]](#footnote-123).

وجاءت الآية بتفصيل بعد إجمال -فجملة رفع سمكها فسواها مُبيِّنةٌ لجملة بناها- لزيادة التصوير وذلك أدل على عجيب القدرة الإلهية. وأعقبها ما يفصلها أكثر فقال: (فسواها) وتسوية السماء حصلت مع حصول سمكها، فالتعقيب فيه مثل التعقيب في قوله: (فنادى فقال أنا ربكم الأعلى)[[124]](#footnote-124) [النازعات: 23، 24].

وجاءت المفردة في موضع استفهام والاستفهام هنا تقريري، والمقصود من التقرير إلجاؤهم إلى الإقرار بأنَّ خلقَ السماء أعظمُ من خلقهم، أي من خلق نوعهم وهو نوع الإنسان وهم يعلمون أن الله هو خالق السماء فلا جرم أن الذي قدر على خلق السماء قادر على خلق الإنسان مرة ثانية[[125]](#footnote-125).

وجاءت الآيات بأسلوب الالتفات لزيادة التقريع فالخطاب هنا موجه إلى المشركين الذين عبر عنهم آنفا بضمائر الغيبة من قوله: يقولون إلى قوله: (فإذا هم بالساهرة) [النازعات: 10- 14]، وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب.

**المفردة الرابعة: أغطش:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الغطش في العين: شبه العمش، غطش غطشا واغطاش، ورجل غطش وأغطش[[126]](#footnote-126). و غطش الليل، وليل غاطش مطلخم. ورجل أغطش: في عينه شبه العمش[[127]](#footnote-127).

قال الأزهري:" الغطش: الضعف في البصر، كما ينظر ببعض بصره. ويقال: هو الذي لا يفتح عينيه، في الشمس...يقال: هو يتغاطش عن الأمر، ويتغاطس، أي: يتغافل"[[128]](#footnote-128).

والغطاش: ظلمة الليل واختلاطه، ليل أغطش وقد أغطش الليل بنفسه. وأغطشه الله أي أظلمه. وغطش الليل، فهو غاطش أي مظلم[[129]](#footnote-129). فالغين والطاء والشين أصل واحد صحيح، يدل على ظلمة[[130]](#footnote-130).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لا خلاف بين المفسرين في أن معنى أغطش أي أظلم قال أبو حيان:" وأغطش: أي أظلم، ليلها. وأخرج: أبرز ضوء شمسها... وأضيف الليل والضحى إلى السماء، لأن الليل ظلها، والضحى هو نور سراجها"[[131]](#footnote-131).

وقال ابن عاشور:" أي جعل ليلها ظلاما، وهو قريب من قوله: رفع سمكها من باب قولهم: ليل أليل"[[132]](#footnote-132).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت جملة (وأغطش ليلها) معطوفة على جملة بناها وليست معطوفة على رفع سمكها لأن إغطاش وإخراج الضحى ليس مما يبين به البناء.

وفعل أغطش قد يجيء لازما، يقال: أغطش الليل إذا صار مظلما ويجيء متعديا يقال: أغطشه الله إذا جعله مظلما، والغطش الظلمة، والأغطش شبه الأعمش، ثم هاهنا سؤال وهو أن الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس، فقوله: وأغطش ليلها يرجع معناه إلى أنه جعل المظلم مظلما، وهو بعيد والجواب: معناه أن الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان إنما حصلت بتدبير الله وتقديره: وحينئذ لا يبقى الإشكال[[133]](#footnote-133).

ولكن لماذا أضاف الليل والنهار إلى السماء وليس الشمس؟

إنما أضاف الليل والنهار إلى السماء، لأن الليل والنهار إنما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها، ثم غروبها وطلوعها إنما يحصلان بسبب حركة الفلك، فلهذا السبب أضاف الليل والنهار إلى السماء، ثم إنه تعالى لما وصف كيفية خلق السماء أتبعه بكيفية خلق الأرض[[134]](#footnote-134).

وفي تقديم ( أغطش ليلها ) على ( أخرج منها ماءها ومرعاها ) دلالة على أن الليل سبق النهار في الوجود لأنَّ النور طارئ بعد الظلمة، إذ الظلمة عدم وهو أسبق، والنور محتاج إلى السبب الذي ينيره.

والدلالة الصوتية للكلمة يوحي بتلك الظلمة المطبقة إذ الطاء والغين من حروف الإطباق.

ومن الإعجاز العلمي في هذه المفردة ما قاله الشيخ الزنداني في كتابه علم الإيمان:" لفظ أغطش في قوله تعالى أدل على المعنى المقصود من لفظ: (وأظلم) لأن لفظ أغطش فيه مع معنى الظلمة معنى الصمت، ومعنى ظلام السماوات مع الصمت لوجود الفراغ لا يعطيه إلا لفظ: أغطش"[[135]](#footnote-135).

**المفردة الخامسة: دحاها**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الدحو: البسط. دحا الأرض يدحوها دحوا: بسطها[[136]](#footnote-136). "وقال الليث: المدحاة خشبة يدحى بها الصبي فتمر على وجه الأرض لا تأتي على شيء إلا أجحفته. والمطر الداحي يدحى الحصى عن وجه الأرض. والدحو البسط"[[137]](#footnote-137).

فالدال والحاء والواو أصل واحد يدل على بسط وتمهيد[[138]](#footnote-138).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لا خلاف بين المفسرين في تفسير (دحاها ) فالدحو هو البسط والتسوية ولكنهم اختلفوا في ترتيب الخلق وهل يقع تناقض بين هذه الآية وآيات أخر ذكرت خلق السماء والأرض، والذي أجاب به المفسرون أنه لا تناقض والترتيب صحيح فإن الله خلق الأرض بلا تسوية ثم خلق السماء ثم بسط الأرض وهيأها لعيش الإنسان قال السمين الحلبي:" قوله: {بعد ذلك}: «بعد» على بابها من التأخير. ولا معارضة بينها وبين آية فصلت؛ لأنه خلق الأرض غير مدحوة، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض. وقول أبي عبيدة: «إنها بمعنى قبل» منكر عند العلماء. ويقال: دحا يدحو دحوا ودحى يدحي دحيا، أي: بسط، فهو من ذوات الواو والياء، فيكتب بالألف والياء، ومنه قيل لعش النعامة: أدحو، وأدحي، لانبساطه في الأرض"[[139]](#footnote-139).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

اختيرت هذه المفردة على غيرها من مفردات تحمل معنى التسوية لأن هذه المفردة تحمل معنى التهيأة والتسوية والكروية فقد دل قوله تعالى: فسواها على أن الأرض كروية، كما دل قوله تعالى: دحاها على أن كروية الأرض ليست تامة، بل هي مفلطحة كالبيضة.

وقدّم ( الأرضَ ) على الفعل والفاعل لأجل الاهتمام وبما يتضمن من تأكيد.

لماذا جاءت هذه المفردة بالواو هنا وليس بالياء مع أن أهل اللغة قالوا هما بمعنى واحد يقال: دحوت أدحو، ودحيت أدحى؟

أظن أن حرف الواو بما يرافقه من ضم للشفتين يوحي بتلك الكروية التي تعنيها كلمة دحاها. وكروية الأرض كشف عنها العلم الحديث قال الشيخ الزنداني:" دحاها: أي بسطها لتكون صالحة للإنبات ونفع الإنسان. ومن معاني الأدحية: البيض، ومن معاني دحا: دحرج. ويظهر أن الأرض عند انفصالها أخذت تدور وتتدحرج في مسارها ولا تزال تتدحرج وتتقلب وهي تجري في فلكها ومسارها، فهل تلقى هذه الحقيقة العلمية أوضح معنى من قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)!"[[140]](#footnote-140)

ظاهر الآية يقتضي كون الأرض بعد السماء وقوله: في حم السجدة: (ثم استوى إلى السماء) [فصلت: 11] يقتضي كون السماء بعد الأرض، فهل الآية على ظاهرها أو أنَّ فيها تقديماً وتأخيراً؟

الآية على ظاهرها ولا داعي للقول بالتقديم والتأخير وهذا فيه وجه من وجوه الإعجاز العلمي إذ يكشف القرآن عن حقيقة علمية وهي أن الله تعالى خلق الأرض أولا ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الأرض أي بسطها ثالثا، وذلك لأنها كانت أولا كالكرة المجتمعة، ثم إن الله تعالى

مدها وبسطها وهيأها للنبات والحيوان[[141]](#footnote-141). قال ابن كثير:" وقيل إن الدحي كان بعد خلق السماوات والأرض رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس"[[142]](#footnote-142). وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه، فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء، وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديما وحديثا[[143]](#footnote-143).

والعلم الحديث يثبت هذه الحقيقة التي جاء بها القرآن. فإن أهل العلوم الطبيعية يرون أن مراحل خلق الكون علي النحو التالي:

(1) مرحلة الجرم الابتدائي الأولي الذي بدأ منه الخلق ( مرحلة الرتق ).

(2) مرحلة انفجار الجرم الابتدائي الأولي ( مرحلة الفتق أو المرحلة الدخانية ) وبدء توسع الكون.

(3) مرحلة تخلق العناصر المختلفة في السماء الدخانية , عبر تخلق المادة والمادة المضادة , وتكون نويات الايدروجين والهيليوم وبعض الليثيوم.

(4) مرحلة انفصال دوامات من الغلالة الدخانية وتكثفها علي ذاتها بفعل الجاذبية لتكوين كل من الأرض وباقي أجرام السماء.

(5) مرحلة دحو الأرض , وتكوين أغلفتها الغازية والمائية والصخرية , وبدء تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض وتكون كل من المحيطات والقارات والجبال , وتكون التربة وبدء دورة المياه حول الأرض وتسوية سطحها وخزن المياه تحت السطحية.

(6) مرحلة خلق الحياة من أبسط صورها إلي مختلف مستوياتها[[144]](#footnote-144).

**المفردة السادسة: الطَّامَّة:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

قال ابن منظور:" طمَّ الماء يطم طماً وطموماً: علا وغمر. وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طم يطم. وطم الشيء يطمه طما: غمره... ويقال للشيء الذي يكثر حتى يعلو: قد طم وهو يطم طما... وقال الأصمعي: طم البعير يطم طميما: إذا مر يعدو عدوا سهلا"[[145]](#footnote-145).

فالطاء والميم أصلٌ صحيح يدل على تغطية الشيء للشيء حتى يسويه به، الأرض أو غيرها[[146]](#footnote-146).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

الطامة هي الداهية ولكن المفسرين اختلفوا في وقت حدوثها في الآخرة فقال ابن عباس والضحاك: القيامة[[147]](#footnote-147). وقال ابن عباس أيضا والحسن: النفخة الثانية[[148]](#footnote-148).

والمراد بالطامة الكبرى: القيامة وقد وصفت بأوصاف عديدة في القرآن مثل الصاخة والقارعة والراجفة ووصفت بالكبرى دلالة على شدتها وعظمها وأن كل داهية دونها صغيرة.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة بما يدل على السرعة والفجأة فقد اقترنت بـالفاء و (إذا )، وشُبِّهت بالكائن الحي الذي يجيء إلى الإنسان وفي ذلك زيادةُ ترهيبٍ وتخويف.

وجاءت معرفة بــ (أل) التعريف فهي إما للجنس فكأنَّ الطامة الحقيقية هي هذه الطامة وكل داهية لا تعد من جنس الدواهي والمصائب إلا هذه، وإما للعهد فهي الداهية التي سمعوا عنها في الدنيا فجاءت كما أُخبروا عنها في الدنيا وهي فوق كل طامة وداهية. ووصف يوم القيامة بالطامة الكبرى متناسب مع حقيقتها وخطورتها كما هو المتبادر.

وهذا الوصف (الطامة) يؤذن بالشدة والهول إذ لا يقال مثله إلا في الأمور المهولة ثم بولغ في تشخيص هولها بأن وصفت بالكبرى فكان هذا أصرح الكلمات لتصوير ما يقارن هذه الحادثة من الأهوال[[149]](#footnote-149).

والإيقاع الصوتي للكلمة يوحي بذاك الطّمّ والإغراق إذ تتوإلى الحروف المشددة ويتوسط الكلمة مد لازم –هو أطول المدود- وفيه إشارة إلى طول ذاك اليوم وشدته.

ولا يمكن أن تسد مفردة مسدَّ هذه المفردة فإنها دالة من حيث الاشتقاق على السرعة والإطباق معا-وفي ذلك مناسبة لسياق الآيات السريع والقوي- قال المبرد عن هذه المفردة:" أخذت فيما أحسب من قولهم: طم الفرس طميما، إذا استفرغ جهده في الجري، وطم الماء إذا ملأ النهر كله"[[150]](#footnote-150). فكيف مع هذه الصيغة؟!

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية ومحور السورة واسمها**

من مقاصد السورة إثبات البعث والجزاء و تخويف الإنسان من يوم القيامة والاستدلال ببعض مصنوعات الخالق لإبطال قول المشركين و تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكيره بقصص الأنبياء من قبله.

و الامتنان ببعض ما خلقه الله من مصنوعات. والمفردات اللفظية جاءت متناسبة مع مقصود السورة ومحورها، كما يأتي:

فالمفردة الأولى " نخرة " جاءت في معرض حكاية المشركين التي فيها التعجب والاستهزاء والتشكيك ولذلك جاءت بصيغة استفهام وحُكيَ مقالهم بصيغةِ المضارع لإفادة أنهم مستمرون عليه وأنه متجدد فيهم لا يرعوون عنه.

فجاءت هذه المفردةُ تُفيدُ ما يحكونه من استهزاء (فالنخرة) –على قراءةِ الجمهور- صيغة مشبهة تدل على إنكارهم الشديد على إعادة الأجساد بعد أن تصير مفتتة بالية، وعلى القراءة الآخرى –ناخرة- تصف حال استهزاءهم فهذه العظام المجوفة الفارغة التي يدخل الهواء فيها ويصدر صوتاً كالشخير.

لذا اختيرت هذه اللفظة على غيرها، وناسبت محور السورة السريع والقوي إذ فيها معنى المبالغة في التفتت، وناسبت قصة موسى مع فرعون الذي كان يستهزأ ويستكبر -كما كان يفعل المشركون- فكان مصيره الموت والهلاك، وربما جاء بقصة فرعون للإشارة إلى أن الله أبقى جسده ولم يتفتت ولَأَنْ يُبقي الله جسد هذا المستكبر-عبرة للمستكبرين- ثم يحييه أدل على قدرة الله تعالى من إحياء العظام النخرة.

وناسبت هذه المفردة الحديث عن آيات الله الكونية إذ من يقدر على بناء السماء وإظلام ليلها وإخراج ضحاها وعلى تسوية الأرض وإخراج مائها ومرعاها قادر على إحياء العظام مرة أخرى وجمعها وإخراجها من تحت الأرض.

كما تتناسب هذه المفردة مع آخر آية للسورة (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) فهذه العظام مهما ازداد تفتتها وطال بقاؤها تحت الأرض سيأتي يوم يحييها الله بقدرته وعلمه وعندها سيندمون على قولهم واستهزائهم يوم لا ينفع الندم.

أما المفردة الثانية ( السَّاهرة ) فهي تناسب موضوع السورة ومقصودها حيث التخويف من عذاب الله واثبات قدرته تعالى فقد جاءت المفردة لتفيد الفجأة والسرعة وعدم التأخير ففاء (فإذا هم بالساهرة) للتفريع على جملة فإنما هي زجرة واحدة و (إذا) للمفاجأة، أي الحصول دون تأخير فحصل تأكيد معنى التفريع الذي أفادته الفاء وذلك يفيد عدم التراخي بين الزجرة والحصول في الساهرة.

وجاءت هذه اللفظة على وزن اسم الفاعل لأنها تُسهرُ من فيها بسبب الخوف والرهبة، وعُرِّفت بـ (أل) التعريف للدلالة على أنها أرض معروفة لديهم يساقون إليها سوقاً، أو للدلالة على أنها أرض لا يوجد بمثل صفتها هذه غيرها فهي أرض مستوية بيضاء لا نبات فيها وتُسهِرُ كل مَن فيها لشدة الخوف والرهبة[[151]](#footnote-151)، وهذا مناسب لجو الترهيب والتخويف في السورة. لذا اختيرت هذه اللفظة على مترادفاتها لما فيها من معاني دقيقة لا تحملها غيرها من المترادفات.

أما المفردة الثالثة ( سمكها ) فقد جاءت مناسبة لمقصود السورة من إثباتٍ لقدرة الله تعالى على إبداع الخلق، وإخراج المتقابلات منه كالسماء والارض والظلمة والنور، ولذلك جاءت هذ المفردة بصيغة مبالغة (رفع سمكها) فتعدية فعل رفع إلى «السمك» للمبالغة في الرفع، أي رفع رفعها أي جعله رفيعاً، وهو من قبيل قولهم: ليل أليل، وشعر شاعر، وظل ظليل.

وكذلك الحال في المفردة الرابعة (أغطش) والخامسة ( دحاها ) فإنها جاءت لبيان عجيب قدرة الله في مصنوعاته، ولذلك جاءت تصف الكون بدقة متناهية لم يكتشفها علماء الطبيعة إلا في العصر الحديث، فالغطش تدل على الظلمة والصمت لعدم وجود الهواء الناقل في الفضاء، والدحو تدل على صفة خلق الأرض الدقيقة فهي ليست كرة كاملةً ولكنها بيضة مفلطحة، وفي ذلك كله مناسبة لموضوع السورة فالذي يعلم أسرار خلقِ العالم بهذه الصفات الدَّقيقةِ لا يخفى عليه أعمال الناس ولا يخفى عليه كيفية إعادة العظام وهي رميم، وهي كيفية لن يتصورها عقل الإنسان ولذلك لم يخبر القرآن بها ولكن أخبر بما هو أعظم منها.

وقد جاءت هذه المفردات الثلاث تحمل معاني علمية عالية بأسلوب سهل يناسب تساؤلات العرب في ذلك العصر قال د. زغلول النجار:" من معجزات القرآن الإشارة إلي تلك الحقائق العلمية بلغة سهلة جزلة علي عادة القرآن الكريم فإنه عبر عن تلك الحقائق الكونية المتضمنة إخراج كل من الغلافين المائي والغازي للأرض من داخل الأرض بأسلوب لا يفزغ العقلية البدوية في صحراء الجزيرة العربية وقت تنزله.."[[152]](#footnote-152)

وقد جاءت الآيات في هذا المقطع -الذي يحوي المفردات الثلاث- بأسلوب الالتفات لزيادة التقريع فالخطاب هنا موجه إلى المشركين الذين عبَّر عنهم آنفاً بضمائر الغيبة من قوله: يقولون إلى قوله: (فإذا هم بالسَّاهرة) [النازعات: 14]، وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب.

وتتناسب هذه المفردات الثلاث مع قصة موسى وفرعون في السورة من حيث أن هذا الذي ادعى الربوبية لم يستطع خلق شيء في هذه الأكوان فكيف يجعل نفسه رباً أم كيف يجعل الكفار أربابهم أنداداً لله تعالى؟!

وجاءت هذه المفردات الثلاث في مقطع سيق مساق الاستفهام التقريري والمقصود من التقرير إلجاؤهم إلى الإقرار بأنَّ خلقَ السماء والأرض أعظمُ من خلقهم. وهذا الاستفهام مناسب لجو الإنكار والتعجب الذي وقع فيه المشركون وجعلهم يتساءلون فردَّ القرآن عليهم الاستفهام باستفهام.

أما المفردة الأخيرة ( الطَّامّة ) فهو مناسب لجو الترهيب والتخويف في السورة فهو يؤذن بالشدة والهول إذ لا يقال مثله إلا في الأمور المهولة ثم بولغ في تشخيص هولها بأن وصفت بالكبرى فكان هذا أصرح الكلمات لتصوير ما يقارن هذه الحادثة من الأهوال.

والإيقاع الصوتي للكلمة يوحي بهذا الطّمّ والإغراق إذ تتوإلى الحروف المشددة ويتوسط الكلمة مد لازم –هو أطول المدود- وفيه إشارة إلى طول ذاك اليوم وشدته. ولا يمكن أن تسد مفردة مسدَّ هذه المفردة فإنها دالة من حيث الاشتقاق على السرعة والإطباق معا-وفي ذلك مناسبة لسياق الآيات السريع والقوي.

كما تتناسب هذه المفردة مع قصة فرعون المذكورة في السورة إذ أغرقه الله وطمَّه بالماء وهو –أي الماء- من أضعف خلق الله فكيف لو جاءت الطامة الكبرى التي تنسي كل طامة وداهية قبلها؟! فالسورة تنذر المشركين بالراجفة والرادفة في المقطع الأول ثم بهلاك فرعون في المقطع الثاني وبالطامة الكبرى يوم القيامة في المقطع الأخير.

وهذه الإنفرات اللفظية تتناسب مع أسماء السورة (النازعات، الساهرة، الطامة)، أما الاسم الأول:

النَّازعات: فعلى القول بأنها ملائكة فإنها تتنازع مع كلمة ( نخرة والساهرة والطامة ) من حيث أن الملائكة هي التي تقبض الأرواح وتصير الأجساد بعدها عظاماً نخرة، ثم تُحيى مرة أخرى لتبعث إلى أرض الحشر –الساهرة- ولا يكون البعث إلا بعد الطامة الكبرى.

وأما مفردة ( سمكها وأغطش ودحاها ) فهي تتناسب مع النازعات -الملائكة- من حيث أنَّ كل هذه مخلوقات خلقها الله تعالى من نور وطين وهواء بما يظهر عجيب قدرة الله وإبداعه.

أما على المعنى الثاني وهو أن النازعات هي النجوم فإنها تتناسب مع المفردات ( سمكها وأغطش ودحاها ) فإنها كلها تتحدث عن صفات الكون وما فيه من سموات وأرض.

وتتناسب مع ( الطامة ) من حيث أن الطامة هي وقت طمس النجوم واندثارها يوم القيامة.

وتتناسب مع ( نخرة ) من حيث الاستدلال بعظيم خلق النجوم على أن إعادة هذه العظام النخرة أهون عند الله منها. وتتناسب مع الساهرة وهي أرض الحشر من حيث أن النجوم في ذلك الوقت تكون منطمسة ولا نور فيها ومعالم الكون قد تغيرت.

وأما تناسب المفردات الستة مع بعضها فــ ( سمكها وأغطش ودحاها ) تثبت قدرة الله تعالى على الخلق وإخراج الشيء من الشيء- والاستدلال على المتقابلات للدلالة على قدرة الله والاشارة إلى وجود الكفر والايمان- وتتناسب المفردات الثلاث مع كلمة (نخرة) من حيث أنها ترد على استهزاء الكفار الذين قالوا: كيف نخرج وقد صرنا عظاماً نخرة؟! فيرد عليهم القرآن بهذه المفردات فكما أنهم تفردوا بذكر مفردة فريدة تفرد القرآن بذكر مفردات فريدة للرد عليهم.

وتتناسب الطامة مع هذه المفردات من حيث أنها تطم كل مظاهر الخلق في الكون فيوم القيامة يذهب غطش الليل وتدمر الأرض فلا تدحية لها وتتهاوى السموات فلا سمك لها. وتتناسب مع مفردتي ( الساهرة ونخرة ) من حيث أن السَّاهرةَ[[153]](#footnote-153) مشهدٌ من مشاهد الآخرة يعقب وقت "الطامة" ويتم فيها إحياء العظام النخرة.

فهذه الانفرادات اللفظية تشكل نسيجاً للسورة يعطيها لوناً يميزها عن غيرها، وهذه المفردات هي كالنقاط المضيئة في السورة تعمل على زيادة ربط المقاطع مع بعضها في وحدة موضوعية واحدة.

**المبحث الثالث: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة عبس وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت هذه الصورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة سورة عبس. وقال الخفاجي: تسمى سورة الصاخة[[154]](#footnote-154).

وعدد آيها عند أهل المدينة وأهل مكة وأهل الكوفة اثنتان وأربعون، وعند أهل البصرة إحدى وأربعون وعند أهل الشام أربعون[[155]](#footnote-155).

**ثانياً: وقت نزولها:**

هي سورة مكية بالاتفاق[[156]](#footnote-156).

وعُدَّت الرابعة والعشرون في ترتيب نزول السور. نزلت بعد سورة ( والنجم ) وقبل سورة ( القدر ).

وهي أولى السور من أواسط المفصل[[157]](#footnote-157).

**ثالثاً: سبب نزولها:**

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى فقالت: أتى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عظماء المشركين، قالت: فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: أترى ما أقول بأسا؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت عبس وتولى "[[158]](#footnote-158)

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

لهذه السورة تعلق بما قبلها وهي النازعات فبينهما تشابه في موضوع الحديث عن يوم القيامة وأهوالها، وإثبات البعثِ بمخلوقاتِ الله في الإنسان والكون، فهناك وصفت القيامة بقوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى) [النازعات:34] وهنا وصفت بقوله سبحانه: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ) [عبس:33] وهما من أسماء يوم القيامة.

وهناك أثبت الله البعث بخلق السماء والأرض والجبال، وهنا أثبته بخلق الإنسان والنبات والطعام[[159]](#footnote-159).

وأما مناسبتها لما بعدها –سورة التكوير-: فقد تحدثت هذه السورة عن الصاخة وأصناف الناس فيها وتحدثت سورة التكوير عن القيامة أيضاً وانفراط عقد الكون فيها وأحوال الناس فيها وعن الجنة والنار.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة**

**أولاً: موضوعها[[160]](#footnote-160):**

سورة عبس من السور المكية، وهي تتناول شؤوناً تتعلق بالعقيدة وأمر الرسالة، كما أنها تتحدث عن دلائل القدرة، والوحدانية في خلق الإنسان، والنبات، والطعام، وفيها الحديث عن القيامة وأهوالها، وشدة ذلك اليوم العصيب.

وقد ابتدأت السورة الكريمة بذكر قصة الأعمى " عبد الله بن أم مكتوم " الذي جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مشغول مع جماعة من كبراء قريش، يدعوهم إلى الإسلام، فعبس - صلى الله عليه وسلم - في وجهه وأعرض عنه، فنزل القرآن بالعتاب.

ثم تحدثت عن جحود الإنسان، وكفره الفاحش بربه مع كثرة نعم الله تعالى عليه. ثم تناولت دلائل القدرة في هذا الكون، حيث يسر الله الإنسان سبل العيش فوق سطح هذه المعمورة.

وختمت السورة الكريمة ببيان أهوال القيامة، وفرار الإنسان من أحبابه من شدة الهول والفزع، وبينت حال المؤمنين وحال الكافرين في ذلك اليوم العصيب.

**ثانياً: مقاصدها وأغراضها**

1- تعليم الموازنة بين مراتب المصالح ووجوب الاستقراء لخفياتها كيلا يفوت الاهتمام بالمهم منها في بادىء الرأي مهماً آخر مساوياً في الأهمية.

2-التذكير بإكرام المؤمنين لسمو درجتهم عند الله تعالى. و الآية عتاب من الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - في إعراضه وتوليه عن عبد الله بن أم مكتوم، حتى لا تنكسر قلوب الفقراء، وليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني.

3- الاستدلال على إثبات البعث وهو مما كان يدعوهم إليه حين حضور ابن أم مكتوم بالاستدلال بأحوال النبات والأشجار. والاستدلال بالصنعة على الصانع وأن أثر الشيء يدل عليه.

4- الاستدلال بالإنذار بحلول الساعة والتحذير من أهوالها وبما يعقبها من ثواب المتقين وعقاب الجاحدين.

5- تزكية الأنفس بالتخويف بالقيامة التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، وبأحوال الطعام والنبات.

6- وفي الآيات تلقينات ومبادئ أخلاقية واجتماعية وسلوكية جليلة

7- في الآيتين الأخيرتين خاصة تطمين للنبي - صلى الله عليه وسلم - وتقرير لمهمته.

8- استحالة كتمان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لشيء من الوحي فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:" لو كان للرسول أن يكتم شيئاً من وحي الله لكتم عتاب الله تعالى له في عبس وتولى"[[161]](#footnote-161)

9- التخفيف عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوة رؤساء قريش إلى الإسلام، وليس عليه بأس بعدئذ في ألا يهتدوا ولا يؤمنوا فإنما هو رسول وما عليه إلا البلاغ [[162]](#footnote-162).

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب**

1- هذه السورة قوية المقاطع، ضخمة الحقائق، عميقة اللمسات، فريدة الصور والظلال والإيحاءات، موحية الإيقاعات الشعورية والموسيقية على السواء[[163]](#footnote-163). وإن استعراض مقاطع السورة وآياتها على هذا النحو السريع يسكب في الحس إيقاعات شديدة التأثير. فهي من القوة والعمق بحيث تفعل فعلها في القلب بمجرد لمسها له بذاتها.

2- هي من السور القليلة التي بدأت بفعل ماضٍ ويمكن أن يكون ذلك أسلوباً حيث تتكلم عن آثار قصة حدثت ومضت وتُبين الدروس والعبر منها.

3- أول ما نزل عتاب للنبي - صلى الله عليه وسلم – نزل في هذه السورة، وروح الآيات ومضمونها يلهمان أن العتاب إنما كان على مخالفة النبي - صلى الله عليه وسلم - لما هو الأولى. وفي العتاب وأسلوبه ومفهومه وروحه تهذيب رباني عظيم المدى للنبي - صلى الله عليه وسلم - وفي إعلان النبي - صلى الله عليه وسلم - العتاب يتجلى الصدق النبوي العميق الذي يملك النفس والقلب ويملأهما بالإعظام والإجلال[[164]](#footnote-164).

4-مما امتازت به السورة حديثها عن أحوال الطعام والنبات والأشجار.

5- قِصَر آياتها إذ ترسل برسائل سريعة و تعدد فاصلتها بما يناسب جو مقاطعها فالمقطع الأول فيه عتاب لرسوله فجاءت فاصلتها هادئة بالألف المقصورة، ثم تحدثت السورة عن أحوال المعاش والآخرة فتغيرت الفاصلة بما يناسب معانيها.

6-تضمنت السورةُ الكريمة وجوهاً من أساليب البيان والبديع نوجزها فيما يلي[[165]](#footnote-165):

1. الالتفات من الغيبة إِلى الخطاب زيادة في العتاب {عَبَسَ وتولى}. ثم قال: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزكى}؟ فالتفت تنبيهاً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم َ إِلى العناية بشأن الأعمى.

2. أسلوب التعجب {قُتِلَ الإنسان مَآ أَكْفَرَهُ}(عبس:17) تعجبٌ من إِفراط كفره، مع كثرة إِحسان الله إِليه.

3. الطباق بين {تصدى} وبين {تلهى} لأن المراد بهما تتعرض وتنشغل.

4. المقابلة اللطيفة بين السعداء والأشقياء [ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ] {عبس:38-39} قابلها بقوله {[ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ] {عبس:40-41}

5. توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات، وهو من المحسنات البديعية ويسمى السجع مثل {عَبَسَ وتولى أَن جَآءَهُ الأعمى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزكى} ومثل {فَي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ..} الخ.

7- اختصت السورة بانفرادات لفظية لم ترد في غيرها وهي: قضبا، أبا، الصاخة. ولذلك دلالات سأبينها بإذن الله.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة**

تنقسم السورة إلى ثلاثة مقاطع رئيسة مترابطة فيما بينها وهي:

المقطع الأول: (من الآية 1 إلى الآية 16) وفيه عتاب النبي صلى الله عليه وسلم لما وقع منه مع الأعمى إذ انشغل عنه بحديثه مع كفار قريش[[166]](#footnote-166)، وبيان أن هدايتهم على الله وحده وما عليك إلا بلاغ القرآن، ولو شاء هؤلاء الكفار لتذكروا القرآن وحججه وما أعرضوا عنه، وهو الكتاب الذي يتنزل ويكتب بأيدي الملائكة الكرام البررة والذي لا يليق تعليمه إلا للمؤمنين الطاهرين وفي ذلك تعريض بالمشركين.

المقطع الثاني: (من الآية 17 إلى الآية 32 ) وفيه الإنكار على الإنسان في كفره بالله بالاستدلال بأحوال خلق الإنسان من النطفة إلى الحياة إلى الموت والبعث. والإستدلال أيضاً بأحوال خلق الطعام من إنزال الماء وشق الأرض وإنبات أنواع النبات المتعددة، وفي ذلك مشابهة لبعث الإنسان إذ يخرجه الله من الأرض، وفيه إظهار فضل الله على الإنسان. و المقصود من ذكر هذه الأشياء أمور ثلاثة:

أولها- إيراد الدلائل الدالة على التوحيد.

وثانيها- إيراد الدلائل الدالة على القدرة على المعاد.

وثالثها- الترغيب بالإيمان والطاعة فإنه لا يليق بالعاقل أن يتمرد عن طاعة الإله الذي أحسن إلى عباده بهذه الأنواع العظيمة من الإحسان.

المقطع الثالث: (من الآية 33 إلى الآية 42 ) وفيه التخويف بيوم القيامة إذ يتبرأ الإنسان من أقرب الناس إليه ولا ينفعونه بشيء فكل يحاسب بنفسه ثم تصنيف الناس إلى صنفين بحسب من آمن بهذا القرآن وبأدلته فمنهم المؤمنون ذوو الوجوه المستبشرة ومنهم الكفرة ذوو الوجوه المرهقة المغبرة المسودة.

وبين هذه المقاطع تناسب ففي المقطع الأول عتابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم وتخفيف عنه لعدم إيمان كفار قريش، وفي المقطع الثاني إنكار عليهم وإقامة الحجج عليهم في أنفسهم وفي الآفاق وبعد بيان نعم الله تعالى في نفس الإنسان وفي الآفاق، وإقامة الأدلة والبراهين بها على كمال قدرة الله عز وجل على البعث وكل شيء، أبان الله تعالى بعض أهوال القيامة وأحوالها التي تملأ النفس خوفاً ورهبةً، ليكون ذلك مدعاة إلى التأمل في الدلائل والإيمان بها والإعراض عن الكفر. والناس في ذلك الموقف فريقان: سعداء وأشقياء.

قال ابن عادل الحنبلي:" لما ذكر أمر المعاش ذكر أمر المعاد ليتزودوا له بالأعمال الصالحة، والإنفاق مما امتن به عليهم"[[167]](#footnote-167).

**المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها**

**المفردة الأولى: قضباً**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

القضب لغة هو القطع قال الخليل في العين:" قضب: القضب: الفصفصة الرطبة... والقضب: كل شجرة سبطت أغصانها"[[168]](#footnote-168).

و القاف والضاد والباء أصل صحيح يدل على قطع الشيء. يقال: قضبت الشيء قضبا. والقضيب: الغصن. والقضب: الرطبة، سميت لأنها تقضب[[169]](#footnote-169).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لم يخرج المفسرون في تفسير هذه المفردة عن أقوال أهل اللغة فالقضب هو: الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة. ويقال لها: القت أيضا قال ذلك ابن عباس، وقتادة، والضحاك. والسدي[[170]](#footnote-170). وقال الحسن البصري: القضب العلف[[171]](#footnote-171). وسُميت قضبا لأنها تعلف للدواب رطبة فتقضب أي تُقطع[[172]](#footnote-172).

ويبدع سيد قطب في تفسيرها بما يناسب جو الآيات وإظهار فضل الله وكرمه فقال:" والعنب معروف. والقضب هو كل ما يؤكل رطبا غضا من الخضر التي تقطع مرة بعد أخرى"[[173]](#footnote-173).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة معطوفةً على ما قبلها وفي ذلك مزيد بيان مِننِ الله على الإنسان وإظهار فضله بتعداد هذه العطايا وعطفها على بعضها.

وجاءت منكرةً لما في التنكير من الدلالة على التعظيم وتعظيم كل شيء بما يناسبه وهو تعظيم تعجيب[[174]](#footnote-174).

وجاءت هذه المفردة وما بعدها مناسبة لفاصلة المقطع وفي ذلك تناسق صوتي موائم لجو الإكرام والتفضل وتعداد المِنن.

وذُكِرَت هذه الكلمة في مقام تعداد النِّعم على الإنسان لأن دلائل القرآن لا بد وأن تكون بحيث ينتفع بها كل الخلق، فلا بد وأن تكون أبعد عن اللبس والشبهة[[175]](#footnote-175).

**المفردة الثانية: أبَّا**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الأب هو المرعى والكلأ قال ابن فارس:"اعلم أن للهمزة والباء في المضاعف أصلين: أحدهما المرعى، والآخر القصد والتهيؤ. أما الأول: فقول الله عز وجل: [ﯯ ﯰ ﯱ ] {عبس:31}، قال أبو زيد الأنصاري: لم أسمع للأب ذكرا إلا في القرآن. قال الخليل وأبو زيد: الأب: المرعى، بوزن فعل...

قال أبو إسحاق الزجاج: الأبّ جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه. فهذا أصل، وأما الثاني فقال الخليل وابن دريد: الأب مصدر: أب فلان إلى سيفه: إذا رد يده إليه ليستله"[[176]](#footnote-176).

"وقال عطاء: كل شيء ينبت على وجه الأرض، فهو الأب. وقال مجاهد: الفاكهة: ما أكله الناس؛ والأب: ما أكلت الأنعام"[[177]](#footnote-177).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

الأبّ هو ما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ولكن تعددت أقوال المفسرين في تفسيرها بلا اختلاف حقيقي بينهم فمنهم من قال: هو الحشيش ومنهم من قال: هو الكلأ، فعن ابن عباس أنه الحشيش للبهائم. وقال مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو مالك: الأب: الكلأ[[178]](#footnote-178). وعن مجاهد، والحسن، وقتادة وابن زيد: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم. وعن عطاء: كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب. وقال الضحاك: كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو أب[[179]](#footnote-179).

وعن ابن عباس وقال: الأب: ما أنبتت الأرض للأنعام وقال: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام[[180]](#footnote-180) قال سيد قطب:" أغلب الظن أنه الذي ترعاه الأنعام"[[181]](#footnote-181).

وقد روى الطبري عن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب [ﭑ ﭒ ﭓ ] {عبس:1} فلما أُتي على هذه الآية: [ﯯ ﯰ ﯱ ] {عبس:31} قال: عرفنا ما الفاكهة، فما الأب؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف[[182]](#footnote-182).

قال ابن كثير:"فهو إسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن أنس به. وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض"[[183]](#footnote-183).

ويعلل ابن عاشور غياب المعنى الدقيق عند بعض الصحابة بأحد سببين:

إما لأن هذا اللفظ كان قد تنوسي من استعمالهم فأحياه القرآن لرعاية الفاصلة... وإما لأن كلمة الأب تطلق على أشياء كثيرة منها النبت الذي ترعاه الأنعام، ومنها التبن، ومنها يابس الفاكهة، فكان إمساك أبي بكر وعمر عن بيان معناه لعدم الجزم بما أراد الله منه على التعيين[[184]](#footnote-184).

وذكر في الكشاف وجها آخر لكلام عمر فقال: "إن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم، فأراد عمر أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان. وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعا له ولأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت"[[185]](#footnote-185).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة معطوفة على ما قبلها وفي ذلك مزيد بيان مِننِ الله على الإنسان وإظهار فضله بتعداد هذه العطايا وعطفها على بعضها.

وجاءت منكرة لما في التنكير من الدلالة على التعظيم وتعظيم كل شيء بما يناسبه وهو تعظيم تعجيب[[186]](#footnote-186).

وفي هذه الآية وما بعدها لف ونشر وهو من الأساليب البلاغية التي تزيد الكلام جمالاً قال ابن عاشور:" وقوله: "ولأنعامكم" عطف قوله: "لكم" والمتاع: ما ينتفع به زمنا ثم ينقطع، وفيه لف ونشر مشوش، والسامع يرجع كل شيء من المذكورات إلى ما يصلح له لظهوره. وهذه الحال واقعة موقع الإدماج أدمجت الموعظة والمنة في خلال الاستدلال"[[187]](#footnote-187). وعندي أن (متاعاً لكم ولأنعامكم) تعود إلى كل المذكورات السابقة وليس فقط للفاكهة والأبّ.

وفي غرابة معنى هذه المفردة عند كثير من الناس استثارة لعقل السَّامع وتنبيهاً له على ما حوله من نعم وعطايا لينظر ويتفكر وهو المناسب لجو الآيات.

**المفردة الثالثة: الصَّاخَّة**

أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:

الصَّخّ هو صوت عظيم قال في العين:" صخ: الصاخة: صيحة تصخ الآذان فتصمها، ويقال: هي الأمر العظيم، يقال: رماه الله بصاخة، أي: بداهية وأمر عظيم. والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير، أي: يطعن فيه"[[188]](#footnote-188).

والصاد والخاء أصل يدل على صوت من الأصوات. من ذلك الصاخة يقال إنها الصيحة تصم الآذان[[189]](#footnote-189).

و قال الليث: الصَّاخَّة: صيحةٌ تصخُ الآذان فتصمها، ويقال: كأنما في أذنه صاخة، أي طعنة. ويقال للداهية: صاخة.وقال ابن الأعرابي، قال: الصخ: الضرب بالحديد والعصا الصلبة على شيء مصمت[[190]](#footnote-190).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

الصاخة عند المفسرين اسم من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع، أي: تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها. قال ابن عباس: الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده[[191]](#footnote-191). قال ابن جرير:" لعله اسم للنفخة في الصور"[[192]](#footnote-192). وقال البغوي:" (الصاخة) يعني صيحة القيامة؛ سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع، أي: تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها"[[193]](#footnote-193).

قال ابن عاشور:" فالصاخة صارت في القرآن علما بالغلبة على حادثة يوم القيامة وانتهاء هذا العالم، وتحصل صيحات منها أصوات تزلزل الأرض واصطدام بعض الكواكب بالأرض مثلا، ونفخة الصور التي تبعث عندها الناس"[[194]](#footnote-194).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

هذه المفردة جاءت بصيغة ذات دلالات مناسبة لجو السورة فقد جاءة معرفة بأل التعريف للدلالة على أن هذا الأمر معروف لدى السَّامع وأنها من شهرتها تصمّ الآذان وتعلو على كل صوت[[195]](#footnote-195).

وهي مناسبة لقصة النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعمى وكفار قريش إذ تعالت الأصوات وتشاغل الكفار عن صوت النبي عليه الصلاة والسلام فناسب هذا الجو ذكر الصاخة التي تصخ الآذان وتُسكت الألسن لزيادة التحذير والتخويف من الآخرة، قال ابن جزي:" الصَّاخَّةُ القيامة وهي مشتقة من قولك: صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه، فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور، أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته"[[196]](#footnote-196).

والجرس الصوتي للكلمة يدل على القوة والغلظة إذ احتوت على حرفي استعلاء هما الصاد- بما فيه من صفير مناسب للصوت الذي يصم- والخاء التي تخرج من الجوف وفيهما معنى الإستعلاء والإطباق والقيامة تعلو وتُطبِقُ على كل شيء.

وفي الآية مجاز إذ إن المجيء مستعمل في الحصول مجازا، فقد شبَّه حصول يوم الجزاء بشخص جاء من مكان آخر[[197]](#footnote-197). وجاءت الآية التالية بدلاً مطابقاً: ( يوم يفر المرء من أخيه ) لبيان صفة من أوصاف هذا اليوم.

**المطلب الثالث: علاقة الانفرادات اللفظية بمحور السورة واسمها**

من مقاصد هذه السورة التذكير بقدرة الله على البعث والتذكير بإكرام المؤمنين وإنذار الكافرين والتخفيف على النبي في مهمته وعتابه على موقفه من الأعمى.

وهذه المفردات تتناسب مع هذه المقاصد فالمفردة الأولى "قضبا" والثانية "أبّا" هي مما أكرم الله به مخلوقاته في الدنيا وهي من الأدلة على قدرة الله على البعث والإحياء. وجاءت هاتان المفردتان منكرتين لما في التنكير من الدلالة على التعظيم وتعظيم كل شيء بما يناسبه وهو تعظيم تعجيب.

وفي غرابة معنى هذه المفردة على كثير من الناس استثارة لعقل السَّامع وتنبيهاً له على ما حوله من نعم وعطايا لينظر ويتفكر وهو المناسب لجو الآيات.

أما "الصاخة" فهي مناسبة أيضاً لجو السورة فهي مناسبة لقصة النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعمى وكفار قريش إذ تعالت الأصوات وانشغل الكفار عن صوت النبي عليه الصلاة والسلام فناسب هذا الجو ذكر الصاخة التي تصخ الآذان وتُسكت الألسن لزيادة التحذير والتخويف من الآخرة.

والجرس الصوتي للكلمة يدل على القوة والغلظة إذ احتوت على حرفي استعلاء هما الصاد- بما فيه من صفير مناسب للصوت الذي يصم- والخاء التي تخرج من الجوف وفيهما معنى الإستعلاء والإطباق والقيامة تعلو وتُطبِقُ على كل شيء.

أما الصّاخّة فلا أجد تناسباً بينها وبين اسم السورة إلا من حيث إن الصخَّ هو ذهاب السمع والعبوس مع التولي هو الإعراض بالسمع والبصر عن الشخص فكأنَّ في هذه المفردة عتابٌ وتنبيه.

وبين هذه المفردات علاقة أيضاً فهي تلخص مقاطع السورة فالأولى والثانية تذكير بنعم الله وتذكير بالبعث والثالثة تشير إلى بداية البعث بالصيحة، وفي الأولى والثانية ترغيب وفي الثالثة ترهيب وتخويف.

**المبحث الرابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة التكوير وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة التكوير، لافتتاحها بقوله تعالى: (**[ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ] {التكوير:1}**، ولم يعدها في "الإتقان" مع السور التي لها أكثر من اسم[[198]](#footnote-198). وهي تسع وعشرون آية[[199]](#footnote-199).

**ثانياً: زمن نزولها:**

وهي مكية بالاتفاق. وهي معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفاتحة وقبل سورة الأعلى[[200]](#footnote-200).

**ثالثاً: فضلها:**

عن ابن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ: {إذا الشمس كورت}، {وإذا السماء انفطرت}، {وإذا السماء انشقت} أحسبه أنه قال: وسورة هود"[[201]](#footnote-201).

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

أما مناسبتها لما قبلها توضح كل من السورتين أهوال القيامة وشدائدها، ففي سورة عبس قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) [عبس: 33-34] وفي هذه السورة قال سبحانه: (إذا الشمس كورت.. إلخ، فلما ذكر سبحانه الطامة والصاخة في خاتمتي السورتين المتقدمتين، أردفهما بذكر سورتين مشتملتين على أمارات القيامة وعلامات يوم الجزاء[[202]](#footnote-202).

أما مناسبتها لما بعدها –الانفطار- فإنهما يشتركان في الموضوع حيث يتحدثان عن أهوال الآخرة والحساب والجنة والنار.

**المطلبُ الأولُ: الوحدةُ الموضوعية في السورة**

**أولاً: موضوعها[[203]](#footnote-203):**

سورة التكوير من السور المكية، وهي ذات مقطعين اثنين تعالج في كل مقطع منهما تقرير حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة:

الأولى: حقيقة القيامة، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل كامل، يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحار، والأرض والسماء، والأنعام والوحوش، كما يشمل بني الإنسان.

والثانية: حقيقة الوحي، وما يتعلق بها من صفة الملك الذي يحمله، وصفة النبي الذي يتلقاه، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحي معه، ومع المشيئة الكبرى التي فطرتهم ونزلت لهم الوحي.

وقد ابتدأت السورة الكريمة ببيان القيامة، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل، يشمل الشمس والنجوم، والجبال، والبحار، والأرض، والسماء، والأنعام، والوحوش.

ثم تناولت (حقيقة الوحي ) وصفة النبي الذي يتلقاه، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحي، والرسول الذي نزل لينقلهم من ظلمات الشرك والضلال، إلى نور العلم والإيمان.

وختمت السورة الكريمة ببيان بطلان مزاعم المشركين، حول القرآن العظيم، وذكرت أنه موعظة من الله تعالى لعباده.

**ثانياً: مقاصدها وأغراضها:**

قال البقاعي:" مقصودها التهديد الشديد بيوم الوعيد الذي هو محط الرحال... والدلالة على حقية كونه كذلك بأن السفير به أمين في الملأ الأعلى مكين المكانف فيما هنالك..."[[204]](#footnote-204)

ويمكن إجمال مقاصد السورة فيما يلي:

- الترهيب بذكر الأهوال التي تتقدم يوم القيامة والأهوال التي تقع عقبه.

- تقرير عقيدة البعث والجزاء والحساب.

- الترغيب في الإيمان والعمل الصالح إذ بهما المصير إلى الجنة.

- التحذير من الشرك والمعاصي إذ بهما المصير إلى النار.

- إثبات عدل الله المطلق إذ يأخذ الحق للموؤدة الصغيرة و يقتص للحيوانات الضعيفة.

- الدعوة إلى التفكر ببعض الآيات الكونية الدالة على قدرة الله تعالى.

- الدفاع عن القرآن الذي كذبوا به لأنه أوعدهم بالبعث زيادةً لتحقيقِ وقوعِ البحث إذ رموا النبي - صلى الله عليه وسلم - بالجنون والقرآن بأنه يأتيه به شيطان. والدفاع عن أمين الوحي جبريل عليه السلام وبيان صفاته.

- الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم والرد على الإتهامات التي أطلقها المشركون، وبيان مكانته عند ربه.

- إثبات مشيئة الله تعالى المحيطة بمشيئة العباد.

**ثالثاً: مميزاتها:**

- هذه السورة ذات مقطعين اثنين تعالج في كل مقطع منهما تقرير حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة.

- الإيقاع العام للسورة حركة جائحة. تنطلق من عقالها، فتقلب كل شيء، وتنثر كل شيء؛ وتهيج الساكن وتروع الآمن؛ وتذهب بكل مألوف وتبدل كل معهود؛ وتهز النفس البشرية هزا عنيفا طويلا، ومن ثم فالسورة بإيقاعها العام وحده تخلع النفس من كل ما تطمئن إليه وتركن، لتلوذ بكنف الله، وتأوي إلى حماه، وتطلب عنده الأمن والطمأنينة والقرار[[205]](#footnote-205).

- في السورة ثروة ضخمة من المشاهد الرائعة، سواء في هذا الكون الرائع الذي نراه، أو في ذلك اليوم الآخر الذي ينقلب فيه الكون بكل ما نعهده فيه من أوضاع. وثروة كذلك من التعبيرات الأنيقة! المنتقاة لتلوين المشاهد والإيقاعات[[206]](#footnote-206). فهي تصور قيامة القيامة كأنَّك تنظر إليها.

- الافتتاح المشوق: فالافتتاح بـ (إذا) افتتاح مشوق لأن إذا ظرف يستدعي متعلقا، ولأنه أيضا شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده فعند ما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن، وخاصة بالإطناب بتكرير كلمة إذا وتعدد الجمل التي أضيف إليها اثنتي عشرة مرة، فإعادة كلمة إذا بعد واو العطف في هذه الجمل المتعاطفة إطناب، وهذا الإطناب اقتضاه قصد التهويل، والتهويل من مقتضيات الإطناب والتكرير.

- تميزت السورة بذكر اثني عشر مشهداً من مشاهد يوم القيامة، وتميزت بالقسم بظواهر كونية لم ترد في غيرها كالخنس الجوار الكنس.

- في السورة تقديم المسند إليه في الجمل الثنتي عشرة المفتتحات بكلمة إذا من قوله:" إذا الشمس كورت" إلى آخرها، والإخبار عنه بالمسند الفعلي مع إمكان أن يقال: إذا كورت الشمس وإذا انكدرت النجوم، وهكذا كما قال:**[ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ] {الرحمن:37}** أن ذلك التقديم لإفادة الاهتمام بتلك الأخبار المجعولة علامات ليوم البعث توسلا بالاهتمام بأشراطه إلى الاهتمام به وتحقيق وقوعه. وإن إطالة ذكر تلك الجمل تشويق للجواب الواقع بعدها بقوله: [ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ] {التكوير:14}[[207]](#footnote-207).

- ورويها أربعة أحرف، وهي: تنسم، (أو تسنم)، أو تسمن[[208]](#footnote-208).

- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البلاغة زادت من خصوصيتها أوجزها فيما يلي[[209]](#footnote-209):

- الجناس الناقص بين {الخنس} و {الكنس}.

- الاستعارة [ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ] {التكوير:18} شبَّه إِقبال النهار وسطوع الضياء بنسمات الهواء العليل التي تحيي القلب، واستعار لفظ التنفس لإِقبال النهار بعد الظلام الدامس، وهذا من لطيف الاستعارة وأبلغها تصويراً حيث عبر عنه بتنفس الصبح.

- الكناية [ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ] {التكوير:22} كنى عن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم َ بلفظ {صَاحِبُكُمْ}.

- الطباق بين لفظ {الجحيم سُعِّرَتْ.. والجنة}.

- الجناس غير التام بين {أَمِينٍ.. ومَكِينٍ}.

- توافق الفواصل راية لرؤوس الآيات مثل {كُوِّرَتْ، سُيِّرَتْ، سُجِّرَتْ، سُعِّرَتْ} ومثل {الخنس، الكنس، عَسْعَسَ، تَنَفَّسَ} الخ.

- اختصت هذه السورة بمفردات لم تتكرر بجذرها في القرآن كله وهي: انْكَدَرَتْ، الْوُحُوشُ، كُشِطَت، الْكُنَّسِ، عَسْعَسَ، ضَنِينٍ. وبذلك تكون هذه السورة تميزت عن سائر سور جزء عمَّ بهذا العدد من الانفرادات.

وقد اعتبر صاحب كتاب معجم الفرائد القرآنية كلمة "موءودة" من الفرائد التي لم يتكرر جذرها وهذا غير صحيح فقد جاء في آية الكرسي ( يؤوده ) وهي من نفس الجذر قال ابن فارس:" الواو والهمزة والدال: كلمة تدل على إثقال شيء بشيء. يقال للإبل إذا مشت بثقلها: لها وئيد...والموءودة من هذا، لأنها تدفن حية، فهي تثقل بالتراب الذي يعلوها. وأدها يئدها وأدا"[[210]](#footnote-210). وقال الزمخشري:" وأد يئد مقلوب من آد يئود: إذا أثقل. قال الله تعالى: (وَلا يَؤودُهُ حِفْظُهُما) لأنه إثقال بالتراب"[[211]](#footnote-211).

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

تتكون السورة من مقطعين مترابطين هما:

المقطع الأول: الآيات (1- 14):

بدأ سبحانه وتعالى هذه السورة الكريمة بذكر يوم القيامة، وما يكون فيه من حوادث عظام، ليفخم شأنه، وبين أنه حين تقع هذه الأحداث تعلم كل نفس ما قدمت من عمل خير أو شر، ووجدت ذلك أمامها ماثلاً، ورأت ما أعد لها من جزاء وتمنت إن كانت من أهل الخير أن لو كانت زادت منه، وإن كانت من أهل الشر أن لو لم تكن فعلته، واستبان لها أن الوعيد الذي جاء على ألسنة الرسل كان وعيدا صادقا، لا تهويل فيه ولا تضليل. والآيات من أول السورة إلى هنا شرط، وجوابه: علمت نفس ما أحضرت.

المقطع الثاني: الآيات ( 15- 29 ):

المعنى الإجمالي لهذا المقطع هو القسم بالكواكب المتخفية عن العين نهاراً -الجواري- التي تظهر في أفلاكها ليلا كالظباء في كناسها، فلا أقسم بهذا على أنه قول رسول كريم لظهور ذلك للعيان فلا يحتاج إلى إقسام، أو المعنى: لا أقسم بهذه الأشياء لعظمها فإنها عظيمة في نفسها ولو لم يقسم بها، والمعنى على القسم بها قسما مؤكدا، وأقسم بالليل إذا عسعس وأدبر ظلامه، والصبح إذا أضاء وظهر أقسم بهذا على أن القرآن قول رسول كريم وهو جبريل، وما صاحبكم هذا بمجنون كما يصفه المشركون، وما محمد على الوحى بمتهم.

ما هذا القرآن إلا ذكر وتذكرة وموعظة وعبرة، عظة للعالمين لمن شاء أن يستقيم على الجادة ويسير على سواء السبيل.

وبين المقطعين ترابط ففي المقطع الأول تخويف عظيم بمشاهد يوم القيامة وتهديد كبير يناسب تلك الاتهامات الكبيرة التي أطلقها المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم إذ وصفوه بالجنون والسحر وأنه متهم على الوحي وأن القرآن قول كاهن أو شيطان، فكان لا بد من ترهيبهم بهذه الأساليب والمشاهد لا ترغيبهم، ولذلك كان من مميزات هذه السورة اقتصارها – في الغالب- على أسلوب الترهيب دون الترغيب.

**المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.**

**المفردة الأولى: انكدرت:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

"الكاف والدال والراء أصل يدل على خلاف الصفو، والآخر يدل على حركة.

فالأول الكدر: خلاف الصفو، يقال كدر الماء وكدر. ويستعار هذا فيقال: كدر عيشه... وأما الأصل الآخر فيقال: انكدر، إذا أسرع، قال الله تعالى: [ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ] {التكوير:2}"[[212]](#footnote-212).

والاسم الكدرة والكدورة. والكدرة من الألوان: ما نحا نحو السواد والغبرة. وانكدر يعدو: أسرع بعض الإسراع، وفي الصحاح: أسرع وانقض. وانكدرت النجوم: تناثرت[[213]](#footnote-213).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ: أي: تناثرت، وتهافتت وتساقطت وعن ابن عباس: تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها، من قولهم: ماء كدر: أي متغير[[214]](#footnote-214).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة بصيغة الفعل الماضي للدلالة على سهولة تحقق هذا الأمر وحتميته[[215]](#footnote-215)، وجاءت على صيغة " انفعلت" للدلالة على عِظَم ما سيحدث بها من أفعال هائلة ولما تدل هذه الصيغة على الحركة.

وقُدِّمَ الفاعل "النجوم" على الفعل لتشويق السامع إلى ما سيحدث في النجوم من أفعال.

وجاءت الجملة بعد حرف " إذا " إشارةً إلى فجاءة الأمر وسرعته.

واختيرت هذه المفردة على غيرها من مرادفاتها –مقارباتها- كـ " تغيرت و تساقطت وتناثرت.." لأن هذه المفردة تعطي معنى الحركة والتلوين فالكدر ما نحا نحو السواد. وانكدر يعدو: أسرع وانقض، فكأنَّ هذه المفردة تدل على التناثر والسقوط والإنطفاء بسرعة.

**المفردة الثانية: الوحوش:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

قال الأزهري:" الوحش كل شيء من دواب البر مما لا يستأنس فهو وحشي والجميع الوحوش يقال هذا حمار وحش وحمار وحشي. وكل شيء يستوحش عن الناس فهو وحشي"[[216]](#footnote-216).

وقال ابن شميل:" يقال للواحد من الوحش هذا وحش ضخم وهذه شاة وحش، والجماعة هي الوحش والوحوش والوحيش"[[217]](#footnote-217).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

الوحش كل حيوان من دواب البر لا يستأنس بالإنسان، ولكن المفسرين اختلفوا في المراد من حشرها، على عدة أقوال هي:

الأول: قال ابن عباس: جمعت بالموت، فلا تبعث ولا يحضر في القيامة غير الثقلين[[218]](#footnote-218).

الثاني: وعن قتادة وجماعة: يحشر للحساب كل شيء حتى الذباب. فتحشر الوحوش حتى يقتص من بعضها لبعض، ثم يقتص للجماء من القرناء، ثم يقال لها موتي فتموت. وقيل: إذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته، كالطاووس ونحوه[[219]](#footnote-219).

الثالث: قال أُبيّ: تحشر في الدنيا في أول الهول تفر في الأرض وتجتمع إلى بني آدم تآنساً بهم[[220]](#footnote-220).

ولابن عاشور رأي جيد حيث قال:" جمعها في مكان واحد، أي مكان من الأرض عند اقتراب فناء العالم فقد يكون سبب حشرها طوفانا يغمر الأرض من فيضان البحار فكلما غمر جزءا من الأرض فرت وحوشه حتى تجتمع في مكان واحد طالبة النجاة من الهلاك، ويشعر بهذا عطف وإذا البحار سجرت عليه... وليس هذا الحشر الذي يحشر الناس به للحساب بل هذا حشر في الدنيا وهو المناسب لما عد معه من الأشراط، وروي معناه عن أبي بن كعب"[[221]](#footnote-221).

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

في هذه الآية قُدِّمَ نائب الفاعل "الوحوش" على الفعل "حشرت" لزيادة الإهتمام والتشويق وحُذف الفاعل للدلالة على أن الأمر حادث وواقع بصرف النظر عمن سيحدِثه، وفي ذلك اهتمام بذات الفعل تخويفاً وترهيباً.

وجاءت الجملة بعد حرف " إذا " إشارةً إلى فجاءة الأمر وسرعته وتحققه. وجاءت المفردة معرفةً بـ (أل) التعريف، وهي للجنس وهذا يفيد الشمول والاستغراق.

واختيرت هذه المفردة على غيرها من مرادفاتها كـ " الحيوانات.." لما في ذِكرِ الوحوش من إيماء إلى شدة الهول فالوحوش التي من طبعها نفرة بعضها عن بعض تتجمع في مكان واحد لا يعدو شيء منها على الآخر من شدة الرعب، فهي ذاهلة عما في طبعها من الاعتداء والافتراس[[222]](#footnote-222).

**المفردة الثالثة: كُشِطَت:**

الكشط هو الكشف الشيء جاء في العين:" كشط: الكشط: رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه وغشيه من فوقه"[[223]](#footnote-223).

وقال الليث:" الكشط: رفعك شيئا عن شيء قد غطاه وغشيه من فوقه، كما يقشط الجلد عن السنام وعن المسلوخة"[[224]](#footnote-224).

وقال ابن فارس:" الكاف والشين والطاء كلمة تدل على تنحية الشيء وكشفه. يقال: كشط الجلد عن الذبيحة. ويقولون: انكشط روعه، أي ذهب"[[225]](#footnote-225).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لم يختلف كلامُ المفسرين في تفسير هذه الآية فقد قال الفرّاء: يعني نُزِعَتْ فطُوِيَتْ. وقال ابن قتيبة: كشطت كما يُكْشَطُ الغِطَاء عن الشيء، فطُوِيَتْ. وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف[[226]](#footnote-226).

القراءات في المفردة:

في قراءة عبد الله «قُشِطَتْ» بالقاف، وهكذا تقول قيس، وتميم، وأسد، بالقاف. وأما قريش، فتقوله بالكاف، والمعنى واحد[[227]](#footnote-227). وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة بصيغة الفعل الماضي –كسائر الأفعال- للدلالة على تحقق الفعل وحتميته. وجاء بصيغة المبني للمجهول للاهتمام بذات الفعل بصرف النظر عن الفاعل لزيادة الرهبة أو لأن هذه الأفعال لا يقدر على فعلها إلا الخالق سبحانه وتعالى.

وجاءت الجملة بعد حرف "إذا" للدلالة على فجأة الأمر وسرعته كما جاءت الأفعال السابقة.

وجاءت هذه الأفعال كلها موافقة للفاصلة وهي التاء الساكنة وفي ذلك معنى التوقف والهمس، فالتاء من حروف الهمس والسكون وتُشعر بالترقب والتخوف مما سيأتي.

**المفردة الرابعة: الكُنَّس:**

جاء في العين:" كنس: الكنس: كسح القمام عن وجه الأرض. والكناسة: ملقاها. والكناس: مولج للوحش من البقر يستكن فيه من الحر والصر، وكنست، وتكنست: دخلته..."[[228]](#footnote-228).

وقال في تهذيب اللغة:" قال الزجاج: الكنس: النجوم تطلع جارية، وكنوسها: أن تغيب في مغاربها التي تغيب فيها. قال وقيل: الكنس: الظباء والبقر تكنس أي تدخل في كنسها إذا اشتد الحر. قالوا: والكنس: جمع كانس وكانسة"[[229]](#footnote-229)

فالكاف والنون والسين أصلان صحيحان، أحدهما يدل على سفر شيء عن وجه شيء، وهو كشفه. والأصل الآخر يدل على استخفاء[[230]](#footnote-230).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على قولين هما:

الأول: قاله علي والحسن وقتادة: هي النجوم والكواكب[[231]](#footnote-231). قال الرازي:" روي عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة أنها هي جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها"[[232]](#footnote-232).

وقال الزمخشري:" أي تخنس بالنهار وتكنس بالليل، أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها"[[233]](#footnote-233).

الثاني: قاله عبد الله والنخعي وجابر بن زيد وجماعة: المراد بالخنس الجوار الكنس: بقر الوحش، لأنها تفعل هذه الأفعال في كنائسها. وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك: هي الظباء، والخنس من صفة الأنوق لأنها يلزمها الخنس، وكذا بقر الوحش[[234]](#footnote-234).

والراجح الأول لأسباب[[235]](#footnote-235):

الأول: أنه قال بعد ذلك: (والليل إذا عسعس ) وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش.

الثاني: أن محل قسم الله كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى، ولا شك أن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش.

الثالث: أن (الخنس) جمع خانس من الخنوس، وأما جمع خنساء وأخنس من الخنس خنس بالسكون والتخفيف، ولا يقال: الخنس فيه بالتشديد إلا أن يجعل الخنس في الوحشية أيضا من الخنوس وهو اختفاؤها في الكناس إذا غابت عن الأعين.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه الآية وما قبلها في أسلوب القسم لتثبيت الكلام وتوكيده لأهمية المقسم عليه وهو القرآن وأنه من عند الله، والفاء لتفريع القسم وجوابه على الكلام السابق للإشارة إلى ما تقدم من الكلام هو بمنزلة التمهيد لما بعد الفاء[[236]](#footnote-236). وهذه حقيقة قرآنية مهمة مؤداها أن الآية أو الآيات القرآنية التي تتنزل بصيغة القسم تأتي بمثل هذه الصياغة المؤكدة من قبيل تنبيهنا إلى عظمة الأمر المقسَم به، وإلى أهميته في انتظام حركة الكون، أو في استقامة حركة الحياة أو فيهما معا، وذلك لأن الله غني عن القسم لعباده.

وفي الآية تشبيه بديع بالظباء واستعارة لكنوسها ليلاً لأن الخنوس اختفاء الوحش عن أنظار الصيادين ونحوهم، وكذلك الكواكب لأنها لا ترى في النهار لغلبة شعاع الشمس على أفقها وهي مع ذلك موجودة في مطالعها. وشبه ما يبدو للأنظار من تنقلها في سمت الناظرين للأفق باعتبار اختلاف ما يسامتها من جزء من الكرة الأرضية بخروج الوحش، فشبهت حالة بدوها بعد احتجابها مع كونها كالمتحركة بحالة الوحش تجري بعد خنوسها تشبيه التمثيل. وهو يقتضي أنها صارت مرئية فلذلك عقب بعد ذلك بوصفها بالكنس، أي عند غروبها تشبيها لغروبها بدخول الظبي أو البقرة الوحشية كناسها بعد الانتشار والجري. فشبه طلوع الكوكب بخروج الوحشية من كناسها، وشبه تنقل مرآها للناظر بجري الوحشية عند خروجها من كناسها صباحا، وشبه غروبها بعد سيرها بكنوس الوحشية في كناسها وهو تشبيه بديع[[237]](#footnote-237).

وجاءت الكلمة –حرفها- في فاصلة الآية وهي موافقة للآية السابقة واللاحقة ( السين ) وكأنها تحاكي تلك الحركة المنضبطة الهادئة للنجوم في الكون.

وفي الآية إعجاز علمي لم يُكتشف إلا في العصر الحديث قال د. زغلول النجار:" ومع جواز هذه المعاني كلها إلا أني أرى الوصف في هاتين الآيتين الكريمتين: [ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ] {التكوير:15-16}. ينطبق انطباقاً كاملاً مع حقيقةٍ كونيةٍ مبهرةٍ تمثل مرحلةً خطيرةً من مراحل حياة النجوم يسميها علماء الفلك اليوم باسم الثقوب السود (Black Holes)[[238]](#footnote-238). وهذه الحقيقة لم تُكتشف إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وورودها في القرآن الكريم الذي أنزل قبل ألف وأربعمائة سنة بهذه التعبيرات العلمية الدقيقة علي نبي أمي ( صلى الله عليه وسلم )، في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، هي شهادة صدق على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته، وعلى أن سيدنا محمداً بن عبدالله كان موصولاً بالوحي.

وإذا عرفنا أن هذه الحقيقة العلمية الغامضة لم تكتشف إلا في العصر الحديث عرفنا لمَ أقسم القرآن بها على أنَّ القرآن هو كلام الله وأن النبي صلى الله عليه وسلم صادق في تبليغه، وأن الذي أنزله هو الذي يعلم السر في السموات والأرض.

**المفردة الخامسة: عسعس**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

"العين والسين أصلان متقاربان: أحدهما الدنو من الشيء وطلبه، والثاني خفة في الشيء.

فالأول العس بالليل، كأن فيه بعض الطلب...وأما الأصل الآخر فيقال إن العس خفة في الطعام. يقال عسست أصحابي، إذا أطعمتهم طعاما خفيفا"[[239]](#footnote-239).

وقال الزمخشري في أساس البلاغة:" وعسعس الليل: مضى أو أظلم"[[240]](#footnote-240).

وجاء في تهذيب اللغة:" وكان أبو حاتم وقطرب يذهبان إلى أن هذا الحرف من الأضداد. وكان أبو عبيدة يقول ذلك أيضا: عسعس الليل أي أقبل، وعسعس إذا أدبر"[[241]](#footnote-241).

وقد استغربت كلام ابن فارس في أن عسعس مقلوب سعسع فقال:" فأما قولهم عسعس الليل، إذا أدبر، فخارج عن هذين الأصلين. والمعنى في ذلك أنه مقلوب من سعسع، إذا مضى. وقد ذكرناه. فهذا من باب سع"[[242]](#footnote-242). فلفظة عسعس تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما[[243]](#footnote-243).

والظاهر أن عسعس الليل معناه أقبل ودنا بهدوء وخفية.

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

اختلف المفسرون على قولين:

أحدهما: ولَّى وأدبر، قاله ابن عباس، وابن زيد، والفراء. والثاني: أقبل، قاله ابن جبير، وقتادة[[244]](#footnote-244).

والراجح أن هذه المفردة من الأضداد[[245]](#footnote-245) وليس المقصود ذات الإقبال أو الإدبار وإنما المقصود الدلالة على قدرة الله في تصريف الليل والنهار وسلخ النهار من الليل بكل هدوء ويُسر قال ابن عطية:" قال المبرد: أقسم الله بإقبال الليل وإدباره معا"[[246]](#footnote-246).

قال ابن عاشور:" وبذلك يكون إيثار هذا الفعل لإفادته كلا حالين صالحين للقسم به فيهما لأنهما من مظاهر القدرة إذ يعقب الظلام الضياء ثم يعقب الضياء الظلام، وهذا إيجاز"[[247]](#footnote-247).

وعطف على القسم بالليل القسم بالصبح حين تنفسه، أي انشقاق ضوئه لمناسبة ذكر الليل، ولأن

تنفس الصبح من مظاهر بديع النظام الذي جعله الله في هذا العالم.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة على صيغة الفعل للدلالة على سهولة تحقق هذا الأمر على الله في كل يوم. وجاءت المفردة في صيغة القسم لزيادة التوكيد. والابتداء بـ (إذا) أدخل التهويل والتشويق.

والإيقاع الصوتي للمفردة يدل على تكرر الفعل، فالمفردة مكررة من المقطع "عس". وجاءت المفردة في فاصلة الآية ( السين) وهو من حروف الهمس وكأنَّ فيه إشارة إلى ذاك الهدوء الذي يأتي مع الليل.

واختيرت هذه المفردة على مرادفاتها لما فيها من إيجاز فهي تصلح لمعنيين دالين على قدرة الله تعالى وبديع صنعه، ولما في هذا اللفظ من تكرر ومناسبةٍ لمعنى التكوير.

وقد يكون في الآية كناية فذهاب الليل كناية عن ذهاب ظلام االكفر والشرك وبزوغ فجر الاسلام.

**المفردة السادسة: ضنين:**

جاء في العين:" الضن والضنة والمضنة، كل ذلك من الإمساك والبخل"[[248]](#footnote-248).

وقال ابن فارس:" الضاد والنون أصل صحيح يدل على بخل بالشيء. يقال: ضننت بالشيء أضن به ضنا وضنانة، ورجل ضنين"[[249]](#footnote-249).

وقال ابن منظور:" والضن: الشيء النفيس المضنون به"[[250]](#footnote-250).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لم يختلف المفسرون في تحديد معنى "ضنين" قال القاسمي:" قال مجاهد:" ما يضن عليكم بما يعلم، أي: لا يبخل بالتعليم والتبليغ" وقال أبو علي الفارسي: "المعنى أنه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه، كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من إعلامه حتى يأخذ عليه حلوانا"[[251]](#footnote-251).

**القراءات في المفردة:**

1- ( ضنين) بالضاد: وهي قراءة الجمهور.

2- ( ظنين) بالظاء: قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس «بظنين» بالظاء[[252]](#footnote-252).

أي: ما هو بمتهم على ما يخبر به من الغيب، قال القاشاني:" لامتناع استيلاء شيطان الوهم وجن التخيل عليه، فيخلط كلامه ويمتزج المعنى القدسي بالوهمي والخيالي؛ لأن عقله صفي عن شوب الوهم"[[253]](#footnote-253). والمعنى أنه صادق فيما يخبر به من الوحي واليوم الآخر والجزاء، ليس من شأنه أن يتهم فيه.

وقد رجَّح بعض المفسرين قراءة على أخرى مع أن القراءتين متواترتان وكلاً منهما يعطي معنى مناسباً لسياق السورة. فقد قال قال الامام الطبري – رحمه الله ونفعنا بعلمه-:" وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب، ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة[[254]](#footnote-254) وإن اختلفت قراءتهم به، وذلك { بضنين } بالضاد ؛ لأن ذلك كله كذلك في خطوطها. فأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من تأوله: وما محمد على ما علمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس، بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلموه"[[255]](#footnote-255) واختار أبو عبيدة القراءة بالظاء لوجهين[[256]](#footnote-256):

أحدهما: أن الكفار لم يبخلوه، وإنما اتهموه، فنفي التهمة أولى من نفي البخل.

وثانيهما: قوله: { على الغيب } ولو كان المراد البخل لقال: بالغيب ؛ لأنه يقال: فلان ضنين بكذا، وقلما يقال: على كذا.

ولكن قال ابن كثير:" وكلتا القراءتين متواترة ومعناها صحيح كما تقدم"[[257]](#footnote-257)، فالمشركون اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بأن الوحي ليس من عند الله، والقرآن يرد عليهم في ذلك ويرد عليهم –حسب القراءة الثانية بالضاد- في أنه لو كان من عند نفسه لاتخذ عليه أجراً كالكهان ولبخل به قال الزجاج:" ما هو على الغيب ببخيل، أي هو يؤدي عن الله، ويعلم كتاب الله"[[258]](#footnote-258). ولذلك فكل قراءة تقوم مقام آية كما قال العلماء ولا حاجة لترجيح قراءة على أختها.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة بصيغة التقديم والتأخير فالأصل: "وما هو بضنين على الغيب " ولكنه قدّم الجار والمجرور لإفادة الإهتمام فالله يأتمنه على أثمن الأشياء وهو الوحي، وأخَّرَ "ضنين" موافقة للفاصلة ولتكون آخر ما يقرع السمع.

وجاءت الكلمة مجرورة بالباء ( بضنين ) وهي تفيد التبعيض فهو يرد عنه أقل بخل وأقل تهمة، فكأنه يشير إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتطرق له الشك والتهمة في أقل القليل فكيف بالوحي؟!

وتعلق "الغيب" بحرف الجر " على " لإفادة علو مرتبته عند الله فهو صلى الله عليه وسلم مأتمن على الغيب ائتمان السلطان على سلطانه[[259]](#footnote-259).

وفي الكلمة مجاز مرسل في الكتمان بعلاقة اللزوم لأن الكتمان بخل بالأمر المعلوم للكاتم، أي ما هو بكاتم الغيب، أي ما يوحى إليه، وذلك أنهم كانوا يقولون: (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) [يونس: 15] (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ) [الإسراء: 93]

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية والوحدة الموضوعية للسورة**

من مقاصد السورةالترهيب بذكر الأهوال التي تكون في يوم القيامة و تقرير عقيدة البعث والجزاء والحساب والترغيب في الإيمان والعمل الصالح والترهيب من الشرك والمعاصي و إثبات عدل الله المطلق و مشيئة الله تعالى المحيطة بمشيئة العباد و الدعوة إلى التفكر ببعض الآيات الكونية الدالة على قدرة الله تعالى. والدفاع عن القرآن والنبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام.

وقد جاءت المفردات اللفظية متناسبة مع هذه المقاصد ومع جو السورة:

أما المفردة الأولى ( انكدرت ) فهي تصف حال النجوم يوم القيامة وفي ذلك تخويف وترهيب فالكلمة في أصلها تدل على تغير لون النجوم إلى السواد بعد أن كانت مضيئة وتشير إلى سرعة سقوطها وتهافتها.

وأما المفردة الثانية ( الوحوش ) فهي تلقي بظلال الرعب والخوف، إذ إن هذه الوحوش التي من طبيعتها إخافة الناس في ذلك اليوم هي التي تخاف وتذهل لشدة الأهوال، وقدَّمت الآية الفاعل ( الوحوش ) على الفعل لزيادة التنبيه والاهتمام، وبذلك تتناسب مع جو السورة ومقصودها.

وأما المفردة الثالثة ( كشطت ) فقد جاءت هذه المفردة بصيغة الفعل الماضي –كسائر الأفعال- للدلالة على تحقق الفعل وحتميته. وجاء بصيغة المبني للمجهول للاهتمام بذات الفعل بصرف النظر عن الفاعل لزيادة الرهبة وهذا متناسب مع جو السورة. كما جاءت الجملة بعد حرف "إذا" للدلالة على فجأة الأمر وسرعته كما جاءت الأفعال السابقة. كما جاءت هذه الأفعال كلها موافقة للفاصلة وهي التاء الساكنة وفي ذلك معنى التوقف والهمس، فالتاء من أحرف الهمس، والسكون يدخل إلى النفس الترقب والتخوف مما سيأتي. وكل ذلك مع المقاصد التي ذكرتها.

وأما المفردة الرابعة ( الكنَّس ) فقد جاءت لإثبات أن الذي أنزل القرآن هو الذي يعلم السر في السموات والأرض، ولا يمكن أن يكون القرآن كلام بشر لوجود هذه الحقائق العلمية التي لم تكتشف إلا في العصر الحديث ولذلك اختصت هذه السورة – التي جاءت للرد على أقوال المشركين في القرآن- بهذه المفردة التي توضح سراً من أسرار الكون لا يعرفه إنسان في ذلك الوقت.

أما المفردة الخامسة ( عسعس ): فهي مفردة تدل بالاشتراك على إقبال الليل وإدباره معاً، وفيها دلالة على قدرة الله تعالى وبديع صنعه في خلق الأكوان ولذلك فهي متناسبة مع جو السورة ومقصودها.

واختيرت هذه المفردة على غيرها لما فيها من إيقاع صوتي مناسب لفاصلة المقطع ( السين ) إذ توحي الفاصلة المنضبطة بالانتظام في حركة الكنس وحركة الليل والنهار، ويوحي حرف السين بالصمت والسكت الذي يرافق الليل. واختيرت أيضاً لما فيها من تكرار مقطع ( عس ) وهو يوحي بتكرار الليل والنهار، وفي ذلك كله إظهار لقدرة الله على الإيجاد والإفناء وعلى خلق النور والظلام وعلى إيجاد المتضادات في مخلوقاته، وفي ذلك توجيه لأنظارهم وعقولهم للمقارنة بين وحي النبوة ووحي الكهانة، فوحي النبوة مصدره الله ولا أجر عليه ومقصوده صلاح الإنسان ونفعه في الدنيا والآخرة. ووحي الكهانة مصدره الشياطين ويطلبون عليه الأجر ومقصوده ليس صلاح الإنسان ونفعه.

أما المفردة السادسة ( بضنين ) وتعني: ببخيل أو بمتهم – على القراءة الأخرى- فهي مناسبة مع جو السورة ومحورها، فالسورة جاء فيها بعض الأسرار الكونية التي لا يمكن أن يعرفها محمد صلى الله عليه وسلم أو أي إنسان في ذلك العصر، فكيف تتهمونه على هذا الوحي الإلهي ولو كان كاذباً لأخطأ في آيات تصف أسرار السموات والأرض واقترنت الكلمة بالباء وهي للتبعيض وهي تفيد أن القرآن يدفع عن النبي عليه الصلاة والسلام التهمة والبخل ولو كان قليلاً.

أما علاقة عنوان السورة بمفرداتها فهي واضحة نوعاً ما فالانكدار هو تغير اللون إلى السواد والتكوير هو الانطفاء وذهاب النور والضياء، كذلك الحال بالنسبة لــ ( عسعس ) فهي تعني إقبال الليل -على قول- فالذي يقدر أن يظلم السماء كل ليلة قادر على أن إطفاء الشمس مطلقاً في يوم القيامة.

وأما مفردة (كُشِطت ) فهي متناسبة مع العنوان من حيث إن الفعلين يحدثان معاً وهما من مشاهد يوم القيامة المخيفة. وأما مفردة ( الكنس ) -وهي النجوم- فتناسبها مع العنوان ظاهر (التكوير) فهذه النجوم تضيء في السماء بقدرة الله تعالى ولكن يوم القيامة ستكور وتُطفأ كما تكور الشمس وتطفأ.

وأما حشر الوحوش فإن الحيوانات لا تجتمع مع بعضها إلا إذا أخافها شيء ويوم القيامة يخيفها تكوير الشمس وانطفاؤها وكشط السماء. وأما كلمة ( بضنين ) أي ببخيل فإن النبي عليه الصلاة والسلام لا يبخل بشيء فهو السراج المنير الذي لا ينطفئ وفي ذلك إشارة إلى أنه أفضل من الشمس لأن الشمس تنطفأ يوم القيامة.

وأما علاقة المفردات فيما بينها: فانكدار النجوم هو تساقطها وذلك لا يكون إلا عند كشط السماء أي إزالتها، فالإنكدار وكشط السماء مؤداهما واحد. ويتناسب (الإنكدار) مع (عسعس) من حيث إن الثانية تثبت قدرة الله على إظلام السماء كل ليلة، والأولى فيها وعيد بأن الله قادر على إظلام السماء وإسقاط النجوم يوم القيامة.

وتتناسب المفردة ( انكدرت ) و ( كُشطت ) مع ( الكنس ) من حيث إن هذه النجوم تجري وتسير في الفضاء ولا ممسك لها إلا الله ولكن في يوم القيامة تكشط السماء وتنكدر النجوم وتتساقط بقدرة الله تعالى وأمره. وتتناسب المفردة (عسعس) مع كلمة ( الوحوش ) من حيث إن الوحوش تظهر وتنتشر عند قدوم الليل، ولكنها يوم القيامة تظهر وتتجمع بسبب كشط السماء وانكدار النجوم وتساقطها ووقوع الظلام العام.

وتتناسب المفردة (بضنين) مع المفردات السابقة من حيث إن الذي يأتي بعلوم وحقائق كونية لا يعرفها العرب آنذاك ليس بمتهم على الوحي لأنها ليست من عنده، وأن الذي يخبر بمشاهد يوم القيامة كأنه يراها ليس بمتهم ولا ببخيل كالكهان الذين لا يخبرون من الغيب الا بالأجرة والحلوان.

وهكذا نرى أن اختصاص هذه السورة بهذه الانفرادات الستة يميزها عن غيرها وتجعلها وحدة موضوعية واحدة تظهر مفرداتها كإضاءات قوية أو كروابط يشد بعضها بعضاً. والله أعلم.

**الفصل الثاني**

**الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الثاني للحزب التاسع والخمسين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة.**

**المبحث الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة المطففين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة (المطففين) لافتتاحها بقوله تعالى: [ﯖ ﯗ ﯘ ] {المطففين:1} ولم يذكرها السيوطي في الإتقان في عداد السور ذوات أكثر من اسم وسماها "سورة المطففين"[[260]](#footnote-260). وعدد آيها ست وثلاثون[[261]](#footnote-261).

**ثانياً: وقت النزول:**

وقد اختلف في كونها مكية أو مدنية أو بعضها مكي وبعضها مدني. فعن ابن مسعود والضحاك ومقاتل في رواية عنه: أنها مكية، وعن ابن عباس في الأصح عنه وعكرمة والحسن السدي ومقاتل في رواية أخرى عنه: أنها مدنية[[262]](#footnote-262).

وهي معدودة السادسة والثمانين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة العنكبوت وقبل سورة البقرة.

**ثالثاً: سبب النزول:**

روى الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس قال لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى:[ﯖ ﯗ ﯘ ] {المطففين:1} فأحسنوا الكيل بعد ذلك[[263]](#footnote-263).

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

تتعلق هذه السورة بما قبلها من وجوه[[264]](#footnote-264):

- قال الله تعالى في آخر السورة المتقدمة واصفا يوم القيامة: [ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ] {الانفطار:19} وذلك يقتضي تهديدا عظيما للعصاة، فلهذا أتبعه هنا بقوله: ويل للمطففين والمراد: الزجر عن التطفيف: والبخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية. أما الكثير فيظهر، فيمنع منه.

- في كل من السورتين ذكر أحوال يوم القيامة.

أما مناسبتها لما بعدها –الإنشقاق- فإنهما يشتركان في الوعيد والتهديد للمشركين والعاصين.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة**

**أولاً: موضوعها[[265]](#footnote-265): ربط الأخلاق الاجتماعية بالإيمان**

عُنيت هذه السورة كسائر السور المكية بأمور العقيدة، وعلى التخصيص أحوال يوم القيامة وأهوالها، وعنيت بأمور الأخلاق الاجتماعية، وهي هنا تطفيف الكيل والميزان.

ابتدأت السورة الكريمة بإعلان الحرب على المطففين فى الكيل والوزن، الذين لا يخافون الآخرة، ولا يحسبون حسابا للوقفة الرهيبة، بين يدي أحكم الحاكمين، ثم أبانت أن كتاب الفجار الأشقياء في ديوان الشر، وأن مصيرهم أسفل السافلين في نار جهنم.

وأردفت ذلك على سبيل المقارنة والعبرة والجمع بين الترغيب والترهيب ببيان أن صحائف الأبرار في أعلى عليين، وأنها في كتاب مرقوم بعلامة متميزة عن صحائف الفجار.

وختمت السورة بوصف موقف المجرمين من المؤمنين، حيث كانوا يستهزئون ويضحكون منهم في الدنيا لإيمانهم وتقواهم ربهم، ثم انعكاس هذا الموقف في الآخرة حيث صار المؤمنون يتضاحكون من الأشقياء المجرمين ويسخرون منهم،وينظرون إليهم وهم يعذبون في النار وما يلقونه من النكال.

**ثانياً: مقاصدها:**

- التخويف من وعيد الله تعالى وعذابه لمن يكفر بالله واليوم الآخر.

- التحذير من صفات ذميمة تتمثل في السورة بالتطفيف في الموازين والمكاييل، وبالمعنى الأعم يشمل التطفيف الظلم وأكل حقوق الناس.

- التفريق بين مآل الكفار ومآل المؤمنين، فالكفار في أسفل سافلين ومحجوبون عن الله، وأما المؤمنون ففي عليين ولهم النعيم المقيم.

- التفصيل في عذاب المجرمين ليزدادوا خوفاً ورهباً، والتفصيل في نعيم الأبرار ليزدادوا طمعاً وغباً.

- تقرير عقيدة البعث والحساب ورؤية الله في الآخرة.

- ربط الأخلاق بالإيمان والعقيدة قال دروزة:" تقرير كون التطفيف من الأخلاق الهامة التي عنى القرآن بإيجابها لما له من صلة بجميع الناس تتكرر في كل وقت. وهذا التقرير ما فتىء القرآن يقرره وهو أن جرأة كثير من الناس على الآثام تأتي من عدم مراقبتهم الله وحسبانهم حساب الآخرة"[[266]](#footnote-266).

- التأكيد على أن المعاصي سبب الصدِّ عن سماع القرآن وقبول الحق. و التحذير من مواصلة الذنوب وعدم التوبة منها.

- تحريم السخرية بالمؤمنين والضحك منهم ومن أحوالهم.

- لفت أنظار السامعين إلى أن التنافس ينبغي أن يكون في الأعمال الصالحة لا في الأمور الدنيوية.

- فضحُ أسرار الكافرين حيث يستهزؤون بالمؤمنين ويلمزونهم.

- إكرام الله لعباده المؤمنين والثأر لهم من الكافرين.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث الأسلوب والمضمون:**

1- تتميز السورة من حيث المضمون بربط الأخلاق الاجتماعية بالإيمان والعقيدة، فهذه السورة تصور قطاعا من الواقع العملي الذي كانت الدعوة تواجهه إلى جانب ما كانت تستهدفه من إيقاظ القلوب، وهز المشاعر، وتوجيهها إلى هذا الحدث في حياة العرب[[267]](#footnote-267).

2- براعة الاستهلال: حيث افتتحت باسم الويل مؤذنة بأنها تشتمل على وعيد فلفظ ويل من براعة الاستهلال، ومثله قوله تعالى: [ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ] {المسد:1}[[268]](#footnote-268)، وهذه ثانية سورتين ابتدأتا بكلمة (الويل) التقريعية وهو ما يشير إلى أسلوب ما في افتتاح السور.

3- من مميزات السورة تكرار أنواع التهديد والتخويف مناسبة لإنكار تلك الأخلاق[[269]](#footnote-269).

4- تكرار الاستفهام الإنكاري والتعجبي تعجيباً من أحوال الكفار.

5- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي[[270]](#footnote-270):

- التنكير للتهويل والتفخيم [ﯖ ﯗ ﯘ ] {المطففين:1}.

- الطباق بـ{يَسْتَوْفُونَ} و {يُخْسِرُونَ}.

- المقابلة بين حال الفجار والأبرار {كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفجار..} الخ و {كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأبرار لَفِي عِلِّيِّينَ } الخ.

- التفخيم والتعظيم لمراتب الأبرار {وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ}؟

- الإِطناب بذكر أوصاف ونعيم المتقين [ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ عَلَى الأرآئك يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النعيم] {المطففين:22-23}.

- التشبيه البليغ {خِتَامُهُ مِسْكٌ} أي كالمسك في الطيب والبهجة، فحذف منه الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغاً.

- توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل {يَضْحَكُونَ، يَنظُرُونَ، يَكْسِبُونَ، يَفْعَلُونَ} الخ.

6- اختصت السورة بمفردات لم تتكرر في غيرها وهي: لِلْمُطَفِّفِينَ، رَانَ، سجين، يَتَغَامَزُونَ، تَسْنِيمٍ، رَحِيقٍ.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

تتألف السورة من ثلاثة مقاطع:

يبدأ المقطع الأول منها بإعلان الحرب على المطففين:[ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫﯬ ﯭ ﯮﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ] (المطففين 1-6)

ويتحدث المقطع الثاني عن المؤمنين والكافرين فيصور أحوال الكافرين في شدة وردع وزجر، وتهديد بالويل والهلاك، ودمغ بالإثم والاعتداء، وبيان لسبب هذا العمى وعلة هذا الانطماس، وتصوير لجزائهم يوم القيامة، وعذابهم بالحجاب عن ربهم، كما حجبت الآثام في الأرض قلوبهم، ثم بالجحيم مع الترذيل والتأنيب: [ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ] (المطففين: 7-17).

ثم يعرض الصفحة المقابلة صفحة الأبرار ورفعة مقامهم والنعيم المقرر لهم ونضرته التي تفيض على وجوههم والرحيق الذي يشربون وهم على الأرائك ينظرون. وهي صفحة ناعمة وضيئة: [ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮯ ﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦﯧ ﯨ ﯩ ﯪﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ] (المطففين: 18-28).

والمقطع الأخير يصف ما كان الأبرار يلاقونه في عالم الغرور الباطل من الفجار من إيذاء وسخرية وسوء أدب. ليضع في مقابله ما آل إليه أمر الأبرار وأمر الفجار في عالم الحقيقة الدائم الطويل:[ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ](المطففين: 29-34).

والسورة في عمومها تمثل جانباً من بيئة الدعوة، كما تمثل جانباً من أسلوب الدعوة في مواجهة واقع البيئة، وواقع النفس البشرية[[271]](#footnote-271).

وبين المقاطع تناسب وترابط فبعد بيان عظم ذنب التطفيف، وبيان سببه وهو إنكار البعث والحساب أو الغفلة عنهما، ردعهم الله تعالى عن الأمرين معاً، ثم بين أن كل ما يعمل من خير أو شر، فإنه مكتوب مسطر عند الله، ثم زجر القائلين بإنكار البعث، وأوضح سبب قولهم وهو انغماسهم في المعاصي التي حجبت قلوبهم عن رؤية الحق والباطل، وأعقب ذلك بيان جزائهم وهو طردهم من رحمة الله ودخولهم نار جهنم.

والمقطع الثالث هو بيان للجزاء الذي يستحقه الكفار في الآخرة بسبب أعمالهم في الدنيا، فالمقطع الثالث هو نتيجة المقطع الأول والثاني.

**المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها**

**المفردة الأولى: للمطففين:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الطاء والفاء يدل على قلة الشيء قال ابن فارس:" يقال: هذا شيء طفيف. ويقال: إناء طفان، أي ملآن. والتطفيف: نقص المكيال والميزان. قال بعض أهل العلم: إنما سمي بذلك لأن الذي ينقصه منه يكون طفيفاً. ويقال لما فوق الإناء: الطفاف والطفافة "[[272]](#footnote-272).

ونقل أبو عبيد عن الكسائي:" إناء طفاف وهو الذي يبلغ الكيل طفافه"[[273]](#footnote-273).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

ذهب المفسرون إلى قولين قريبين في تفسير التطفيف هما:

الأول: هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية[[274]](#footnote-274).

والثاني: هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان قال ابن جزي:" وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس في المكيال والميزان، بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره"[[275]](#footnote-275)

وإنما قيل للفاعل مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء الخفي الطفيف.

فالتطفيف: الخروج عن سواء السبيل فى الكيل والميزان[[276]](#footnote-276)، زيادة أو نقصا.

وقد جاءت الأحاديث بالتحذير من التطفيف وبيان أنه سبب للعذاب والقحط فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:"خمس بخمس، قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال:ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر."[[277]](#footnote-277) وأكثر العلماء على أن قليل التطفيف وكثيره يوجب الوعيد[[278]](#footnote-278).

ولسيد قطب كلام جميل في توسيع معنى التطفيف ليشمل الحالة الصارخة من الظلم والانحراف الأخلاقي في التعامل ليقوم الإسلام بتنظيم الحياة كلها وفق المنظور الرباني[[279]](#footnote-279).

ويرى بعض المفسرين أن للتطفيف معنى أخلاقياً آخر حيث قال الشيخ أبو القاسم القشيري رحمه الله:" لفظ المطفف يتناول التطفيف في الوزن والكيل، وفي إظهار العيب وإخفائه، وفي طلب الإنصاف والانتصاف، ومن لم يرض لأخيه المسلم ما يرضاه لنفسه، فليس بمنصف، والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه، فهو من هذه الجملة"[[280]](#footnote-280).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة مقترنة بالويل واللام وفي ذلك مبالغة في التهديد والتخويف وكأن هذا الويل مختص بهؤلاء المطففين والويل كلمة دعاء بسوء الحال، وهو في القرآن وعيد بالعقاب وتقريع.

وجاءت المفردة بصيغة مزيدة لا مجردة وفي ذلك معنى التكلف في الغش والتحايل ولو بالقليل قال ابن عاشور:" كأنهم راعوا في صيغة التفعيل معنى التكلف والمحاولة لأن المطفف يحاول أن ينقص الكيل دون أن يشعر به المكتال"[[281]](#footnote-281).

وأما الدلالة الصوتية للكلمة ففيها – فيما أرى- إزدراءً وتأففاً من فعلهم إذ تكرر حرف الفاء فيها.

**المفردة الثانية: سجين[[282]](#footnote-282):**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

اختلف أهل اللغة في هذا اللفظ هل هو مشتق؟ أو علم غير مشتق؟ وهل نونه مبدلة من اللام؟ وهذه أقوالهم استخلصتها من كتب المعاجم:

الأول: سجين مشتق من السجن قال ابن منظور:" سجين: فعيل من السجن. والسجين: السجن. وسجين: واد في جهنم، نعوذ بالله منها، مشتق من ذلك"[[283]](#footnote-283). ومن هذا المعنى قولهم: السجين الشديد قال ابن فارس:" والوجه في هذا أنه قياس الأول من السجن، وهو الحبس ; لأنه إذا كان ضربا شديدا ثبت المضروب، كأنه قد حبسه"[[284]](#footnote-284).

الثاني: أنه علم غير مشتق: قال الأصمعي:" السجين من النخل: السلتين بلغة أهل البحرين. والعرب تقول: سجين مكان سلتين، وسلتين ليس بعربي"[[285]](#footnote-285). فيكون سجين على هذا القول لفظاً عربياً.

الثالث: أن نونه مبدلة من اللام فسجيل وسجين واحد: ولكنهم اختلفوا في معناه أيضاً فقال المؤرج: سجيل وسجين: دائم. وقال بعضهم: سجيل من السجل كقولك: من سجل ما كتب لهم، وقيل: سجيل وسجين حجارة في جهنم. قال مجاهد: لفي سجين في الأرض السابعة، وقيل: في سجين في حجر تحت الأرض السابعة [[286]](#footnote-286).

وأولى الأقوال عندي المناسب لسياق الآيات هو أنه علم دال على موضع في جهنم أو دال على كتاب الفجار في جهنم. قال ابن عاشور:" وسجين حروف مادته من حروف العربية، وصيغته من الصيغ العربية، فهو لفظ عربي، ومن زعم أنه معرب فقد أغرب. روي عن الأصمعي: أن العرب استعملوا سجين عوضا عن سلتين، وسلتين كلمة غير عربية. ونون سجين أصلية وليست مبدلة عن اللام، وقد اختلف في معناه على أقوال أشهرها وأولاها أنه علم لواد في جهنم، صيغ بزنة فعيل من مادة السجن للمبالغة مثل: الملك الضليل، ورجل سكير، وطعام حريف (شديد الحرافة وهي لذع اللسان). سمي ذلك المكان سجينا لأنه أشد الحبس لمن فيه فلا يفارقه وهذا الاسم من مصطلحات القرآن لا يعرف في كلام العرب من قبل ولكن مادته وصيغته موضوعتان في العربية وضعا نوعيا، وقد سمع العرب هذا الاسم ولم يطعنوا في عربيته"[[287]](#footnote-287).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

ذكر المفسرون في هذه المفردة عدة أقوال هي:

الأول: أنها الأرض السابعة، وهذا قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل[[288]](#footnote-288). وروي عن مجاهد قال: «سجين» صخرة تحت الأرض السابعة، جعل كتاب الفاجر تحتها، وهذه علامة لخسارتهم، ودلالة على خساسة منزلتهم[[289]](#footnote-289).

والثاني: أن المعنى: إن كتابهم لفي سفال، قاله الحسن. والثالث: لفي خسار، قاله عكرمة[[290]](#footnote-290).

والرابع: لفي حبس، فعِّيل من السجن، قاله أبو عبيدة[[291]](#footnote-291).

والخامس: من سجل أي ما كتب لهم، قال: وهذا القول إذا فسر فهو أبينها لأن من كتاب الله تعالى دليلا عليه، قال الله تعالى: [ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ] {المطففين:7-9}؛ وسجيل في معنى سجين، المعنى أنها حجارة مما كتب الله تعالى أنه يعذبهم بها. وقد قال أبو اسحاق الزجاج:" وهذا أحسن ما مر فيها عندي"[[292]](#footnote-292). وقال الرازي:" وفيه وجه ثالث: وهو أن يكون المراد من الكتاب، الكتابة فيكون في المعنى: كتابة الفجار في سجين، أي كتابة أعمالهم في سجين، ثم وصف السجين بأنه كتاب مرقوم فيه جميع أعمال الفجار"[[293]](#footnote-293).

وأولى الأقوال عندي-كما قلتُ سابقاً- المناسب لسياق الآيات هو أنه علم دال على موضع في جهنم ولو قلنا بأنه كتاب تسجل فيه أعمالهم لكان حسناً ومناسباً لأحوال المطففين الذين يبالغون في تسجيل أرباحهم وتجارتهم. قال ابن جزي:"وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة، وقد عظم أمره بقوله: [ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ] {المطففين:8}، ثم فسره بأنه كِتابٌ مَرْقُومٌ أي مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار، والفجار"[[294]](#footnote-294)

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب::**

جاءت هذه المفردة على صيغة ( فِعِّيل ) من مادة سجن للمبالغة و سمي ذلك المكان سجينا لأنه أشد الحبس لمن فيه فلا يفارقه.

وكرر هذا اللفظ على صيغة سؤال (وما أدراك ما سجين) لإثارة التعجب في نفس السامع، و تهويلاً لأمر السجين ولتفظيع حال الواقعين فيه، ولأنه مهما وُصِفَ من أمره فلن يحاط به.

وجاءت هذه المفردة غريبة غير مشهورة في كلام العرب لزيادة غرابة التهويل والتخويف الذي فيه قال ابن عاشور:" وهذا الاسم من مصطلحات القرآن لا يعرف في كلام العرب"[[295]](#footnote-295).

وفي الآية مجاز يدل على أن الفجار أنفسهم في سجين قال ابن عاشور:" وإن حملت الظرفية في قوله: (لفي سجين) على غير ظاهرها، فجعل كتاب الفجار مظروفا في سجين مجاز عن جعل الأعمال المحصاة فيه في سجين، وذلك كناية رمزية عن كون الفجار في سجين"[[296]](#footnote-296).

**المفردة الثالثة: ران:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الراء والياء والنون أصل يدل على غطاء وستر. فالرين: الغطاء على الشيء. وقد رين عليه، كأنه غشي عليه. ورانت الخمر على قلبه: غلبت[[297]](#footnote-297).

وقال أبو معاذ النحوي: الرين: أن يسود القلب من الذنوب. والطبع: أن يطبع على القلب، وهو أشد من الرين، وهو الختم. قال: والإقفال أشد من الطبع، وهو أن يقفل على القلب[[298]](#footnote-298).

قال أبو عبيد: كل ما غلبك وعلاك فقد ران بك، وران عليك، وقال: رانت به الخمر، أي غلبت على قلبه وعقله. وعن ابن الأعرابي: الرينة: الخمرة. وجمعها: رينات[[299]](#footnote-299).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

فسرت السنة النبوية معنى الرين فقد روى الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذي ذكر الله في كتابه: كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[[300]](#footnote-300).

قال الرازي:" فالمعنى ليس الأمر كما يقوله من أن ذلك أساطير الأولين، بل أفعالهم الماضية صارت سبباً لحصول الرين في قلوبهم"[[301]](#footnote-301)

وللتابعين ومن بعدهم كلام متشابه في تفسير الرين فقد قال الحسن ومجاهد: هو الذنب على الذنب، حتى تحيط الذنوب بالقلب، وتغشاه فيموت القلب[[302]](#footnote-302).

وللإمام الرازي كلام نفيس هنا يعادل تلك النظريات النفسية المعاصرة حيث قال:" لا شك أن تكرر الأفعال سبب لحصول ملكة نفسانية، فإن من أراد تعلم الكتابة فكلما كان إتيانه بعمل الكتابة أكثر كان اقتداره على عمل الكتابة أتم، إلى أن يصير بحيث يقدر على الإتيان بالكتابة من غير روية ولا فكرة، فهذه الهيئة النفسانية، لما تولدت من تلك الأعمال الكثيرة كان لكل واحد من تلك الأعمال أثر في حصول تلك الهيئة النفسانية، إذا عرفت هذا فنقول: إن الإنسان إذا واظب على الإتيان ببعض أنواع الذنوب، حصلت في قلبه ملكة نفسانية على الإتيان بذلك الذنب... "[[303]](#footnote-303). ثم أخذ يشرح سبب إقفال القلوب وظلمتها أعاذنا الله منها.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة مسبوقة بـ ( كلا بل ) لزيادة الردع والإيصال فكلا اعتراض بالردع، لأن كلا ردع لقولهم أساطير الأولين، أي أن قولهم... باطل. وحرف بل للإبطال تأكيداً لمضمون كلا وبيانا وكشفا لما حملهم على أن يقولوا في القرآن ما قالوا وأنه ما أعمى بصائرهم من الرين[[304]](#footnote-304).

وجاء هذا اللفظ بصيغة الفعل الماضي للدلالة على أنه قد أُقفل على قلوبهم ولا تنفعهم المواعظ، وجاء بكلمة الرين بدلاً عن الغطاء أو الستر والمعنى واحد لأن الرين تستعمل في الخمر فكأنهم في سكرات لا يبصرون ولا يعقلون وذلك أبلغ من الستر والغطاء. والمعنى: غطت على قلوبهم أعمالهم أن يدخلها فهم القرآن والبون الشاسع بينه وبين أساطير الأولين.

ومجيء يكسبون بصيغة المضارع دون الماضي لإفادة تكرر ذلك الكسب وتعدده في الماضي[[305]](#footnote-305).

**المفردة الرابعة: الرحيق:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الراء والحاء والقاف كلمة واحدة. وهي الرحيق: اسم من أسماء الخمر، ويقال هي أفضلها[[306]](#footnote-306).

وقال في لسان العرب:" الرحيق: من أسماء الخمر معروف؛ قال ابن سيده: وهو من أعتقها وأفضلها، وقيل: الرحيق صفوة الخمر. وقال الزجاج: الرحيق الشراب الذي لا غش فيه..."[[307]](#footnote-307)

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

للمفسرين أقوال في تفسير الرحيق هي:

الأول: أنه الخمر، قاله الجمهور، ثم اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقوال: أحدها: أجود الخمر، قاله الخليل بن أحمد. والثانية: الخالصة من الغش، قاله الأخفش. والثالث: الخمر البيضاء، قاله مقاتل. والرابع: الخمر العتيقة، حكاه ابن قتيبة[[308]](#footnote-308).

والقول الثاني: أنه عين في الجنة مشوبة بالمسك، قاله الحسن[[309]](#footnote-309).

والثالث: أنه الشراب الذي لا غش فيه، قاله ابن قتيبة، والزّجّاج[[310]](#footnote-310).

وأولى هذه الأقوال هو القول الأول فالرحيق اسم للخمر الصافية الطيبة.

وللرحيق صفات أربع هي:

الأولى: أنه شراب مختوم قد ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان.

الثانية: ختامه مسك، أي عاقبته المسك، بمعنى أن يختم له آخره بريح المسك.

الثالثة: أنه محل التنافس والتنازع لرفعته وطيبه. الرابعة: مزاجه من تسنيم، أي مزاج ذلك الرحيق الذي يخلط به من تسنيم، وهو شراب ينصب عليهم من علو، وهو أشرف شراب في الجنة[[311]](#footnote-311).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

استعمل القرآن هذا اللفظ وهو اسم لا فعل له كما قال أهل اللغة وفي ذلك –كما أرى – إشارة إلى أن هذا الشراب ثابت لا يتغير ولا يفسد كشراب الدنيا، فالفعل دال على التغير والحدوث والاسم دال على الثبات.

وفي الآيات تقديم وتأخير يفيد الحصر قال ابن عاشور:" وتقديم المجرور-وفي ذلك- لإفادة الحصر أي وفي ذلك الرحيق فليتنافس الناس لا في رحيق الدنيا الذي يتنافس فيه أهل البذخ ويجلبونه من أقاصي البلاد وينفقون فيه الأموال"[[312]](#footnote-312).

ومن صفات الرحيق أنه مختوم بالمسك تمييزا له عن شراب الدنيا الذي قد تكون رائحته كريهة أو للدلالة على أنه مصون بالمسك قال ابن عاشور:"والمختوم: المسدود إناؤه، أي باطيته، وهو اسم مفعول من ختمه إذا شد بصنف من الطين معروف بالصلابة إذا يبس فيعسر قلعه وإذا قلع ظهر أنه مقلوع كانوا يجعلونه للختم على الرسائل لئلا يقرأ حاملها ما فيها ولذلك يقولون من كرم الكتاب ختمه ويجعلون علامة عليه.

وجملة: ختامه مسك نعت لـ رحيق أو بدل مفصل من مجمل، أو استئناف بياني ناشىء عن وصف الرحيق بأنه مختوم أن يسأل سائل عن ختامها أي شيء هو من أصناف الختام لأن غالب الختام أن يكون بطين أو سداد. وفي الآية التي تليها تعلق بها {خِتَامُهُ مِسْكٌ} وفيها تشبيه بليغ أي كالمسك في الطيب والبهجة، فحذف منه الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغاً[[313]](#footnote-313).

ومن زيادة الترغيب في هذا الرحيق توجيه التنافس في الحصول عليه بدلاً من التنافس المطففين على الأرباح الدنيوية الخسيسة. قال ابن جزي:"والتنافس في الشيء هو الرغبة فيه، والمغالاة في طلبه والتزاحم عليه"[[314]](#footnote-314).

مناسبته الرحيق الصافي الطيب لما ياكله المطففون من حرام ولما غطى على قلوبهم من رين.

**المفردة الخامسة: تسنيم:**

أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:

تسنيم جذرها (سنم) وسنام البعير والناقة: أعلى ظهرها، وسنام كل شيء: أعلاه..ومجد مسنم: عظيم. وسنم الشيء وتسنمه: علاه"[[315]](#footnote-315).

ولذلك نلاحظ أن ( السنم ) يدل على العلو والرفعة والعظمة.

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

للمفسرين في التسنيم قولان:

أحدهما: أنه اسم عين في الجنة، قال ابن مسعود: وهي عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين. وقالوا: تسنيم علم لعين في الجنة منقول من مصدر سنم الشيء إذا جعله كهيئة السنام، ووجهوا هذه التسمية بأن هذه العين تصب على جنانهم من علو فكأنها سنام. قال مقاتل: وإنما سمي تسنيماً، لأنه يتسنّم عليه من جنة عدن، فينصبُّ عليهم انصباباً، فيشربون الخمر من ذلك الماء[[316]](#footnote-316).

والثاني: أن التسنيم هو اسم شراب وهو أرفع شراب أهل الجنة، قاله الضحاك. قال ابن قتيبة: يقال: إن التسنيم أرفع شراب في الجنة[[317]](#footnote-317).

ولا أرى خلافاً حقيقياً بين القولين وأقول جمعاً بين الأقوال: إن تسنيم هو أرفع شراب أهل الجنة من حيث القدر والمكانة وهو مع ذلك يصب عليهم من علو زيادة في تعظيمة ورفعته.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاء هذا اللفظ غريباً غير مشهور لزيادة التشوق له قال ابن عاشور:" وهذا العلم عربي المادة والصيغة ولكنه لم يكن معروفا عند العرب فهو مما أخبر به القرآن، ولذا قال ابن عباس لما سئل عنه: «هذا مما قال الله تعالى: [ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ] {السجدة:17}"[[318]](#footnote-318).

وجاءت حروف هذه الكلمة رقيقة رخوة دالة على ذاك الشراب حيث تشعرك الكلمة بانسياب الشراب في الفم.

ولزيادة التشويق والترغيب أتبعها ببيان لها فقال: [ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ] {المطففين:28} فنصب "عيناً" على المدح، وعدى الفعل "يشرب" بالباء وهي للملابسة أي يشربون الرحيق ملابسين للعين، أي محيطين بها وجالسين حولها[[319]](#footnote-319).

وفي اختيار هذا اللفظ مناسبة لذكر المطففين فإن التطفيف إنقاص الكيل عن قدره قليلاً والسنم عكسه قال أبو زيد:" سنمت الإناء تسنيما إذا ملأته"[[320]](#footnote-320).

**المفردة السادسة: يتغامزون**

أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:

الغين والميم والزاء أصل صحيح، وهو كالنخس في الشيء بشيء، ثم يستعار لمعان أخر. من ذلك: غمزت الشيء بيدي غمزا. ثم يقال: غمز، إذا عاب، ومما يستعار: غمز بجفنه: أشار. ومنه: غمز الدابة من رجله، كأنه يغمز الأرض برجله[[321]](#footnote-321).

وقال ابن منظور:" الغمز: الإشارة بالعين والحاجب والجفن، غمزه يغمزه غمزا... والمغامز: المعايب. وفعلت شيئاً فاغتمزه فلان أي طعن علي ووجد بذلك مغمزا"[[322]](#footnote-322).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

ذهب المفسرون إلى أن معنى ( يَتَغامَزُونَ ) أي: يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينيه فالتغامز: تفاعل من الغمز ويطلق الغمز على تحريك الطرف لقصد تنبيه الناظر لما عسى أن يفوته النظر إليه من أحوال في المقام وكلا الإطلاقين يصح حمل المعنى في الآية عليه[[323]](#footnote-323). وأما ضمير يتغامزون فيعود إلى الذين أجرموا.

وقال ابن جزي:"أي: يشيرون بالجفن والحاجب استهزاءً بهم"[[324]](#footnote-324). وقال الرازي:" ويكون الغمز أيضا بمعنى العيب وغمزه إذا عابه، وما في فلان غميزة أي ما يعاب به، والمعنى أنهم يشيرون إليهم بالأعين استهزاء ويعيبونهم"[[325]](#footnote-325).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه الجملة معطوفة على جملة مؤكدة (إن الذين أجرموا..) لإفادة الاهتمام بالكلام ليتوجه بذلك الافتتاح جميع السامعين إلى استماعه للإشعار بأنه خبر مهم.

وجاءت هذه الكلمة على صيغة "التفاعل" وفيها معنى التكلف في إظهار عيوب المؤمنين وتصنع الإستهزاء بهم وفي ذلك إشارة إلى ما يحمله المجرمون من حقد وكره للمؤمنين.

وجاءت بصيغة الفعل المضارع للدلالة على أن فعلهم متجدد وفيه إشارة إلى أن حقدهم يتجدد كلما رأوا المؤمنين حسداً من عند أنفسهم.

وفي هذه الكلمة تفاعل كما في التطفيف تفعيل فكأن أمر الكفار قائم على التكلف والتزيد دون وجود الإطمئنان النفسي في حياتهم.

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية ومحور السورة واسمها**

من مقاصد السورة: التخويف من وعيد الله تعالى والتحذر من عذابه، والتفصيل في عذاب المجرمين ليزدادوا خوفاً ورهباً، والتفصيل في نعيم الأبرار ليزدادوا طمعاً وغباً، و ربط الأخلاق بالإيمان والعقيدة و التحذير من مواصلة الذنوب وعدم التوبة منها، ولفت أنظار السامعين إلى أن التنافس ينبغي أن يكون في الأعمال الصالحة لا في الأمور الدنيوية، وإكرام الله لعباده المؤمنين و فضحُ أسرار الكافرين.

وهذه المفردات التي اختصت بها السورة تتناسب مع مقاصدها تناسباً قوياً كما يأتي:

فالمطففون هم الذين يأكلون حقوق الآخرين بسبب طمعهم وعدم خوفهم من حساب الله وعقابه، فقدَّم القرآن على ذكرهم كلمة الويل للدلالة عن شدة العذاب ثم أتبع ذلك الحديث عما أعده الله لهم في جهنم لكي يكون لهم زاجراً ورادعاً. وجاءت الكلمة على صيغة " تفعيل " وكأنهم يتكلفون هذا الفعل ويصرون عليه ولا يتراجعون عنه.

وهؤلاء المطففون الذين لا يؤمنون بالآخرة هم نفسهم الذين يستهزؤون بالمؤمنين ويتغامزون عند رؤيتهم، والتغامز على صيغة "تفاعل" من الغمز فهم أيضاً يصرون على الاستهزاء بالمؤمنين ويظهرون عيوبهم مع أنهم هم أصحاب العيوب وهم الذين يغشون الناس ويأكلون حقوقهم فالله عالم بكل أفعالهم وحركاتهم من الغش والاحتيال ومن الغمز والاستهزاء الخفي، فكانت أول السورة وآخرها فاضحةً لأحوال هؤلاء المجرمين وكان ما بين ذلك بيانٌ لما أعده الله لهم من عذاب وخزي وتحقير.

وكان مما أعده الله لهم مما لا يعرفه أحد "سجين " وهو ما احتار فيه المفسرون ووجود هذه الحيرة فيه حكمة وهو إبقاء الخوف والرهبة من هذا المكان. ولكن أقرب الأقوال وهو المناسب لسياق الآيات هو أنه علم دال على موضع في جهنم، ولو قلنا بأنه كتاب تسجل فيه أعمالهم لكان حسناً ومناسباً لأحوال المطففين الذين يبالغون في تسجيل أرباحهم وتجارتهم. وسجين على وزن فعيل للمبالغة، وقد عظم أمره بتكرار السؤال عنه وهو مكان الحبس والتضييق في جهنم ومكان الهوان والعذاب.

ثم زاد القرآن في فضحهم وبيان سبب صدهم عن سبيل الله وبعدهم عن سماع القرآن وهو وجود "الرين" على قلوبهم بسبب ما يأكلونه من حقوق الناس وبسبب ما يقولونه عن القرآن فلا تنفعهم المواعظ بسبب فساد قلوبهم، وتتناسب هذه المفردة مع مقاصد السورة في الترهيب والتحذير بأنها مسبوقة بـ ( كلا بل ) لزيادة الردع والإيصال فكلا اعتراض بالردع، لأن كلا ردع لقولهم أساطير الأولين، أي أن قولهم... باطل. وحرف بل للإبطال تأكيداً لمضمون كلا وبيانا وكشفا لما حملهم على أن يقولوا في القرآن ما قالوا وأنه ما أعمى بصائرهم من الرين.

وجاء هذا اللفظ بصيغة الفعل الماضي للدلالة على أنه قد أُقفل على قلوبهم ولا تنفعهم المواعظ، واستعمل كلمة "الرين" بدلاً عن الغطاء أو الستر والمعنى واحد لأن الرين تستعمل في الخمر وفي ذلك زيادة في تقريعهم فمن لا يفرق بين القرآن والأساطير كأنه في سكر لا يعقل ولا يبصر.

أما المفردتان (رحيق، تسنيم ) فهما مناسبتان للمقطع الذي وردتا فيه فهو مقطع فيه ترغيب للمؤمنين وتثبيت لهم لما يلاقونه من الكفار من أذى واستهزاء، فالرحيق هو الخمر الصافي الطيب والتسنيم هو أشرف شراب في الجنة من حيث المكان والمكانة وغرابة اللفظين فيه إشارة إلى غرابة ما اعده الله للمؤمنين كما قال ابن عباس فهما مما أعده الله مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وهذا أحد أوجه الإعجاز القرآني فإن القرآن يبتكر لفظاً من نفس مادة الحروف العربية للدلالة على ما لا يمكن تصوره في الدنيا تشويقاً للسامع كما في كلمة " تسنيم" وتخويفاً للعاصي كما في كلمة " سجين " فهما من مبتكرات القرآن كما أشار ابن عاشور-سابقاً.

وقال دروزة في تناسب الرحيق والتسنيم للسياق والموضوع:"واتصال الآيات بالسياق والموضوع قائم، والوصف قوي شائق حقا من شأنه بث الطمأنينة والشوق في نفس المؤمنين من جهة وقد انطوى على التنويه بالمؤمنين الذين استحقوا هذه الدرجة من النعيم والتكريم من جهة وعلى الحث على الإيمان والعمل الصالح لنيلها من جهة"[[326]](#footnote-326).

وجاءت حروف هاتين الكلمتين رقيقة رخوة دالة على ذاك الشراب حيث تشعرك الكلمتان بلذة ذاك الشراب في فمك، وأما ما أعده الله للفجار "السجين" فتشعرك قوة حروف الكلمة وشدتها بشدة ذلك العذاب وقسوته.

واستعمل القرآن كلمة الرحيق بدلاً من الخمر لبيان الفرق بين خمر الآخرة وخمر الدنيا حتى باللفظ فكلمة الرحيق اسم لا فعل لها والفعل يدل على التغير والتجدد وخمر الآخرة لا تغير فيه.

ولزيادة التشويق والترغيب زاد في بيانها والتفصيل في صفاتها وكل ذلك مناسب للسياق.

أما عن مناسبة المفردات لاسم السورة: فــ"المطففون" لفظ يتطابق مع الاسم كلياً ولذلك تميزت السورة عن غيرها بهذا اللفظ، وأما "يتغامزون " فيتطابق مع العنوان من حيث أن هذا اللفظ صفة أخرى لهؤلاء المطففين، ويتناسب لفظ "سجين" مع العنوان في أن هذا هو المكان الذي أعده الله وفي من العذاب والهوان ما لا يعلمه أحد.

وأما "ران" فتشير إلى علاقة طردية مع العنوان فإنهم كلما زادوا في التطفيف وأكل حقوق الناس ازداد الغطاء على قلوبهم واسودت. ويشير أيضاً إلى أن المطففين يظنون بأنهم هم الحكام والسادة على غيرهم وهذا اللفظ يشير إلى أنهم مغلوبون على أنفسهم من ذنوبهم، فإن أصل الرين الغلبة وهم لا يقدرون على حكم أنفسهم وترك ذنوبهم فهم عبيد لشهواتهم.

وأما الرحيق والتنسيم فيشيران إلى ما أعده الله لأولئك المستضعفين المساكين الذين يستهزأ بهم المطففون ويأكلون حقوقهم في الدنيا.

أما العلاقة بين المفردات فإن "المطففين" و "يتغامزون" صفات لأولئك المجرمين وهما على صيغة المبالغة فكأن أمر الكفار قائم على التكلف والتزيد دون وجود الإطمئنان النفسي في حياتهم. وكان جزاؤهم "السجين " وهو الحبس الشديد كما كانوا في الدنيا في ملك واسع وتضييق على العباد.

وسجين على صيغة مبالغة لأن الجزاء من جنس العمل و هذا وجه من أوجه الإبداع في الألفاظ القرآنية. وبين "المطففين" و " يتغامزون" تناسب من حيث أنها أفعال خفية مستترة قام القرآن بفضحها وإظهارها.

وبين السجين و التسنيم تناسب من حيث أنها ألفاظ ابتكرها القرآن ناسب مقام الترهيب والترغيب ليظل العاصي على وجل وترقب ويظل المؤمن على تشوف وتقرب.

وبين الرحيق والرين تناسب من حيث أنهما يستعملان في وصف الخمر، إلا أن الأولى جاءت في وصف شراب الجنة ولا فعل لها فكأنه لا تغير فيها، وأما الرين فجاءت بصيغة الفعل للدلالة على تغير قلوب الكافرين وهو من مبتكرات القرآن وهو مناسب للسياق ففيه كشف لدواخلهم وحقائق نفوسهم.

ثم إن بين التطفيف والتسنيم تناسباً آخر وهو أن التطفيف إنقاص في المقدار قليلاً والسنم –من حيث اللغة- عكسه وهو إملاء الإناء تقول: سنمت الإناء تسنيما إذا ملأته. وهذا لزيادة الترغيب فيما عند الله والحث على التنافس فيه لا في الأمور الدنيوية وكأنَّ من ترك شيئاً عوضه الله خيراً منه.

ثم جاءت حروف "رحيق، تسنيم" رقيقة رخوة دالة على معاني ما تحمله الكلمتان، وجاءت حروف: السجين" شديدة دالة على قسوة ذلك العذاب.

وبعد ذلك كله نجد أن المفردات اللفظية رسمت للسورة ملامح عامة أخبرت عن مضمونها باختصار وأضفت على شخصيتها لوناً لا يُرى في سورة آخرى، والله أعلم.

**المبحث الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الطارق وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سُميت سورة الطارق تسمية لها بما أقسم الله به في مطلعها. وهي سبع عشرة آية[[327]](#footnote-327).

**ثانياً: وقت نزولها:**

وهي مكية بالاتفاق نزلت قبل سنة عشر من البعثة. وعددها في ترتيب نزول السور السادسة والثلاثون. نزلت بعد سورة البلد وقبل سورة القمر[[328]](#footnote-328).

**ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

السورة مرتبطة بما قبلها-البروج- من ناحيتين:

1- ابتداء السورتين بالحلف بالسماء كسورتي (الانشقاق) و(الانفطار).

2- التشابه في الكلام عن البعث والمعاد وعن صفة القرآن للرد على المشركين المكذبين به[[329]](#footnote-329).

وتتناسب السورة بما بعدها- الأعلى- من حيث: إنهما تتحدثان عن بعض مظاهر قدرة الله وعلمه المحيط في السموات والأرض وتذكران بالآخرة والحساب.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة**

**أولاً: موضوعها: آيات علمية دالة على قدرة الله تعالى**

هذه السورة الكريمة من السور المكية، وهي تعالج بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ومحور السورة يدور حول الإيمان بالبعث والنشور، وقد أقامت البرهان الساطع، والدليل القاطع على قدرة الله جل وعلا على إمكان البعث، فإن الذي خلق الإنسان من العدم، قادر على إعادته بعد موته.

أقسم سبحانه فى مستهل هذه السورة بالسماء ونجومها الثاقبة - إن النفوس لم تترك سدى ولم ترسل مهملة، بل قد تكفل بها من يحفظها ويحصي أعمالها وهو الله سبحانه. وفى هذا وعيد للكافرين وتسلية للنبى - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه [[330]](#footnote-330).

ثم ساقت الأدلة والبراهين، على قدرة رب العالمين، على إعادة الإنسان بعد فنائه، ثم أخبرت عن كشف الأسرار، وهتك الأستار في الآخرة عن البشر، حيث لا معين للإنسان ولا نصير.

وختمت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم، معجزة محمد في الخالدة، وحجته البالغة إلى الناس أجمعين، وبينت صدق هذا القرآن، وأوعدت الكفرة المجرمين بالعذاب الأليم لتكذبهم بالقرآن الساطع المنير[[331]](#footnote-331).

**ثانياً: مقاصدها:**

1- التوكيد على البعث والتدليل عليه بقدرة الله على خلق الإنسان للمرة الأولى.

2- إنذار السامعين بأن أعمالهم محصاة عليهم.

3- وعيد للكفار بأن الله يكيد لهم كما يكيدون للدين[[332]](#footnote-332).

4- تثبيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ووعده بأن الله منتصر له غير بعيد.

5- التذكير بدقيق صنع الله وحكمته في خلق الإنسان.

6- التنويه بشأن القرآن الفيصل بين الحق والباطل، وصدق ما ذكر فيه من البعث[[333]](#footnote-333).

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث الأسلوب والمضمون:**

1- هي سورة ذات أسلوب سريع كأنها طرقات قوية متوالية على الحس لتقرير العقائد قال سيد قطب:" جاء في مقدمة هذا الجزء أن سوره تمثل طرقات متوالية على الحس. طرقات عنيفة قوية عالية، وصيحات بنوم غارقين في النوم.."[[334]](#footnote-334).

2- التناسق بين الحقائق الموضوعية في السورة والمشاهد الكونية قال سيد قطب:"وبين المشاهد الكونية والحقائق الموضوعية في السورة تناسق مطلق دقيق ملحوظ يتضح من استعراض السورة في سياقها القرآني الجميل "[[335]](#footnote-335).

3- تكرر في السورة ذكر السماء والأرض والنجوم للتدليل على أن لها خالقاً مدبراً قال الرازي:" والحلف بالسماء والكواكب والشمس والقمر والليل والنهار التي أكثر الله تعالى في كتابه الحلف بها لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة، وفيها دلالة على أن لها خالقا مدبرا ينظم أمرها"[[336]](#footnote-336).

4- براعة الاستهلال بالقسم ثم بالاستفهام للتشويق والتفخيم قال ابن عاشور:" افتتاح السورة بالقسم تحقيق لما يقسم عليه وتشويق إليه كما تقدم في سوابقها"[[337]](#footnote-337)، وحسن الختام بالتهديد والوعيد للمكذبين.

5 - تميزت السورة بذكر آيات علمية لم ترد في غيرها كالحديث عن الطارق والصلب والترائب والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، وذلك –والله أعلم- لأن موضوعها من أعظم أصول الاعتقاد وهو إثبات البعث فالذي يعلم أسرار الكون مما لم يُعرف إلا في العصر الحديث قادر على إعادة خلق الإنسان.

6- تميزت بأسلوب مبتكر عُدَّ من مبتكراتِ القرآنِ قال ابنُ عاشور:" وأحسبُ أنَّ استعارةَ الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل من مبتكرات القرآن ولم يرد في كلام العرب قبل القرآن"[[338]](#footnote-338).

7- فاصلة السورة متعددة إشارة إلى تعدد المشاهد والمقاطع.

8- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البلاغة نوجزها فيما يلي[[339]](#footnote-339):

1 - الاستفهام للتفخيم والتعظيم {وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الطارق}؟ قال ابن عاشور:" وأبهم الموصوف بالطارق ابتداء، ثم زيد إبهاما مشوبا بتعظيم أمره بقوله: [ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ] {الطارق:2}"[[340]](#footnote-340)

2 - الطباق بين {السمآء والأرض} وبين {الفصل والهزل}.

3 - الإِطناب بتكرار الفعل مبالغة في الوعيد[ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ] {الطارق:17}.

4 - الكناية اللطيفة [ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ] {الطارق:7} كنَّى بالصلب عن الرجل، وبالترائب عن المرأة، وهذا من لطيف الكنايات.

5 - السجع الرصين الذي يزيد في جمال الأسلوب ورشاقته ونضارته مثل [ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ] {الطارق:11-12} ومثل [ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ] {الطارق:13-14} وهو من المحسنات البديعية.

* انفردت السورة بوجود مفردتين فيها لم يوجدا في غيرهما- جذراً واشتقاقاً- هما: دافق، الهزل. ولذلك دلالات كما سأبين بإذن الله تعالى.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

تكونت السورة من مقطعين رئيسين، يبدأ كل منهما بالقسم بإحدى الظواهر الكونية وهذا ما يرسم المحور العام للسورة وهما:

المقطع الأول: من الآية الأولى إلى الآية العاشرة [ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ] {الطارق:10}: افتتح هذا المقطع بالقسم بالسماء والطارق، والطارق هو نجم يطرق بالضوء ليلاً طرقات متوالية، ويتناسب ذكر الطارق مع السورة في أن السورة طرقات قوية ومضيئة لتقرير بعض العقائد، كذلك الطارق يطرق بطرقات من النور بشكل سريع ومتوال لينير ظلام الكون.

وقد أقسم الله بالسماء والطارق[[341]](#footnote-341) على أن كل نفس عليها حافظ من الله يحصي أعمالها ويحفظها.

والمناسبة بين القسم وجواب القسم أن الذي يعلم أسرار الكون قادر على معرفة خبايا النفوس والذي حفظ النجوم من السقوط قادر على حفظ هذه النفس من الشرور[[342]](#footnote-342).

وإن كنت تريد دليلاً على ذلك فانظر إلى أصل خلقة الإنسان إذ خلقه الله من ماء لزج مهين يخرج من أماكن خفية–لم يكن العرب على دراية بها وقت النزول-.

ثم بعد أن ذكَّر بهذه الحقيقة أكَّد على عقيدة أخرى وهي عقيدة إعادة الأجساد مرة أخرى يوم القيامة حيث تتكشف خبايا النفوس وحيث لا نصير ولا معين.

أما المقطع الثاني: فيبدأ من آية ([ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ] {الطارق:11} إلى آخر السورة [ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ] {الطارق:17}

فيفتتح المقطع أيضاً بالقسم بالسماء والأرض على أن هذا القول فصل لا لعب فيه.

واختلف المفسرون في تحديد على ما يعود ضمير ( إنه لقول فصل ) فالجمهور على أنه يعود إلى القرآن[[343]](#footnote-343)، وبعضهم ذهب إلى أنه يعود إلى ما ذُكر سابقاً من تقرير عقيدة البعث وأن كل إنسان محاسب يوم تظهر سرائر النفوس ولا قوة له ولا ناصر.

والقول الثاني هو ما أرجحه ؛ لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور أو إلى مذكور سابق في السورة، ولم يُذكر القرآن في السورة ولم يُشَر إليه. والذي يرجح هذا القول عندي وجود تناسب بين القسم وجواب القسم، فإنه ذكر الرجع مرتين ( إنه على رجعه لقادر ) وفي القسم قال: ( والسماء ذات الرجع )

فالله تعالى أقسم بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع على أنه قادر على إرجاع إحياء الأجساد مرة أخرى وقوله هذا فصل لا هزل فيه ولا مبالغة، فكما أنه قادر على إرجاع السماء – سواء بإنزال المطر أو بانكماش الكون على بعضه كما تنص نظرية الانفجار الأعظم الحديثة – وقادر على تصديع الأرض – سواء بإحياء الحب والنوى وإنباتها أو بتصديعها من خلال الزلازل حيث تتحرك الصدوع الكامنة في قشرة الأرض، فإنه كذلك قادر على إرجاع بعث الموتى وإخراجهم من الأرض للحساب.

ثم ختم السورة بأن هذا الإله القادر على فعل كل ذلك، والعالم بأسرار الكون، قادر على إهلاكهم وعقابهم وعالم بسرائرهم، فلا تخف من كيدهم فإن الله لهم بالمرصاد.

وبين المقطعين تناسق وتناسب من حيث أنهما يفتتحان بالقسم بالظواهر الكونية لتقرير عقيدة مهمة وهي أن كل نفس عليها حافظ يكتب لها أعمالها.

والقسم الثاني لتوكيد حقيقة أخرى هي البعث والنشور والحساب.

والمقطعان جاءا بطرقات قوية متتابعة لتوقظ السامع بأن هذا الكون لم يخلق عبثاً بل له خالق مدبر حكيم. وأنتم كذلك لم تخلقوا عبثاً، وأن الله عالم بسرائركم حيث تكيدون للدين كيدا عظيماً وهو قادر على إهلاكهم. قال سيد قطب في بيان التناسب بين المقطعين:"والرجع المطر ترجع به السماء مرة بعد مرة، والصدع النبت يشق الأرض وينبثق.. وهما يمثلان مشهدا للحياة في صورة من صورها. حياة النبات ونشأته الأولى: ماء يتدفق من السماء، ونبت ينبثق من الأرض.."[[344]](#footnote-344)

وبذلك تنتهي هذه الطرقات العقائدية الكونية العنيفة لتترسخ معانيها ومشاهدها في النفوس ويتكون عندنا محور عام للسورة تتكامل آياتها فيه.

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها:**

**المفردة الأولى: دافق**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الدفق هو الصب جاء في العين:" دفق: دفق الماء دفوقا ودفقا إذا انصب بمرة، والماء الدافق. والنطفة تدفق، واندفق الكوز: انصب بمرة ودفق ماؤه"[[345]](#footnote-345).

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة:" الدال والفاء والقاف أصل واحد مطرد قياسه، وهو دفع الشيء قدما. من ذلك: دفق الماء، وهو ماء دافق. وهذه دفقة من ماء"[[346]](#footnote-346).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لم يختلف المفسرون في تفسير هذه اللفظة فالدفق عندهم هو الصب ولكن اختلفوا هل هو بمعنى مدفوق –وهي قراءة زيد بن علي- أو بمعنى ذي دفق وهو قول الخليل وسيبويه[[347]](#footnote-347). وقال ابن عباس: معنى دافق لزج[[348]](#footnote-348).

قال أبو حيان:" وكأنه أطلق عليه وصفه لا أنه موضوع في اللغة لذلك، والدفق: الصب، فعله متعد"[[349]](#footnote-349). وجمع ابن عطية بين القولين فهو دافق لأنه يدفق بعضه بعضاً وذو دفق لأن صفته التدفق والتدافع والصب فقال: "والدفق: دفع الماء بعضه ببعض، تدفق الوادي والسيل إذا جاء يركب بعضه بعضا. ويصح أن يكون الماء دافقا، لأن بعضه يدفع بعضا، فمنه دافق ومنه مدفوق"[[350]](#footnote-350).

وقال أبو حيان"ودفق ليس في اللغة معناه ما فسر من قوله: والدفق دفع الماء بعضه ببعض، بل المحفوظ أنه الصب"[[351]](#footnote-351).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

-دلالة ذكر الماء الدافق بعد القسم:

لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ، أتبع ذلك بوصية الإنسان بالنظر في أول نشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته.

- ما دلالة مجيء المفردة بصيغة اسم الفاعل؟

في ذلك عدة احتمالات هي[[352]](#footnote-352):

الأول: أنه صفة معناه ذو اندفاق.

الثاني: أنهم يسمون المفعول باسم الفاعل. الثالث: أنه بمعنى اسم الفاعل لأنه يدفق بعضه بعضاً.

الرابع: أن الدافق هو صاحب الماء لما كان دافقاً أطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز.

قال ابن عاشور:" والأحسن أن يكون اسم فاعل ويكون دفق مطاوع دفقه " لأن بعضه يدفع بعضاً، فمنه دافق ومنه مدفوق"[[353]](#footnote-353).

-ما فائدة الإطناب في وصف الماء؟

أطنب في وصف هذا الماء الدافق لإدماج التعليم والعبرة بدقائق التكوين ليستيقظ الجاهل الكافر ويزداد المؤمن علما ويقينا، ووصف أنه يخرج من بين الصلب والترائب لأن الناس لا يتفطنون لذلك[[354]](#footnote-354).

و الصلب والترائب قال قتادة والحسن وغيره: معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبه، وقال سفيان وقتادة أيضا وجماعة: من بين صلب الرجل وترائب المرأة[[355]](#footnote-355).

-دلالة الاستفهام في الآية:

فائدة الاستفهام التشويق والتنبيه و تذكير الإنسان بأصله ليستدل بذلك على قدرة الله على البعث.

**الإعجاز العلمي في الآية:**

النظر في الآية هو نظر العقل، وهو التفكر المؤدي إلى علم شيء بالاستدلال فالمأمور به نظر المنكر للبعث في أدلة إثباته.

وهذه الآية من الإعجاز العلمي في القرآن الذي لم يكن علم به للذين نزل بينهم، وهو إشارة مجملة وقد بينها حديث مسلم عن أم سلمة وعائشة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن احتلام المرأة، فقال: تغتسل إذا أبصرت الماء فقيل له: أترى المرأة ذلك فقال: «وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك إذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه الولد أخواله وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه»[[356]](#footnote-356)

وهذا مخاطبة للناس بما يعرفون يومئذ بكلام مجمل مع التنبيه على أن خلق الإنسان من ماء الرجل وماء المرأة، ولكن كيف يدل ذلك على وجود الصانع؟ أجاب الرازي عن ذلك فقال:"إن دلالةَ تولد الإنسان عن النطفة على وجود الصانع المختار من أظهر الدلائل، لوجوه أحدها: أن التركيبات العجيبة في بدن الإنسان أكثر، فيكون تولده عن المادة البسيطة أدل على القادر المختار. وثانيها: أن اطلاع الإنسان على أحوال نفسه أكثر من اطلاعه على أحوال غيره، فلا جرم كانت هذه الدلالة أتم وثالثها: أن مشاهدة الإنسان لهذه الأحوال في أولاده وأولاد سائر الحيوانات دائمة، فكان الاستدلال به على الصانع المختار أقوى ورابعها: وهو أن الاستدلال بهذا الباب، كما أنه يدل قطعا على وجود الصانع المختار الحكيم، فكذلك يدل قطعا على صحة البعث والحشر والنشر..."[[357]](#footnote-357)

**المفردة الثانية: الهزل**

أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:

الهزل نقيض الجد واللعب جاء في العين للخليل:" الهزل: نقيض الجد. فلان يهزل في كلامه، إذا لم يكن جادا. ويقال: أجاد أنت أم هازل"[[358]](#footnote-358).

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة:" الهاء والزاء واللام كلمتان في قياس واحد، يدلان على ضعف. فالهزل: نقيض الجد. والهزال: خلاف السمن "[[359]](#footnote-359).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لم تختلف أقوال المفسرين في تفسير معنى الهزل ولكنهم اختلفوا في المراد من هذا القول الفصل الذي ليس بهزل قال ابن الجوزي:" قوله عزّ وجلّ: إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ يعني به القرآن، وهذا جواب القسم. والفصل: الذي يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما وَما هُوَ بِالْهَزْلِ أي: بالَّلعِب. والمعنى: إنه جِدٌّ، ولم ينزل بالَّلعِب. وبعضهم يقول: الهاء في «إنه» كناية عن الوعيد المتقدم ذكره"[[360]](#footnote-360). وقال الرازي:" في هذا الضمير قولان: الأول: ما قال القفال وهو: أن المعنى أن ما أخبرتكم به من قدرتي على إحيائكم في اليوم الذي تبلى فيه سرائركم قول فصل وحق.

والثاني: أنه عائد إلى القرآن أي القرآن فاصل بين الحق والباطل كما قيل: له فرقان، والأول أولى لأن عود الضمير إلى المذكور السالف أولى"[[361]](#footnote-361).

وقال ابن عاشور:" والضمير الواقع اسما لـ (إن) عائد إلى القرآن وهو معلوم من المقام" فقد اختلف المفسرون إلى قولين وكل منهما له وجه قوي ولكن ما يفهم من سياق السورة ووحدتها الموضوعية هو الأول أي أنه يعود إلى المذكور سابقاً من البعث والإحياء.

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه الصيغة ( وما هو بالهزل ) مؤكدة إذ كانت معطوفة على جواب القسم وفي معناه قال ابن عاشور:" وافتتح الكلام بالقسم تحقيقا لصدق القرآن في الإخبار بالبعث وفي غير ذلك مما اشتمل عليه من الهدى. ولذلك أعيد القسم بالسماء كما أقسم بها في أول السورة"[[362]](#footnote-362)، وما ذلك إلا لعظَم هذه القضية التي هي البعث أو القرآن.

وذكرت سابقاً أن المفسرين اختلفوا في عود الضمير: هل يعود إلى البعث أو القرآن وكلاهما محتمل أما البعث فلأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور أو إلى مذكور سابق في السورة. والذي يقوي هذا القول عندي وجود تناسب بين القسم وجواب القسم، فإنه ذكر الرجع مرتين [ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ] {الطارق:8} وفي القسم قال: [ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ] {الطارق:11}، فالله تعالى أقسم بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع على أنه قادر على إرجاع إحياء الأجساد مرة أخرى وقوله هذا فصل لا هزل فيه ولا مبالغة، فكما أنه قادر على إرجاع السماء – سواء بإنزال المطر أو بانكماش الكون على بعضه كما تنص نظرية الانفجار الأعظم الحديثة – وقادر على تصديع الأرض – سواء بإحياء الحب والنوى وإنباتها أو بتصديعها من خلال الزلازل حيث تتحرك الصدوع الكامنة في قشرة الأرض، فإنه كذلك قادر على إرجاع بعث الموتى وإخراجهم من الأرض للحساب.

ويحتمل أن يكون المراد هو القرآن ويكون هذا رداً على أقوال المشركين الذين اتخذوا القرآن هزواً ولعباً فنفى قولهم بالقسم بأسرار السماء والأرض فالذي يعلم ما الأكوان قادر على إنزال القرآن الفصل الذي جاء بالحقائق الفاصلة في العلم والتشريع، قال الزحيلي في التفسير المنير:" أقسم الله تعالى بالسماء السحاب ذات الأمطار النافعة، والأرض ذات الشقوق والصدوع التي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والأنهار على أن القرآن يفصل بين الحق والباطل، وأنه جد حق ليس بالهزل، أي اللعب والباطل، وأنه منزل من عند الله تعالى، وأن محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم –"[[363]](#footnote-363).

واقترنت المفردة بالباء للدلالة على أنه لا يدخل أدنى خلل أو ضعف أو لعب بل هو كله حق وفصل، وجاءت الكلمة موافقة لروي الآية السابقة إشارة إلى اتحادهما في المعنى وثباتهما في المعنى إذ فاصلتهما باللام الساكنة الدالة على الثبوت. وجاءت المفردة بالمصدرية للمبالغة على النفي كما جاءت كلمة الفصل كذلك قال ابن عاشور:" والإخبار بالمصدر للمبالغة، أي إنه لقول فاصل".

ما دلالة القسم بالسماء ذات الرجع قبل ذكر القول الفصل الذي ليس بالهزل؟

لقد ذكر القرآن من أحوال السماء ما له مناسبة بالمقسم عليه، وهو الغيث الذي به صلاح الناس، فإن إصلاح القرآن للناس كإصلاح المطر وفي الحديث: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا..»[[364]](#footnote-364). وفي اسم الرجع مناسبة لمعنى البعث في قوله: [ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ] {الطارق:8} وفيه محسن الجناس التام وفي مسمى الرجع وهو المطر المعاقب لمطر آخر مناسبة لمعنى الرجع البعث فإن البعث حياة معاقبة بحياة سابقة[[365]](#footnote-365).

**المطلب الثالث: العلاقة بين المفردات اللفظية ومحور السورة واسمها وعلاقة المفردات فيما بينها**

موضوع السورة ومقصودها إقامة الأدلة على قدرة الله تعالى على بعث الأجساد مرة أخرى وعلى علم الله بأسرار السموات والأرض وعلمه بخفايا النفوس.

وهاتان المفردتان تنسجمان مع هذا المحور العام:

أما الأولى – دافق-: فهي وصف للماء الذي يكون منه الإنسان، وتتناسب مع السورة من حيث إنها جاءت للتدليل على بعث الإنسان مرة أخرى، فمن قدر على خلقه من ماء مهين يخرج من بين الأصلاب والترائب بطريقة معقدة قادر على إخراج بقاياه مرة أخرى.

وإن من يعلم أسرار السموات والأرض وأسرار خلق الانسان وأماكن خروجه الخفية في الجسد- حيث لم يكن العرب يعرفونها آنذاك – لا يعجز عن علمه بخفايا النفوس وسرائرها حيث تتكشف في الآخرة للحساب قال سيد قطب:" ووراء هذا اللمحة الخاطفة عن صور الرحلة الطويلة العجيبة بين الماء الدافق والإنسان الناطق، حشود لا تحصى من العجائب والغرائب...تشي باليد الحافظة الهادية المعينة. وتؤكد الحقيقة الأولى التي أقسم عليها بالسماء والطارق"[[366]](#footnote-366).

وأما المفردة الثانية – الهزل- فهي منسجمة مع محور السورة ومقاصدها إذ جاءت بعد إقامة الأدلة العلمية التي لا تقبل الشك والجدال لترد على أقوال المشركين في وصف هذه العقيدة – البعث والحساب – التي جاء بها القرآن الكريم.

فقد أعاد الله القسم بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع على أن بعث الأجساد مرة أخرى يسير عليه.

وفي ذكر الرجع والصدع مناسبة لموضوع البعث إذ في إنزال الغيث مرة تلو مرة وتصديع الأرض بإخراج النبات إشارة لإحياء الأجساد من الأرض وإرجاعها مرة أخرى.

وعلى القول بأن المقصود من قوله: [ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ] {الطارق:13-14} هو القرآن فإن المناسبة تبقى قائمة كذلك إذ أقسم بالسماء ذات الغيث والأرض ذات الصدع. على أن هذا القرآن ليس بالهزل بل هو قد جاء بالحق والنفع والغيث للناس. كما أن غيث السماء ينفع الأرض وكما أن الأرض تنتفع بالغيث وتتصدع شقوقها به فإن القلب لا بد أن ينتفع بالقرآن ويتصدع له من خشية الله.

كما تتناسب المفردتان مع اسم السورة –الطارق- بأن الدافق والطارق بينهما تشابه معنوي من حيث أنهما يشيران إلى ما يخرج بقوة وتدافع وأنهما يظهران من أماكن خفية وأنهما من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى. وبينهما تشابه في الجرس الصوتي.

أما - الهزل – فإن الطارق ينير في الظلام ليهدي البشر وكذا القرآن ليس بالهزل واللعب ولكنه نور يضيء للبشر ويرشدهم إلى الحقائق التي منها البعث والحساب.

وبين المفردتين تناسب كذلك من حيث أن موضوعهما واحد وهو إقامة الدليل على قدرة الله وعلمه ونفي الشبهات التي يثيرها المشركون.

وبذلك نجد أن المفردتين تنسجمان مع محور السورة وموضوعها وأن اختصاص السورة بهما له دلالات ومعاني عديدة –والله أعلم-.

**الفصل الثالث**

**الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الأول للحزب الستين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة.**

**المبحث الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الغاشية وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة الغاشية لافتتاحها بقوله تعالى: [ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ] {الغاشية:1}. والغاشية: من أسماء يوم القيامة. وعدد آياتها ست وعشرون[[367]](#footnote-367).

**ثانياً: وقت نزولها:**

هي مكية بالاتفاق، وهي معدودة السابعة والستون في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الذاريات وقبل سورة الكهف[[368]](#footnote-368).

**ثالثاً: فضلها:**

من فضلها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بها في الجمعة والعيدين فعن النعمان بن بشير ؛ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـ: {سبح اسم ربك الأعلى}، و {هل أتاك حديث الغاشية}، وإذا اجتمع العيدان في يوم قرأ بهما فيهما"[[369]](#footnote-369).

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

هذه السورة تفصيل وتبسيط لما جاء في سورة الأعلى من أوصاف المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالا، ويلحظ أن السور السابقة انتهت بإنذار الظالمين الكافرين باليوم الموعود وأن هذه السورة بدأت بوصف ما يكون الناس عليه في ذلك اليوم حيث يمكن أن يكون في ذلك قرينة على صحة ترتيب نزول هذه السورة بعد تلك.

أما مناسبتها لما بعدها –الفجر-: فإن الغاشية فيها تذكير بمشاهد القدرة لإلهية في العذاب والنعيم وفي السموات والارض وفي الفجر عرض لمشاهد العظمة والقدرة الالهية في الكون وأحوال الانسان وبيان عاقبة المغترين.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة**

**أولاً: موضوعها: وصف لنعيم الجنة وعذاب النار وتوجيه النظر إلى مخلوقات الله**

سورة الغاشية مكية، وقد تناولت موضوعين أساسيين وهما:

1 - القيامة وأحوالها وأهوالها، وما يلقاه الكافر فيها من العناء والبلاء، وما يلقاه المؤمن فيها من السعادة والهناء.

2 - الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين، وقدرته الباهرة، في خلق الإبل العجيبة والسماء البديعة، والجبال المرتفعة، والأرض الممتدة الواسعة، وكلها شواهد على وحدانية الله وجلال سلطانه

وختمت السورة الكريمة بالتذكير برجوع الناس جميعا إلى الله سبحانه للحساب والجزاء[[370]](#footnote-370). و السورة فصلان متناظران، أحدهما في الإنذار بيوم القيامة ووصف مصير وحالة المؤمنين والكفار فيه. وثانيهما في لفت نظر الناس إلى بعض مشاهد الخلق والكون الدالة على ربوبية الله وقدرته فيه معنى التنديد بالكفار مع بيان مهمة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكونها للتبليغ والتذكير وليست لإكراه الناس. وأسلوب السورة ومضمونها مما يسوغ القول إنها من السور التي نزلت دفعة واحدة[[371]](#footnote-371).

**ثانياً: مقاصدها وأغراضها[[372]](#footnote-372):**

1- تهويل يوم القيامة وتعظيم أمره إذ وصفه بأوصاف تدعو إلى الخوف والحذر

2- تثبيت النبي - صلى الله عليه وسلم - على الدعوة إلى الإسلام.

3- بيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم حيث وجَّه السؤال إليه بداية.

4- التحذير من مخالفة دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ورسالته، فأنذر كل من تولى عن الوعظ والتذكير بالعذاب الأكبر في الآخرة، وهو عذاب جهنم الدائم، ووصف العذاب بالأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والأسر والقتل.

5- بيان وظيفة الرسل وهي التذكير دون محاسبة الناس بل حسابهم على الله.

6- توجيه النظر إلى مخلوقات الله للاستدلال على قدرة الله على البعث والحساب والعقاب.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

- تميزت السورة من حيث المضمون بذكر أوصاف الجنة وعذاب النار لم تُذكر في سور أخرى فقد ذكرت أحوال الناس وانقسامهم إلى فريقين: أشقياء وسعداء، وبدأ بوصف الأشقياء لأن مبني السورة على التخويف، كما ينبئ عنه لفظ الغاشية.

-هي سورة ذات إيقاع عميق هادئ يناسب جو التأمل والتوجس قال سيد قطب:"هذه السورة واحدة من الإيقاعات العميقة الهادئة. الباعثة إلى التأمل والتدبر، وإلى الرجاء والتطلع.."[[373]](#footnote-373)

- براعة الإستهلال حيث افتتحت بالسّؤال الذي يحمل جو التفخيم والتشويق قال سيد قطب عن هذا الاستفهام:" يراد به تشويق المسئول إلى المسئول عنه، وإثارة الرغبة عنده فى التطلع إليه، والبحث عن جواب له"[[374]](#footnote-374).

-فاصلة المقاطع متعددة مع استقلال كل مقطع بفاصلته: فالمقطع الأول فاصلته التاء المربوطة باستثناء آيتين: ضريع، جوع. والمقطع الثاني فاصلته التاء المفتوحة. والمقطع الثالث فاصلته الراء باستثناء آيتين (إيابهم، حسابهم )

- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البلاغة نوجزها فيما يلي[[375]](#footnote-375):

1 - أسلوب التشويق {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغاشية}؟

2 - المجار المرسل بإِطلاق الجزء وإرادة الكل [ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ] {الغاشية:2} المراد أصحابها.

3 - الطباق في الحرف بين {إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ.. وعَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}.

4 - المقابلة بين وجوه الأبرار ووجوه الفجار: [ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ] {الغاشية:8-9} قابل بينها وبين سابقتها [ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ] {الغاشية:2-3}.

5 - السجع الرصين غير المتكلف مثل {لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً}.. الخ.

- تفردت السورة بمفردات لم ترد في غيرها وهي: الغاشية، ضريع، نمارق، زرابي، سطحت، مع ملاحظة أن المفردة الأولى والثانية تكرر جذرها في القرآن. وهذا ما سأبحثه إن شاء الله.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

تتكون السورة من ثلاثة مقاطع مترابطة هي:

الأول: من الآية الأولى إلى الآية السادسة عشرة: وفي هذا المقطع ذكر ليوم القيامة ولأوصاف أهل النار وأهل الجنة وما أُعدَّ لهم ومقصوده هو الترغيب بالجنة بالحث على الإيمان والعمل الصالح والترهيب من النار بالتخويف من الكفر والمعاصي.

الثاني: من الآية السابعة عشرة: ([ﮨ ﮩ ] {الغاشية:17} إلى الآية العشرين [ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ] {الغاشية:20}: وموضوعه توجيه النظر إلى مخلوقات الله تعالى الظاهرة والمشاهدة لكل أحد ومقصد ذلك دعوة الكفار للتفكر والاستدلال على وجود الخالق الصانع وعلى قدرته في الخلق والبعث والحساب.

الثالث: من الآية الواحدة والعشرين [ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ] {الغاشية:21} إلى آخر السورة: وموضوعه بيان وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم وهي التذكير والإنذار وأما الحساب فهي على الله تعالى، ومقصوده التسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم والتخفيف عنه، وتخويف الكافرين من عذاب الله.

والسورة كلها مترابطة فقد افتتحت السورة بالاستفهام للتشويق والتفخيم ثم بدأ بوصف العذاب قبل الثواب لأن مبدأ السورة قائم على التخويف والترهيب، ووجهت العذاب للأوجه لأن الوجه هو الذات الإنسانية بكل مشخصاتها ومقوماتها، ولهذا كان له هذا الشأن فى موقف الحساب والجزاء، وما يلقى الإنسان هناك من نعيم أو عذاب، إن كل صور العذاب والآلام تنطبع عليه.. ثم قال تعالى: [ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ] {الغاشية:6-7} ».. وعدل هنا عن الحديث إلى الوجوه، واتجه به إلى أصحابها، لأن الطعام لا يساق إلى الوجوه وإنما يساق إلى البطون، ثم تنطبع آثاره على الوجوه..

وفى هذا ما يعطى كل جزء من أجزاء الجسد نصيبه من هذا العذاب. فالعذاب الذي يقع على جزء من الجسد، يشيع فى الجسد كله.

ثم تحدث عن أحوال المؤمنين المخلصين أهل الجنة بعد بيان وعيد الكفار الأشقياء، ثم وصف دار الثواب، لترغيب الناس بأعمالهم، وتشويقهم لما يلاقونه من فضل ربهم.

ثم انتقل في المقطع الثاني إلى إثبات قدرة الله تعالى على البعث، فبعد أن حكم الله تعالى بمجيء يوم القيامة، وقسم الناس فيها إلى فريقين: أشقياء وسعداء، و وصف أحوال الفريقين، أقام الدليل على وجوده ووحدانيته و قدرته بما يشاهدونه من آثار القدرة، فيستدلون بذلك على قدرته تعالى على بعث الأجساد والمعاد وصحة عقيدة التوحيد. وإنما ذكرت هذه المخلوقات دون غيرها لأنها أقرب الأشياء إلى الإنسان الناظر فيها، فهو يشاهد صباح مساء بعيره، ويرى السماء التي تظلله، والجبال التي تجاوره، والأرض التي تقله.

ثم انتقل في المقطع الختامي لتذكير نبيه - صلى الله عليه وسلم – بوظيفته وهي أن يذكرهم بهذه الأدلة والبراهين وأمثالها، لينظروا فيها، وليصبر على معارضتهم، فإنما بعث لذلك دون غيره.

وقد اتحد مطلع السورة وخاتمتها فقد افتتحت بالحديث عن يوم القيامة والحساب وانتهت ببيان أنهم عائدون إلى الله وعليه حسابهم.

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها**

**المفردة الأولى: نمارق**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

النمارق جمع نمرقة وهي الوسادة قال ابن منظور:"نمرق: النمرق والنمرقة والنمرقة، بالكسر: الوسادة، وقيل: وسادة صغيرة، وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة"[[376]](#footnote-376).

وقال الفراء في قوله تعالى:[ﮢ ﮣ ﮤ ] {الغاشية:15}:" هي الوسائد واحدتها نمرقة، قال: وسمعت بعض كلب يقول نمرقة، بالكسر"[[377]](#footnote-377)

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لا خلاف بين المفسرين في تفسير النمارق وهي الوسائد قال الفخر الرازي:" النمارق هي الوسائد في قول الجميع واحدها نمرقة بضم النون... قال الكلبي: وسائد مصفوفة بعضها إلى جانب بعض أينما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند إلى أخرى"[[378]](#footnote-378). وقال ابن عاشور:" وهي الوسادة التي يتكىء عليها الجالس والمضطجع. ومصفوفة: أي جعل بعضها قريبا من بعض صفا، أي أينما أراد الجالس أن يجلس وجدها"[[379]](#footnote-379).

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

هذه الكلمة جاءت بصيغة الجمع والتنكير وهو ما يدل على الكثرة والتنوع وهو المناسب للنعيم العظيم الذي أعدَّه الله لعباده المؤمنين.

ومما يظهر لي أن هذه الكلمة غريبة- من حيث اللغة- مما يدل على غرابة ما أعده الله للمؤمنين مما لا يخطر على قلب بشر. قال ابن عاشور:" وهذا وعد للمؤمنين بأن لهم في الجنة ما يعرفون من النعيم في الدنيا وقد علموا أن ترف الجنة لا يبلغه الوصف بالكلام"[[380]](#footnote-380)

**المفردة الثانية: زرابي**

**أولاً: دلالة الجذر المعجمية:**

الزرب موضع الغنم والزربية كل ما بسط واتكئ عليه قال الخليل في العين:" الزرب والزريبة: موضع الغنم... والزرابي، وواحدتها: زربية: من القطوع الحيرية وما كان على صنعتها"[[381]](#footnote-381).

قال ابن منظور:" والزرابي: البسط؛ وقيل: كل ما بسط واتكئ عليه؛ وقيل: هي الطنافس.. وروي عن المؤرج أنه قال في قوله تعالى: [ﮥ ﮦ ﮧ ] {الغاشية:16} قال: زرابي النبت إذا اصفر واحمر وفيه خضرة، وقد ازرب، فلما رأوا الألوان في البسط والفرش شبهوها بزرابي النبت... وأزرب البقل إذا بدا فيه اليبس بخضرة وصفرة"[[382]](#footnote-382).

والظاهر أن الزرب على الحقيقة هي الأماكن التي يرعى فيها الغنم ويكثر فيها النبت ذو الألوان المتعددة ثم صار يطلق على البُسط والفُرُش ذات الخمل الملونة.

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لا اختلاف في تفسير هذه المفردة عند المفسرين قال الرازي في تفسيرها:" البسط والطنافس واحدها زربية وزربي بكسر الزاي في قول جميع أهل اللغة، وتفسير مبثوثة مبسوطة منشورة أو مفرقة في المجالس"[[383]](#footnote-383).

قال ابن جزي في التسهيل:" وَزَرابِيُّ هي بسط فاخرة وقيل: هي الطنافس واحدها زربية مَبْثُوثَةٌ أي متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها"[[384]](#footnote-384). وقال ابن قتيبة: مبثوثة كثيرة مفرّقة[[385]](#footnote-385).

إلا أن ابن عاشور أغرب في بيان أصل الكلمة ووجد أنها أعجمية أصلها من أذربيجان حيث اشتهرت تلك البلاد بصناعة البسط الفاخرة قال:" والزربية نسبة إلى (أذربيجان) بلد من بلاد فارس وبخارى، فأصل زربية أذربية، حذفت همزتها للتخفيف لثقل الاسم لعجمته واتصال ياء النسب به، وذالها مبدلة عن الزاي في كلام العرب لأن اسم البلد في لسان الفرس أزربيجان بالزاي المعجمة بعدها راء مهملة وليس في الكلام الفارسي حرف الذال، وبلد (أذربيجان) مشهور بنعومة صوف أغنامه. واشتهر أيضا بدقة صنع البسط والطنافس ورقة خملها"[[386]](#footnote-386).

وأرى أن هذا التفسير بعيد لقوله بالأعجمية ولأن معرفة العرب بأذربيجان معرفة قليلة قبل الإسلام ولم يُعرَف عنهم أنهم كانوا يأتون بالبسط من هناك والله أعلم.

ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:

هذه الكلمة –كسابقتها- جاءت بصيغة الجمع والتنكير وهو ما يدل على الكثرة والتنوع وهو المناسب للنعيم العظيم الذي أعدَّه الله لعباده المؤمنين.

ومما يظهر لي أن هذه الكلمة غريبة- من حيث اللغة- مما يدل على غرابة ما أعده الله للمؤمنين مما لا يخطر على قلب بشر.

ومن الأساليب البلاغية في هذه الآيات المقابلة بين عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة فقد قوبلت صفات وجوه أهل النار بصفات وجوه أهل الجنة فقوبلت صفات خاشعة عاملة ناصبة بصفات ناعمة لسعيها راضية.

ومن المقابلة اللفظية –فيما يظهر لي- غرابة الألفاظ التي تصف عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة فنجد في القسم الأول كلمة: الضريع وهي مفردة غريبة –من حيث اللغة- ولم تتكرر بهذا الاشتقاق في غير هذه السورة [[387]](#footnote-387) ومن القسم الثاني: النمارق والزرابي ولم تذكرا في غير هذه السورة. وكأنّ غرابة هذه الألفاظ دالة على غرابة ما تحكي عنه وتصفه لزيادة التخويف والترهيب في الأول وزيادة الترغيب في الثاني، وهذا من بديع الأسلوب القرآني.

وأما عن الدلالة الصوتية فيما يظهر لي لهاتين المفردتين –نمارق و زرابي- فإنّهما تتكونان من حروف ذات أصوات متنوعة ترسم لوحة ملونة ومزينة في نفس القارئ[[388]](#footnote-388). بخلاف كلمة ( ضريع ) التي تصف حالاً عسرة ثقيلة على النفس مناسبة لحروفها وكأنها تحاكي حال الاستيقاء والغثيان –والله أعلم-.

**المفردة الثالثة: سُطِحت**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

السطح هو بسط الشيء ومده قال الخليل:" سطح: السطح: البسط، يقال في الحرب سطحوهم أي أضجعوهم على الأرض"[[389]](#footnote-389).

وقال ابن فارس:" السين والطاء والحاء أصل يدل على بسط الشيء ومده، من ذلك السطح معروف. وسطح كل شيء: أعلاه الممتد معه"[[390]](#footnote-390).

**ثانياً: أقوال المفسرين**

ولم يختلف كلام المفسرين عن كلام أهل اللغة في أن الله سطح الأرض أي خلقها ممهدةً للمشي والجلوس والاضطجاع. ومعنى سُطِحَتْ: سُويت يقال: سطح الشيء إذا سواه ومنه سطح الدار. والمراد بالأرض أرض كل قوم لا مجموع الكرة الأرضية[[391]](#footnote-391). فمعنى (كيف سُطِحَتْ) أي: كيف بُسطت ومُدت ومُهدت، ليستقر عليها ساكنوها، وينتفعوا بما فيهامن خيرات ومعادن دفينة، وما تخرجه من نباتات وزروع وأشجار متنوعة، بها قوام الحياة والمعيشة. وتسطيح الأرض إنما هو بالنسبة للناظر والمقيم عليها.

قال الرازي في تفسير: ( وإلى الأرض كيف سطحت ):" سطحا بتمهيد وتوطئة، فهي مهاد للمتقلب عليها، ومن الناس من استدل بهذا على أن الأرض ليست بكرة وهو ضعيف، لأن الكرة إذا كانت في غاية العظمة يكون كل قطعة منها كالسطح"[[392]](#footnote-392)

والأرض مسطوحة أمام النظر، ممهدة للحياة والسير والعمل، والناس لم يسطحوها كذلك. فقد سحطت قبل أن يكونوا هم.. أفلا ينظرون إليها ويتدبرون ما وراءها، ويسألون: من سطحها ومهدها هكذا للحياة تمهيدا؟[[393]](#footnote-393).

**القراءات في الكلمة:**

قرأ الجمهور: سطحت خفيفة الطاء والحسن وهارون: بشدها. وقرأ الجمهور بالبناء للمجهول وقرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو عمران، وابن أبي عبلة «خَلَقْتُ» بفتح الخاء، وضم التاء. وكذلك قرؤوا: «رفعت» و «نصبت» و «سطحت» "[[394]](#footnote-394).

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة في صيغة الاستفهام وهو استفهام استنكاري إنكارا عليهم إهمال النظر إلى دقائق صنع الله. وزاد تعديتها بـ ( إلى) لأن النظر نظر اعتبار وتفكر وذلك أبلغ من قوله: (ينظرون الإبل ) فكأن النظر انتهى عند المجرور ب (إلى) انتهاء تمكن واستقرار[[395]](#footnote-395).

دلالة البناء للمجهول: بُنيت هذا الكلمة –كالكلمات السابقة- على المجهول للدلالة على أمر مهم وهو أن تنظروا إلى كيفية صنع هذه المخلوقات ومن خلال النظر ستدركوا بأن لها صانعاً حكيماً هو الله، ولم يقل بداية أن خالقها هو الله ليترك لهم حرية النظر والتفكر ولئلا يكون ذلك مانعاً من إيمانهم.

ما إعراب " كيف سطحت "؟ وما دلالته؟

-اعراب كيف سُطحت: وجملة: كيف سُطِحَتْ بدل اشتمال من الأرض والعامل فيه هو العامل في المبدل منه وهو فعل ينظرون لا حرف الجر، فإن حرف الجر آلة لتعدية الفعل إلى مفعوله فالفعل إن احتاج إلى حرف الجر في التعدية إلى المفعول لا يحتاج إليه في العمل في البدل، وشتان بين ما يقتضيه إعمال المتبوع وما يقتضيه إعمال التابع فكل على ما يقتضيه معناه وموقعه، فكيف منصوب على الحال بالفعل الذي يليه.

والمعنى والتقدير: أفلا ينظرون إلى الأرض هيئة سطحها[[396]](#footnote-396).

وقد ذُكرت هذه الأشياء للدلالة على أن من خلق هذه الأشياء العظيمة بدقة وخبرة لا يصعب عليه أن يزين الجنة بالنمارق والزرابي الملونة من كل لون[[397]](#footnote-397).

وجاءت هذه الكلمة موافقة لفاصلة المقطع وهي التاء المفتوحة الساكنة وكأنها تحث على فتح الأعين على كيفية خلق هذه الأشياء والنظر فيها بسكونٍ.

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية ومحور السورة واسمها والعلاقة بين الانفرادات**

موضوع السورة الرئيس هو الحديث القيامة وأحوالها وأهوالها، وما يلقاه الكافر فيها من العناء والبلاء، وما يلقاه المؤمن فيها من السعادة والهناء ثم ذكر الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين، وقدرته الباهرة

ومقصودها الترهيب من الكفر والعصيان والترغيب بالجنة وما يُقرب إليها وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه وتوجيه الإنسان للنظر إلى المخلوقات للاستدلال على قدرة الله تعالى.

والانفرادات اللفظية في هذه السورة تتناسب مع هذا الموضوع وهذه المقاصد وأوضح ذلك كما يأتي:

فالمفردة الأولى والثانية: نمارق، زرابي، جاءتا للحديث عن نعيم الجنة ووصفها حيث فيها الوسائد التي صُف بعضها إلى جانب بعض، ليتكىء عليها الجالسون على هذا النعيم وفيها البسط والطنافس المتناثرة والملونة بأجمل الألوان.

ومن دلالات هاتين الكلمتين هذه الكلمة أنهما جاءتا بصيغة الجمع والتنكير وهو ما يدل على الكثرة والتنوع وهو المناسب للنعيم العظيم الذي أعدَّه الله لعباده المؤمنين. ومما يظهر لي أن هاتين الكلمتين غريبتان - من حيث اللغة- مما يدل على غرابة ما أعده الله للمؤمنين مما لا يخطر على قلب بشر.

ولذلك فإنهما يتناسبان مع محور السورة من حيث أنهما يرغبان في نعيم الجنة ويبعثان في النفس حباً لكل عمل يرضي الله تعالى وإن كان متعباً لأنه سيجد في الأخرة ما ينسيه تعبه وما يستريح عليه من طنافس ووسائد وبسط. كما أنهما متناسقتان مع أهداف السورة حيث تدلان- مع غيرهما من أنواع النعيم- على قدرة الله وإبداعه وفضله. ومن أهداف السورة التسرية على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه المفردات مما يسري عن قلب الحبيب المصطفى وتزيده تثبيتاً حيث ترسم للجنة لوحة فنية ملونة وبهيجة.

وقد جاءتا في مقابلة أوصاف عذاب جهنم من حيث المعنى والصوت فإنّ هاتين الكلمتين تتكونان من حروف ذات أصوات متنوعة ترسم لوحة ملونة ومزينة في نفس القارئ. بخلاف كلمة ( ضريع )-التي جاءت في وصف النار- التي تصف حالاً عسرة ثقيلة على النفس مناسبة لحروفها وكأنها تحاكي حال الاستيقاء والغثيان –والله أعلم-.

أما المفردة الثالثة –سحطت- فهي تناسب محور السورة أيضاً من حيث إنها دالة على قدرة الله تعالى ودالة على ما هيأه الله للإنسان في الارض كي يعيش عليها. ومرغبة للإنسان كي يؤمن بخالقها ويحوز الجنة ونعيمها. وجاءت هذه المفردة في صيغة الاستفهام للإنكار عليهم إهمال النظر في الحال إلى دقائق صنع الله في بعض مخلوقاته و بُنيت هذا الكلمة –كالكلمات السابقة- على المجهول للدلالة على أمر مهم وهو الحث على النظر والتفكر ومن خلال النَّظر ستدركوا بأنَّ لها صانعاً حكيماً هو الله، ولم يقل بداية أن خالقها هو الله ليترك لهم حرية النظر والتفكر ولئلا يكون ذلك مانعاً من إيمانهم.

وتتناسق هذه المفردات الثلاث من حيث إنها كلها دالة على قدرة الله وإبداعه وفضله على الإنسان-فكلها دالة على البسط - وأنها مرغبة للجنة وما يقرب إليها من قول أو فعل.

وبين هذه المفردات واسم السورة وجه مناسبة من حيث إن اسم السورة يتعلق بيوم القيامة والمفردة الأولى والثانية أعدهما الله للمؤمنين في ذلك اليوم. وأما المفردة الثالثة فهي تشترك مع اسم السورة في إظهار قدرة الله فهي تتحدث عن تسطيح الأرض وبسطها فمن قدر على خلق السموات والأرض قادر على إفنائها بالغاشية. والله أعلم.

**المبحث الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الفجر وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة الفجر، لافتتاحها بقوله تعالى: [ﭑ ﭒ ] {الفجر:1}

وعدد آيها اثنتان وثلاثون عند أهل العدد بالمدينة ومكة، وهي ثلاثون عند أهل العدد بالكوفة والشام وعند أهل البصرة تسع وعشرون[[398]](#footnote-398).

**ثانياً: وقت نزولها:**

وهي مكية باتفاق. وقد عدت العاشرة في عداد نزول السور. نزلت بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى[[399]](#footnote-399).

**ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

تتعلق السورة الكريمة بما قبلها - الغاشية- من وجوه:

1- إن القسم الصادر في أولها كالدليل على صحة ما ختمت به السورة التي قبلها من قوله جل جلاله: [ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ] {الغاشية:25-26}.

2- تضمنت السورة السابقة قسمة الناس إلى فريقين: أشقياء وسعداء، أصحاب الوجوه الخاشعة، وأصحاب الوجوه الناعمة، واشتملت هذه السورة على ذكر طوائف من الطغاة: عاد وثمود وفرعون الذين هم من الفريق الأول، وطوائف من المؤمنين المهتدين الشاكرين نعم الله، الذين هم في عداد الفريق الثاني، فكان الوعد والوعيد حاصلا في السورتين.

أما تناسبها لما بعدها -البلد-: فالسورتان تشتركان في ذكر أهل الكفر وأهل الإيمان.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة**

**أولاً: موضوعها[[400]](#footnote-400):**

سورة الفجر مكية، وهي تتحدث عن أمور ثلاثة رئيسية هي:

1- ذكر قصص بعض الأمم المكذبين لرسل الله، كقوم عاد، وثمود، وقوم فرعون، وبيان ما حل بهم من العذاب والدمار، بسبب فجورهم وطغيانهم

2 - بيان سنة الله تعالى في ابتلاء العباد في هذه الحياة، بالخير والشر، والغنى والفقر، وطبيعة الإنسان في حبه الشديد للمال.

3 - ذكر الدار الآخرة وأهوالها وشدائدها، وانقسام الناس يوم القيامة، إلى سعداء وأشقياء وبيان مآل النفس الشريرة، والنفس الكريمة الخيرة.

فالسورة تحتوي تذكيرا بعذاب الله الذي حل بالطغاة المتمردين من الأمم السابقة كعاد وثمود وفرعون وإنذارا لأمثالهم، وتنديدا بحب المال والاستغراق فيه، واستباحة البغي والظلم في سبيله، وعدم البر باليتيم والمسكين، ودحضا لظن أن اليسر والعسر في الرزق اختصاص من الله بقصد التكريم والإهانة. وفيها تصوير مشهد ما يكون من مصير البغاة يوم القيامة وحسرتهم. وتنويه بالمؤمنين ذوي النفوس المطمئنة وبشرى لهم برضاء الله وجنته. وأسلوب السورة عام العرض والتوجيه مما يدل على تبكيرها بالنزول. وفصولها وآياتها منسجمة مما يدل على نزولها جملة واحدة أو متتابعة.

وقد افتتحت السورة بالقسم بالفجر لما فيه من اشارة إلى النور والضياء والبعث وقدرة الله قال ابن عاشور:" فالتعريف في الفجر تعريف الجنس وهو الأظهر لمناسبة عطف والليل إذا يسر ويجوز أن يراد فجر معين: فقيل أريد وقت صلاة الصبح من كل يوم وهو عن قتادة. وقيل: فجر يوم النحر وهو الفجر الذي يكون فيه الحجيج بالمزدلفة وهذا عن ابن عباس وعطاء وعكرمة، فيكون تعريف الفجر تعريف العهد. وقوله: وليال عشر: هي ليال معلومة للسامعين موصوفة بأنها عشر...وليس في ليالي السنة عشر ليال متتابعة عظيمة مثل عشر ذي الحجة التي هي وقت مناسك الحج، وهو قول ابن عباس وابن الزبير"[[401]](#footnote-401).

**ثانياً: مقاصدها وأغراضها:**

- بيان مظاهر قدرة الله في إهلاك الأمم العاتية والشعوب الظالمة مستلزم لقدرته تعالى على البعث والجزاء والتوحيد والنبوة وهو ما أنكره أهل مكة.

- التحذير من عذاب الله ونقمه فإنه تعالى بالمرصاد فليحذر المنحرفون عن سبيل الله والحاكمون بغير شرعه والعاملون بغير هداه أن يصب عليهم سوط عذاب.

- وفيها إشارة إلى أن عذاب الدنيا بالنسبة إلى عذاب الآخرة كالسوط بالنسبة إلى القتل مثلا، ثم أشار إلى عذاب الآخرة أو إليه مع عذاب الدنيا بقوله: [ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ] {الفجر:14} أي يمهل ولكنه لا يهمل، ويرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه به.

- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذكر إهلاك الأمم المستكبرة.

- تبشير النفس المؤمنة المطمئنة برضوان الله وجنانه.

-كشف سرائر الإنسان في حالتي الغنى والفقر وفي حبه للمال وجمعه له ففي حالة اليسر يظن أن الله إنما يسر له ذلك عناية به ورفعا لقدره واهتماما لشأنه. وفي حالة العسر يظن أن الله إنما اختصه بذلك حطا من قدره وإهانة له في نظر الناس.

- زجر الإنسان على أنه ليس كل ما يظنه في حالتي اليسر والعسر صحيحاً.

- تأنيب الإنسان وزجره على بعض أفعاله التي يغفل فيها عن أداء حقوق المساكين واليتامى ويبخلون باموالهم عنهم، وإظهار أن ذلك سبب نزول غضب الله.

- الرد على النظرية المادية النفعية التي كانت منتشرة عند مشركي مكة في حبهم للمال وعدم أداء الحقوق فيه.

- بيان أن الغنى والثروة أو الجاه والسلطة ليس دليلا على رضا الله عن العبد لأن ذلك لا قيمة له عند الله تعالى.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

- السورة ذات آيات قصيرة لها طابع الإشارات السريعة وتحمل معاني التخويف والتبشير.

- حسن الافتتاح والخاتمة حيث بدأت بالقسم بالفجر الذي هو بداية النور والضياء وانتهت السورة بتبشير النفس المؤمنة بالحمة والرضوان، فاتصلت فاتحة السورة وخاتمتها في تطمين المؤمن والتسرية عنه.

- افتتاح السورة بالقسم وعدم ذكر جواب القسم وهو من التفنن في أساليب الخطاب.

- تكرر الألفاظ الزاجرة الرادعة مثل: كلا، لبالمرصاد، يوثق، يعذب، عذاب. وفي ذلك يتجلى أسلوب الزجر والتقريع.

-تعدد الإيقاع الصوتي والفواصل للسورة بحسب تعدد المعاني والمشاهد ففي بدايتها وخاتمتها هدوء الإيقاع والفاصلة مناسباً للمعاني التي تحملها أما عند ذكر هلاك الأقوام السابقة وذكر جهنم فنرى قوة الإيقاع والفاصلة وفي ذلك نلحظ التناسق الجمالي للسورة، قال سيد قطب:" في بعض مشاهدها جمال هادئ رفيق ندي السمات والإيقاعات، كهذا المطلع الندي بمشاهده الكونية الرقيقة... وفي بعض مشاهدها شد وقصف. سواء مناظرها أو موسيقاها كهذا المشهد العنيف المخيف"[[402]](#footnote-402).

-ظهر في السورة أسلوب إتباع القسم باستفهام وطي جواب القسم قال سيد قطب:" أما المقسم عليه بذلك القسم، فقد طواه السياق، ليفسره ما بعده، فهو موضوع الطغيان والفساد، وأخذ ربك لأهل الطغيان والفساد، فهو حق واقع يقسم عليه بذلك القسم في تلميح يناسب لمسات السورة الخفيفة على وجه الإجمال"[[403]](#footnote-403).

وهذا أسلوب من أساليب التفنن في الخطاب قال ابن عاشور:" وهو أسلوب من أساليب الخطابة إذ يجعل البيان والتنظير بمنزلة المقدمة ويجعل الغرض المقصود بمنزلة النتيجة والعلة إذا كان الكلام صالحا للاعتبارين مع قصد الاهتمام بالمقدم والمبادرة به"[[404]](#footnote-404).

-تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البيان والبديع هي[[405]](#footnote-405):

1 - الاستفهام التقريري [ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ] {الفجر:6}؟

2 - الطباق بين {الشفع.. والوتر}.

3 - المقابلة [ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ] {الفجر:15} وبين {وَأَمَّآ إِذَا مَا ابتلاه فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ..} الآية فقد قابل بين {أَكْرَمَنِ وأَهَانَنِ} وبين توسعة الرزق.

4 - الاستعارة اللطيفة الفائقة [ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ] {الفجر:13} شبه العذاب الشديد الذي نزل عليهم بسياطٍ لاذعة تكوي جسد المعذَّب واستعمل الصبَّ للإِنزال.

5 - السجع الرصين غير المتكلف مثل {وَلَيالٍ عَشْرٍ، والشفع والوتر، واليل إِذَا يَسْرِ} ومثل {وَثَمُودَ الذين جَابُواْ الصخر بالواد، وَفِرْعَوْنَ ذِى الأوتاد، الذين طَغَوْاْ فِي البلاد} الآيات.

* اختصت السورة بمفردات لم تتكرر في غيرها وهي: إرم، سوط، جمَّا. وجاءت فيها مفردات تكرر جذرها في القرآن وهي بالمرصاد، التراث، لمَّا.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة**

تتكون السورة من ثلاثة مقاطع رئيسية هي:

المقطع الأول: من الآية الأولى إلى الآية الرابعة عشر: [ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ] {الفجر:14}: وفيه القسم بالفجر وظواهر كونية وجواب القسم غير ظاهر ولكنه يفهم من سياق الآيات وهو أن الله بالمرصاد وهو قادر على إهلاك من طغى واستكبر، وفيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

المقطع الثاني: من الآية الخامسة عشر إلى الآية العشرين [ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ] {الفجر:20}: وهو يتحدث عن احوال الإنسان وكشف سرائره في سوء ظنه بالله وحبه للدنيا والأموال وعدم مساعدة المساكين واليتامى.

المقطع الثالث: من الآية الواحدة والعشرين إلى آخر السورة: وفيه التخويف من عذاب الله تعالى في الآخرة وتبشير النفس المؤمنة.

والمقاطع مترابطة فيما بينها فقد افتتحت السورة بالقسم بالفجر وهو الوقت الذي يظهر فيه الضوء وينقشع فيه الظلام وفي القسم بالفجر حكمة إظهار قدرة الله تعالى في تغيير الكون من الظلام إلى النور وفي ذلك إشارة إلى تغيير حال الناس من ظلام الكفر إلى نور الإيمان، أو تغيير حال الأقوام المستكبرة من العلو إلى الهلاك وفي ذلك تسرية لقلوب المؤمنين.

وبعد القسم بالفجر وليال عشر[[406]](#footnote-406) والشفع والوتر[[407]](#footnote-407) والليل اذا يسرِ ذكر أشهر الأقوام التي طغت واستكبرت وكيف أهلكها بإهلاك سريع وشامل وبيَّن أنه بالمرصاد لكل من طغى وظلم[[408]](#footnote-408).

وبعد أن بين الله تعالى أنه بمرصد من أعمال بني آدم، يراقبهم ويجازيهم، عقَّبَه بتوبيخ الإنسان على قلة اهتمامه بأمر الآخرة، وفرط تماديه في إصلاح المعاش الدنيوي وبعد بيان خطأ الإنسان في تصوره واعتقاده هذا، زجر الناس عن تقصيرهم وارتكابهم المنكرات، ونبه لما هو شر من ذلك، وهو أنه يكرمهم بكثرة المال، ثم لا يؤدون حق الله فيه، فلا يحسنون إلى اليتامى والمساكين.

وبعد أن ذمهم على قبح الأقوال، ذمهم على قبح الأفعال الذي هو شر من سابقه، وهو أنه يكرمهم بكثرة المال، ثم لا يؤدون حق الله فيه.

وبعد أن ذكر الأقوام السابقة وكشف أحوال الإنسان وسرائره ذكَّرهم بالآخرة والحساب وأن أعمال الإنسان ستظهر له يوم القيامة ويحاسب عليها، وذكر القرآن صنفين من الناس: الكافر الحريص على الدنيا فهو في جهنم يعذب فيها، والمؤمن ذي النفس المطمئنة وهو في رحمة الله وجنته. و عن ابن عباس، في قوله: ( يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية )، قال: نزلت وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذا ! فقال: أما أنه سيقال لك هذا"[[409]](#footnote-409).

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها**

**المفردة الأولى: إرم**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الهمزة والراء والميم أصل واحد، وهو نضد الشيء إلى الشيء في ارتفاع ثم يكون القياس في أعلاه وأسفله واحدا. والإرم العلم، وهي حجارة مجتمعة كأنها رجل قائم. والأرم الحجارة، وأرمتهم السنة استأصلتهم[[410]](#footnote-410).

وجاء في تهذيب اللغة: "عن ابن الأعرابي: الأرم: القطع. وقال أبو الهيثم: أرمتهم السنة تأرمهم، أي أكلتهم. وأرمت الأرض النبت، إذا أهلكته. وقال أبو عمرو الشيباني الآرام: الأعلام. واحدها: إرم؛

وقال أبو الهيثم: قال أعرابي لمؤذن كان بالري رقى منارة ليؤذن فيها: أترقى كل يوم هذا الإرم؟"[[411]](#footnote-411).

فالذي يتحصل من هذه الأقوال أن الإرم في اللغة هو البناء الكبير المتين وسُمي بذلك لأنه مبني من قطع الحجارة المقطوعة.

**ثانياً: أقوال أهل التفسير:**

للمفسرين في تفسير "إرم" قولان مشهوران هما:

الأول: أن إرم هو جد عاد[[412]](#footnote-412): ولكن هذا يحتاج إلى دليل قوي في التثبت من نسب تلك القبيلة ولا يُكتفى بما في كتب التاريخ والسير.

الثاني: أن إرم هو اسم بلدتهم وسميت بذلك لكثرة ما فيها من أبنية كبيرة ومرتفعة، قال أبو حيان:" وقال الجمهور: إرم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن"[[413]](#footnote-413). وهذا ما أرجحه لأسباب:

الأول: لأنه ليس في ذكر الجد الأدنى والأعلى للقبيلة فائدة تُذكر، وسياق السورة سريع لا يحتمل التفصيل في هذه الأمور.

الثاني: أن ذكر صفة المدينة مناسب للسورة حيث تُخبر عن بعض مظاهر قدرة الله ومن ذلك إهلاكه أمثال هذه المدن العظيمة[[414]](#footnote-414).

الثالث: في ذكر هذه الصفة ( إرم ذات العماد ) مزيد بيان لحال ذلك القوم، فهو ذكر اسم القوم منسوباً لجدهم ثم ذكر اسم المدينة أنها مدينة مبنية بالحجارة العظيمة ولها أعمدة متينة، وأنهم لم يخلق مثلهم في قوة أجسادهم وبنيانهم، والله أعلم.

وقد يجمع بين القولين بأن إرم هو اسم جدهم الأعلى وصار ذلك يطلق على اسم المدينة أيضاً[[415]](#footnote-415).

والعماد: عود غليظ طويل يقام عليه البيت يركز في الأرض تقام عليه أثواب الخيمة أو القبة ويسمى دعامة، وهو هنا مستعار للقوة تشبيها للقبيلة القوية بالبيت ذات العماد.

ويجوز أن يكون المراد ب العماد الأعلام التي بنوها في طرقهم ليهتدي بها المسافرون المذكورة في قوله تعالى: [ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ] {الشعراء:128}. ووصفت عاد ب ذات العماد لقوتها وشدتها.

وأُريد بالخلق خلق أجسادهم فقد رُويَ أنهم كانوا طوالاً شداداً أقوياء، وكانوا أهل عقل وتدبير، والعرب تضرب المثل بأحلام عاد، ثم فسدت طباعهم بالترف فبطروا النعمة[[416]](#footnote-416).

قال ابن عاشور: "وقد وضع القصاصون حول قوله تعالى: إرم ذات العماد قصة مكذوبة فزعموا أن إرم ذات العماد مركب جعل اسما لمدينة باليمن أو بالشام أو بمصر، ووصفوا قصورها وبساتينها بأوصاف غير معتادة، وتقولوا أن أعرابيا يقال له: عبد الله بن قلابة كان في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان تاه في ابتغاء إبله، فاطلع على هذه المدينة وأنه لما رجع أخبر الناس فذهبوا إلى المكان الذي زعم أنه وجد فيه المدينة فلم يجدوا شيئاً. وهذه أكاذيب مخلوطة بجهالة"[[417]](#footnote-417).

**القراءات في الكلمة:**

قُرِئَ من الشواذ بعادَ إرمَ مفتوحين وقرئ: بعاد إرْم بسكون الراء على التخفيف، وقرئَ ( إرمِ ذات العماد) بإضافة إرم إلى ذات العماد وقرئ: "أَرَمَ ذاتَ العمادِ" بدلا من فعل ربك، والتقدير: ألم تر كيف فعل ربك بعاد جعل ذات العماد رميما[[418]](#footnote-418). قال أبو حيان:" وعن ابن عباس والضحاك: أرم فعلا ماضيا، أي بلي، يقال: رم العظم وأرم هو: أي بلي، وأرمه غيره معدى بالهمزة من رم الثلاثي...ومن قرأ: أرم فعلا ماضيا، ذات بالنصب، أي جعل الله ذات العماد رميما، ويكون إرم بدلا من فعل ربك وتبيينا لفعل"[[419]](#footnote-419).

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

لماذا جاءت هذه المفردة بصيغة الإستفهام؟ ولماذا أضيف الكلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟

صيغة الاستفهام في مثل هذا السياق أشد إثارة لليقظة والالتفات. والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ابتداء. ثم هو لكل من تتأتى منه الرؤية[[420]](#footnote-420) أو التبصر في مصارع أولئك الأقوام.

ما دلالة الاستفهام في هذه الآية؟

الاستفهام في قوله: ألم تر تقريري، والمخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم تثبيتا له ووعدا بالنصر، وتعريضا للمعاندين بالإنذار بمثله فإن ما فعل بهذه الأمم الثلاث موعظة وإنذار للقوم الذين فعلوا مثل فعلهم من تكذيب رسل الله قصد منه تقريب وقوع ذلك وتوقع حلوله[[421]](#footnote-421).

لماذا قال ( ربك ) ولم يذكر لفظ الجلالة؟

لما في وصف رب من الإشعار بالولاية والتأييد وفي ذلك للمؤمن طمأنينة وأنس وراحة.

وفي إعراب "إرم" وجهان وذلك لأنا إن جعلناه اسم القبيلة كان قوله: إرم عطف بيان لعاد وإيذانا بأنهم عاد الأولى القديمة وإن جعلناه اسم البلدة أو الأعلام كان التقدير بعاد أهل إرم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة[[422]](#footnote-422).

**المفردة الثانية: سوط**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

السين والواو والطاء أصل يدل على مخالطة الشيء الشيء. يقال سطت الشيء: خلطت بعضه ببعض. ومن الباب السوط، لأنه يخالط الجلدة، يقال سطته بالسوط: ضربته[[423]](#footnote-423).

وجاء في تهذيب اللغة:" وقيل: سمي السوط سوطا لأنه إذا سيط به إنسان أو دابة خلط الدم باللحم. وساطه، أي: خلطه"[[424]](#footnote-424). وقال أبو حيان:" السوط: آلة للضرب معروفة. قال بعض اللغويين: وهو مصدر من ساط يسوط إذا اختلط"[[425]](#footnote-425).

فالسوط لغة يدل على المخالطة ثم أطلق على تلك الأداة التي يؤدَّب بها العبيد أو الدواب لأنه يخالط الجلدة.

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

اتفق المفسرون في أن المراد بالسوط في السورة هو ذاك العذاب الذي نزل بالأمم الثلاث وليس هو حقيقة تلك الأداة[[426]](#footnote-426)، ولكن استعيرت هذه المفردة لأسباب وهي:

الأول: السوط إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به.وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال: إن عند الله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها[[427]](#footnote-427).

الثاني: أنه مستعار لحلول العذاب دفعة وإحاطته بهم كما يصب الماء على المغتسل أو يصب المطر على الأرض، فوجه الشبه مركب من السرعة والكثرة وكان العذاب الذي أصاب هؤلاء عذاباً مفاجئاً قاضياً[[428]](#footnote-428).

ولكني أتساءل: لماذا جمع القرآن بين عذاب الأقوام الثلاث بوصفٍ جامعٍ هو "سوط عذاب" مع أن نوع العذاب مختلف؟ أقول: ليس المقصود من السوط تلك الأداة التي يؤدب فيها العبيد أو الدواب ولكن المراد هو ذاك الألم الذي يُوصَلُ بالسوط وهو ألم وقع عليهم بسرعة وشدة حتى خالط أجسامهم.

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة بصيغة لها دلالات مناسبة للسورة فقد جاءت أحرفها قليلة إشارة إلى صِغَر العذاب بالنسبة لعذاب الآخرة واحتوت المفردة على حرف السين وفيه إشارة إلى السرعة و حرف الطاء وفيه إشارة إلى ثقل العذاب وإطباقه عليهم.

وفي الآية تشبيه بليغ فإضافة سوط إلى عذاب من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي صب عليهم عذابا سوطا، أي كالسوط في سرعة الإصابة فهو تشبيه بليغ[[429]](#footnote-429). قال أبو حيان:" وخص السوط فاستعير للعذاب، لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره"[[430]](#footnote-430). وقال الزمخشري:" وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به"[[431]](#footnote-431).

كما أضاف سوط عذاب إلى (ربك) إيماءً إلى أن فاعل ذلك ربه الذي شأنه أن ينتصر له[[432]](#footnote-432).

وجاءت هذه الكلمة فيما يحسن أن يكون جواب القسم في السورة لأن جواب القسم غير موجود وتقديره: ليصبن ربك على مكذبيك سوط عذاب كما صب على عاد وثمود وفرعون.

**المفردة الثالثة: جمَّا:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الجيم والميم في المضاعف له أصلان: الأول كثرة الشيء واجتماعه، والثاني عدم السلاح[[433]](#footnote-433).

ويقال: جاءوا جما غفيرا، وجماء أي بجماعتهم. ويقال: جاء فلان في جمة عظيمة أي في جماعة [[434]](#footnote-434).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

اتفق المفسرون على أن الجم هو الكثير قال الرازي:" اعلم أن الجم هو الكثرة يقال: جم الشيء يجم جموماً يقال ذلك في المال وغيره فهو شيء جم وجام وقال أبو عمرو جم يجم أي يكثر، والمعنى: ويحبون المال حباً كثيراً شديداً"[[435]](#footnote-435)

وقال أبو حيان في البحر المحيط:" الجم: الكبير"[[436]](#footnote-436).

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة بصيغة مضعَّفة لزيادة وصف الإنسان وصفاً مزرياً وكشف حاله في حبه الشديد للمال وفي ذلك مزيد تقريع وزجر.

وفي ( حباً جماً ) استعارة قال ابن عاشور:" وصفُ الحب بالكثرة مراد به الشدة لأن الحب معنى من المعاني النفسية لا يوصف بالكثرة التي هي وفرة عدد أفراد الجنس. فالجم مستعار لمعنى القوي الشديد، أي حبا مفرطا، وذلك محل ذم حب المال.. "[[437]](#footnote-437).

وجاءت هذه الكلمة متناسبة في فاصلة الآية السابقة ( لمّا )[[438]](#footnote-438) ومعناهما متقارب وفي ذلك زيادة تفصيل في خبايا الإنسان الذي يريد جمع الأموال وأكلها دون أن يفرق بين الحلال والحرام.

والخلاصة: أنكم تؤثرون الدنيا على الآخرة، والله يحب السعي للآخرة، وترك الإفراط والمغالاة والتمادي في حب الدنيا وملذاتها.

ومن الكلمات التي اختصت بها السورة مع تكرر جذرها في سور أخرى[[439]](#footnote-439):

بالمرصاد، التراث وهما مفردتان متناسبتان مع جو السورة فموضوع السورة إظهار قدرة الله تعالى ورصده لطغيان الإنسان، وكشف سرائر الإنسان في حبه للمال والميراث قال ابن عاشور:" ومنه يظهر وجه إيثار لفظ التراث دون أن يقال: وتأكلون المال لأن التراث مال مات صاحبه وأكله يقتضي أن يستحق ذلك المال عاجز عن الذب عن ماله لصغر أو أنوثة"[[440]](#footnote-440).

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية ومحور السورة واسمها**

موضوع السورة ومقصودها بيان مظاهر قدرة الله في إهلاك الأمم العاتية والشعوب الظالمة، والتحذير من عذاب الله ونقمه فإنه تعالى بالمرصاد فليحذر المنحرفون عن سبيل الله والحاكمون بغير شرعه والعاملون بغير هداه أن يصب عليهم سوط عذاب. وزجر الإنسان في بعض أفعاله وأقواله.

وتتناسب هذه المفردات الثلاث مع محور السورة فكلمة "إرم" تدل على تلك المدينة المبنية من حجارة كبيرة ومتينة وقد أهلكها الله ودمرها، وهذا مناسب لمحور السورة التي تتحدث عن مظاهر قدرة الله تعالى في تغيير ظواهر الكون، ولعل هذا سبب اختصاص هذه السورة بهذه الصفة لعاد مع أن قصة عاد تكررت في سور عدة، فقد ذكرت هذه الصفة الدالة على القوة والعظمة في البنيان للدلالة على قدرة الله على الإهلاك والإحياء.

وأما كلمة "سوط" فتناسبها لحو السورة من أنها دالة على ذاك العذاب المحيط والسريع الذي وقع بهذه الأقوام، وفي ذلك إشارة إلى أن الله لا يعجزه شيء وقادر على كل شيء، وأن ما أظهره من عذاب هو سوط من أسواطه فكيف لو أظهره كله، نعوذ بالله من غضبه وسخطه.

وتتناسب حروف الكلمة مع جو السورة فالسين فيها معنى السرعة والطاء فيها معنى الإطباق، والسورة قائمة على الإيجاز والإجمال، وكذلك جاءت هذه الكلمة مجمِلَةً لأنواع العذاب التي تشترك فيما بينها.

أما كلمة "جمَّا" فمن مقاصد السورة زجر الإنسان في حبه للمال وحرصه على الدنيا وتأنيبه على بخله على المسكين واليتيم. وهذه المفردة جاءت متناسبة مع ذلك فهي تكشف عن خلق ذميم في الإنسان وهو محبته الكبيرة والكثيرة للأموال ولو بطريق حرام.

والمحبة لا توصف بالجم لأن الجم يطلق على المعاني الحسية-كما ذكر ابن عاشور سابقاً- ولكنه استعير هنا للدلالة على أن هذه المحبة لم تبقَ مجرد ميل قلبي معنوي إلى المال والتراث بل تعدى ذلك إلى أن تظهر هذه المحبة المذمومة في أفعال الإنسان، فالإنكار على الإنسان ليس في ميله القلبي إلى المال وحسب بل وفي ظهور هذه الشديدة في أفعاله وأقواله حتى ظلم الناس وأكل حقوقهم، وما يدل على هذه المحبة الشديدة مجيء هذه المفردة مضعفة.

وأما عن تناسب المفردات مع بعضها: إرم، سوط، جمَّا، فهو ظاهر فإرم اسم تلك المدينة -أو القوم – التي أهلكها الله تعالى وصبَّ عليها (سوط) عذاب. و (حباً جمَّا ) فيها كشف لحال الإنسان وردعه لئلا يصل به الأمر إلى ما وصلت إليه إرم وثمود وفرعون، فيصب الله عليهم سوط عذاب، فهذه المفردة –الحب الشديد للمال- فيها بيان سبب نزول العذاب وإهلاك الأمم السابقة.

فالتناسب بينها ظاهر فمن حرص على المال وأحب الدنيا حباً شديداً صبَّ الله عليه سوط عذاب وأهلكه كما أهلك الأمم السابقة: إرم وثمود وفرعون.

أما عن تناسب المفردات مع عنوان السورة فقد تفكرت في ذلك ووجدت أن أكثر الأقوام التي أهلكها الله قد نزل بهم العذاب مصبحين أو قريباً من وقت الفجر والصباح، فيكون الرابط بين الفجر وإرم وسوْط أن الله أنزال على هذه المدينة سوط عذاب وقت الفجر والصباح – والله أعلم -.

ورابط آخر بين الفجر وإرم أن وقت الفجر فيه إشارة إلى نور الإسلام وانقشاع ظلمة الكفر وهو الوقت الذي أهلك الله به أمم الكفر.

أما تناسب كلمة "جمَّا" مع عنوان السورة فيظهر أن الإنسان الحريص على جمع الأموال سواءٌ أكان من حلال أو من حرام هو مضيِّعٌ لوقت الفجر ولصلاة الفجر.

وعلى اعتبار أنَّ الفجر هو فجر يوم معين كفجر يوم النحر فالتناسب موجود أيضاً فهذا الإنسان الذي أكرمه الله بالأموال قد غفل عن إنفاقها فيما يحبه الله في أيامه المحببة كأيام الحج ويوم النحر، والله أعلم.

**المبحث الثالث: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة البلد وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة البلد لأن الله تعالى أقسم في فاتحتها بالبلد الحرام. وعدد آيها عشرون آية[[441]](#footnote-441).

**ثانياً: وقت نزولها:**

هي مكية وحكى الزمخشري والقرطبي الاتفاق عليه واقتصر عليه معظم المفسرين. وقد عدت الخامسة والثلاثون في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة ق وقبل سورة الطارق[[442]](#footnote-442).

**ثالثاً: مناسبتُها لما قبلها وما بعدها:**

ترتبط السورة بما قبلها-سورة الفجر- من وجهين[[443]](#footnote-443):

1- ذم الله تعالى في السورة السابقة (الفجر) من أحب المال، وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين، وذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة (إعتاق العبيد) والإطعام في يوم المسغبة (المجاعة).

2- ختم الله تعالى السورة المتقدمة ببيان حال النفس المطمئنة في الآخرة، وذكر هنا طريق الاطمئنان، وحذر من ضده وهو الكفر بآيات الله ومخالفة أوامر الرحمن.

وترتبط بما بعدها-الشمس- بأنهما يشتركان بكيفية تزكية النفس واقتحام العقبة.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة:**

**أولاً: موضوعها:**

ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام، الذي هو سكن النبي صلى الله عليه وسلم، تعظيما لشأنه وتكريما لمقامه الرفيع عند ربه، ولفتا لأنظار الكفار إلى أن إيذاء الرسول في البلد الأمين، من أكبر الكبائر عند الله تعالى.

ثم تحدثت عن بعض الكفار، الذين اغتروا بقوتهم، فعاندوا الحق، وكذبوا رسول الله وأنفقوا أموالهم في المباهاة والمفاخرة، ظناً منهم أن إنفاق الأموال في حرب الإسلام يدفع عنهم عذاب الله، وقد ردت عليهم الآيات بالحجة القاطعة والبرهان الساطع. ثم تحدثت السورة عن الأعمال التي يجب على الإنسان أن يفعلها ليدخل الجنة ويكون من أصحاب اليمين.

وختمت السورة الكريمة بالتفريق بين المؤمنين والكفار، في ذلك اليوم العصيب، وبينت مآل السعداء، ومآل الأشقياء، في دار الخلد والكرامة [[444]](#footnote-444).

ثانياً: مقاصدها وأغراضها:

1- التنويه بمكة وبمقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بها وبركته فيها وعلى أهلها.

2- التنويه بأسلاف النبي - صلى الله عليه وسلم - من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل.

3- ذم سيرة أهل الشرك وإنكارهم البعث وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس، ونعمة النطق، ونعمة الفكر، ونعمة الإرشاد فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه[[445]](#footnote-445).

4- إثبات أن الانسان مختار وقد عرَّفه الله طريق الخير والشر.

5- الحث على الإيمان والتواصي بالصبر والمرحمة والمكرمات الأخرى وفي مقدمتها عتق الرقيق. وأسلوبها عام إجمالا[[446]](#footnote-446).

6- إن الله قادر على كل شيء من الإنسان والحيوان والجماد والنبات، عالم بقصد كل إنسان حين ينفق ما ينفق رياء وافتخارا وحبا للانتساب إلى المعالي والمكارم، أو معاداة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويرى كل أحد فيما يعمل ويجني ويكتسب وينفق.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

1- من مميزاتها أنها افتتحت بالقسم المسبوق بــ ( لا ) وهذا أسلوب افتتحت به سور قليلة كسورة القيامة وهذا أسلوب فيه زيادة تشويق.

2- تضمنت السورة حقائق أساسية في التصور الإيماني بلمسات سريعة وعميقة قال سيد قطب:" تضم هذه السورة الصغيرة جناحيها على حشد من الحقائق الأساسية.."[[447]](#footnote-447)

3- من مميزاتها وجود مفردات مشكلة من حيث المعنى مثل: (لا أقسم، حل، ووالد وما ولد، كبد) مما يزيد السورة تشويقاً.

4- الجرس الصوتي العام للسورة يوحي بالشدة والغلظة يناسب جو السورة القائم على الترهيب والإنكار على الإنسان في كفره وصده عن دين الله تعالى.

5- تضمنت السورة استفهامات عدة تثير ذهن السامع وتحثه على التفكر، وهي:

-الاستفهام الإِنكاري للتوبيخ [ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ] {البلد:5}} ومثله {[ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ] {البلد:7}

- الاستفهام التقريري للتذكير بالنعم [ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ] {البلد:8} [ﮝ ﮞ ﮟ ] {البلد:9}

- الاستفهام للتهويل والتعظيم {وَمَآ أَدْرَاكَ مَا العقبة} لأن الغرض تعظيم شأنها.

6- حسن الاختتام بقوله: [ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ] {البلد:20} حيث تُختم السورة وتغلق بذكر النار المؤصدة المغلقة عليهم..

7- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البلاغة نوجزها فيما يلي[[448]](#footnote-448):

1 - زيادة {لاَ} لتأكيد الكلام، وهو مستفيض في كلام العرب {لاَ أُقْسِمُ بهذا البلد} أي أُقسم بهذا البلد، وفائدتها تأكيد القسم.

2 - الاستعارة في قوله {فَلاَ اقتحم العقبة} لأن أصل العقبة الطريق الوعر في الجبل، واستعيرت هنا للأعمال الصالحة لأنها لا تصعب وتشق على النفوس.

3- الجناس الناقص بين {مَقْرَبَةٍ} و {مَتْرَبَةٍ} لتغير بعض الحروف.

4 - المقابلة اللطيفة بين {أولئك أَصْحَابُ الميمنة} وبين {هُمْ أَصْحَابُ المشأمة}.

5 - مراعاة الفواصل ورؤوس الآيات مثل {لاَ أُقْسِمُ بهذا البلد.. وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ} ومثل {عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ} وهو من المحسنات البديعية.

8- اختصت السورة بمفردات لم ترد في غيرها من حيث الجذر والاشتقاق وهي: كبد، شفتين، النجدين، مسغبة. وهي مفردات تعطي السورة شخصية مستقلة، كما سيأتي.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة**

تتكون السورة من مقطعين هما:

الأول: من الآية الأولى إلى قوله: [ﮠ ﮡ ﮢ ] {البلد:10}: وفي هذا المقطع أقسم الله بالبلد الحرام[[449]](#footnote-449) تعظيماً له ليس لأنها بلد قريش ولكن لأن محمداً حالٌ فيها ولأنها بلد إبراهيم وإسماعيل[[450]](#footnote-450) اللذين كانا على التوحيد وبنيا البيت الحرام فأعطيا مكة حرمة وتعظيما وفي هذا القسم تعريض بالمشركين الذين ينتسبون لإبراهيم وللبلد الحرام انتساباً ظاهرياً لا حقيقياً فلا يؤمنون برسالة إبراهيم ولا برسالة محمد عليهما الصلاة والسلام الذي جاء بمثل ما جاء به. ولعل ابتداء القسم بحرف النفي "لا" مقصود لإثارة الاضطراب في نفس المشركين حيث يتساءلون[[451]](#footnote-451).

وجاء جواب القسم (لقد خلقنا الإنسان في كبد ) مناسباً للقسم حيث فيه مواساة للنبي صلى الله عليه وسلم وتخفيفاً عليه من حيث إن جميع البشر خلقوا في التعب والمشقة من يوم ولادته إلى يوم مماته.

ثم أنكر على الإنسان المخلوق في التعب والمشقة كيف يكفر ويزيد من شقائه في جمع الأموال وإنفاقها فيما يضره ولا ينفعه[[452]](#footnote-452) ويظن أن الله لا يراه ولا يقدر عليه وكل هذا بسبب جهله وغروره.

ثم زاد في الإنكار عليه بتذكيره بما وهبه من نِعَم لم يستخدمها في الخير فأعطاه العينين ليبصر بهما واللسان والشفتين ليتكلم بهما ويفصح عما بداخله وعرَّفه طريقي الخير والشر، ومع ذلك لم يستخدمها فيما ينفعه كالأموال التي ينفقها فلم ينظر بعينيه إلى الحقيقة ولم يتكلم بلسانه في مدح طريق الخير والدين ولم يفرق بين طريق الإيمان وطريق الكفر[[453]](#footnote-453).

المقطع الثاني: من الآية [ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ] {البلد:11} إلى آخر السورة: وهو متمم للمقطع الأول من حيث أنَّ هذا الإنسان الذي تعب في جمع أمواله وإنفاقها في غير منفعة لم يستطع أن يتجاوز تلك العقبة التي تزيل عنه المشاق وتجعله من أصحاب الميمنة.

والعقبة هاهنا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البِرِّ، فجعله كالذي يتكلَّف صعود العقبة[[454]](#footnote-454). وأهم ما يجعله يتجاوز العقبة فك رقبة وإطعام الطعام، ثم الأهم من ذلك الإيمان بالله تعالى. وختمت الآيات ببيان صنفي الناس أهل الميمنة الذي آمنوا وأنفقوا مالهم فيما ينفع وأهل المشأمة الذين كفروا بالله وأنفقوا مالهم رياءً وصداً عن دين الله.

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها**

**المفردة الأولى: كبد**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر**

الكبد يدل على القسوة والشدة قال الخليل في العين:" الأكباد جمع كبد، وهي اللحمة السوداء في البطن... والكبد: شدة العيش"[[455]](#footnote-455).

وقال ابن فارس:" الكاف والباء والدال أصل صحيح يدل على شدة في شيء وقوة...ومن الاستعارة: كبد السماء: وسطها"[[456]](#footnote-456).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

تعددت أقوال المفسرين في تفسير الكبد في هذه الآية إلى ثلاثة أقوال هي:

أحدها: في نَصَبٍ وتعب ومعاناة، عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو عبيدة[[457]](#footnote-457)، فعلى هذا يكون من مكابدة الأمر، وهي معاناته.

والثاني: أن المعنى: خلق منتصباً يمشي على رجلين، وسائر الحيوان غير منتصب، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والضحاك، وعطية، والفراء[[458]](#footnote-458)، فعلى هذا يكون معنى الكبد: الاستواء والاستقامة.

والثالث: في وسط السماء، قال ابن زيد: (لقد خلقنا الإنسان) يعني: آدم (في كبد) أي: في وسط السماء[[459]](#footnote-459).

واختار كثير من المفسرين القول الأول لمناسبته السياق قال أبو حيان:" وهذه الأقوال ضعيفة، والأول هو الظاهر"[[460]](#footnote-460). قال ابن جزي:" والأول هو الصحيح"[[461]](#footnote-461) وقال ابن عطية:"وهذان قولان قد ضعفا والقول الأول هو الصحيح"[[462]](#footnote-462).

وقد ابتعد ابن عاشور كثيراً حين قال:" فالذي يلتئم مع السياق ويناسب القسم أن الكبد التعب الذي يلازم أصحاب الشرك من اعتقادهم تعدد الآلهة... والمعنى: لقد خلقنا الكبد في الإنسان الكافر للمفسرين تأويلات أخرى في معنى الآية لا يساعد عليها السياق"[[463]](#footnote-463). والذي أراه أن قوله هذا لا يساعد عليه السياق لأنه تخصيص بلا مخصص والآية مطلقة.

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة مسبوقة بحرف ( في ) وهو يدل على الظرفية أي أن التعب والمشقة ملابسان للإنسان لا يفارقانه طيلةَ حياتِه[[464]](#footnote-464). قال الرازي:" في كبد يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف، وفيه إشارة إلى ما ذكرنا أنه ليس في الدنيا إلا الكد والمحنة"[[465]](#footnote-465).

وجاءت المفردة في جواب القسم لزيادة التقرير والتوكيد قال ابن عاشور:" في الآيات توكيد تقريري وتنديدي بأسلوب القسم لما جبل عليه الإنسان من طبيعة المشاقة والمكابدة "[[466]](#footnote-466).

ولكن أتساءل لماذا لم يقل في تعب أو نصب؟ لقد تفكرت في معاني هذه المفردة ووجدت أن الكبد فيه معنى زائد على التعب إذ إن الكبد هو معدن العداوة فالكلمة تعطي معنى التعب والحقد والعداء للدين من الإنسان البعيد عن الله قال ابن منظور:"والكبد: معدن العداوة"[[467]](#footnote-467).

أما دلالة الكلمة صوتياً فهي تتكون من أحرف دالة على الشدة لا على الرخاوة وتناسب المعنى الذي تحمله وتناسب فاصلة المقطع (الدال) وهي من حروف القلقلة وفيها مناسبة لجو المقطع.

**المفردة الثانية: شفتين:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الشين والفاء أصل واحد يدل على رقة وقلة، من ذلك الشف: الستر الرقيق، وكل شيء استوعب شيئا فقد اشتفه[[468]](#footnote-468). وقال الليث:" الشف ضرب من الستور يرى ما وراءه"[[469]](#footnote-469).

وجاء في المعجم الوسيط في اللغة:"وشفة الإنسان الجزء اللحمي الظاهر الذي يستر الأسنان وهما شفتان وبنت الشفة الكلمة يقال لم ينبس ببنت شفة"[[470]](#footnote-470).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

أقوال المفسرين لم تختلف في تفسير هذه المفردة فالشفتان هما اللحمتان الرقيقتان اللتان يستران الثغر، ويستعان بهما على الكلام وأكل الطعام، وتعطي الوجه جمالاً. قال أبو حيان:" عدد تعالى على الإنسان نعمه فقال: ألم نجعل له عينين يبصر بهما، ولسانا يفصح عما في باطنه، وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على الأكل والشرب والنفخ وغير ذلك"[[471]](#footnote-471)

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

جاءت هذه المفردة في صيغة السؤال التوبيخي الإنكاري (ألم نجعل له عينين، ولساناً وشفتين ) لتذكير الإنسان بنعم الله عليه إذ جعله مبصراً متكلماً عاقلاً فصيحاً ثم يستخدم ذلك في الصد عن الله تعالى وعن دينه. والسؤال الإنكاري لا يراد به حقيقة الاستفهام بل له أغراض أخرى هي التقرير والتوبيخ والإنكار على الانسان في كفره

قال سيد قطب:"إن الإنسان يغتر بقوته، والله هو المنعم عليه بهذا القدر من القوة"[[472]](#footnote-472).

كما جاءت المفردة بالتثنية لا بالإفراد مناسبة للعينين والنجدين وفي ذلك مزيد إنعام وتفضل كقوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان ).

ولم يذكر السمع لأن صفة الكلام تغني عنه قال البقاعي في نظم الدرر:" ولم يذكر السمع لأن الكلام يستلزمه"[[473]](#footnote-473). فكيف يكون مفيض العلم على الناس غير قادر وغير عالم بأحوالهم.

واقتصر على العينين والشفتين واللسان لأنها أصول التعلم والتعليم وذكر الشفتين مع اللسان لأن الإبانة تحصل بهما معا فلا ينطق اللسان بدون الشفتين ولا تنطق الشفتان بدون اللسان.

ومن دقائق القرآن أنه لم يقتصر على اللسان ولا على الشفتين خلاف عادة كلام العرب أن يقتصروا عليه يقولون: ينطق بلسان فصيح، ويقولون: لم ينطق ببنت شفة، أو لم ينبس ببنت شفة، لأن المقام مقام استدلال فجيء فيه بماله مزيد تصوير لخلق آلة النطق[[474]](#footnote-474).

**المفردة الثالثة: النجدين**

النجد اسم يدل على الإرتفاع والإشراف قال الخليل في العين:" النَّجد: ما خالف الغور... ويقال: هاهنا الطريق الواضح، والطريق الواضح يسمى نجدا... ونجد الأمر ينجد نجودا أي استبان ووضح فهو ناجد"[[475]](#footnote-475) وقال ابن فارس:"النون والجيم والدال أصل واحد يدل على اعتلاء وقوة وإشراف "[[476]](#footnote-476).

فالنجد: الطريق المرتفع البين الواضح[[477]](#footnote-477).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

للمفسرين في هذه المفردة قولان[[478]](#footnote-478):

الأول: طريق الخير والشر، قاله ابن مسعود وابن عباس والجمهور[[479]](#footnote-479). قال ابن عطية:" أي عرضنا عليه طريقهما، وليست الهداية هنا بمعنى الإرشاد"[[480]](#footnote-480).

الثاني: ثديا الأم، لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه. قاله ابن عباس وعلي وابن المسيب والضحاك[[481]](#footnote-481).

وأرى –والله أعلم- أن كلا القولين محتملان فالأول هداية في الدين والثاني هداية في الدنيا، ويستدل على القول الأول ما أخرجه الطبري عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إنما هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»[[482]](#footnote-482).

والقول الثاني أيضاً ليس بمستغرب لأن الموضع موضع امتنان على الإنسان بما وهبه الله تعالى من عينين ولسان وشفتين فلا غرابة أن يذكر له الثديين وقد ورد الامتنان على الانسان بذكر ثديي أمه في بعض الآثار.

النظرية النفسية الإسلامية في هذه الآية:

قال سيد قطب:" في طبيعته -الإنسان- هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي النجدين... وهذه الآية تكشف عن حقيقة الطبيعة الإنسانية؛ كما أنها تمثل قاعدة « النظرية النفسية الإسلامية » هي والآيات الأخرى في سورة الشمس"[[483]](#footnote-483)

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

في هذه الآية {وَهَدَيْنَاهُ النجدين} استعارة لطيفة أي طريقي الخير والشر، وأصل النجد الطريق المرتفع، استعير كل منهما لسلوك طريق السعادة، وسلوك طريق الشقاوة[[484]](#footnote-484). واستعير النجدان للخير والشر، وجعلا نجدين لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير فغلب على الطريقين، أو لأن كل واحد صعب باعتبار، فطريق الخير صعوبته في سلوكه، وطريق الشر صعوبته في عواقبه، ولذلك عبر عنه بعد هذا بالعقبة[[485]](#footnote-485).

ولكن لماذا عبَّر بالنَّجدين عِوَضاً عن الطريقين؟ أرى أن ذلك بسبب أن الطريق للخير للشر واضحان بارزان لا اشتباه بينهما وأن كل إنسان يعلم في ذاته الخير والشر بشكل عام. فكأنه لما وضحت الدلائل جعلت كالطريق المرتفعة العالية بسبب أنها واضحة للعقول كوضوح الطريق العالي للأبصار.

أو لأن هذين الطريقين شديدان يحتاج من يسلك أحدهما قوة في الاختيار وشدة في الفعل.

دلالة تعريف المفردة: عُرِّفت المفردة للدلالة على الطريقين المعروفين المعهودين: الخير والشر، فاللام للعهد أي النجدان المعهودان عند الإنسان فكأنهما معروفان لدى كل انسان ولا يخفى ذلك عندهم.

لماذا عبر بالنَّجدين ولم يُعبّر بالإيمان والكفر؟ لمناسبة سياق السورة حيث بيَّنَتْ السورة طريق أهل الخير وطريق أهل الشر وصفاتهما فكان المناسب لذلك ذكر ما فيه معنى الطريق والسبيل.

وجاءت الآية معطوفة على الاستفهام وهو سؤال تعجبي أو تنديدي للذي يحب نجد الشر أكثر من نجد الخير.

**المفردة الرابعة: مسغبة:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

السين والغين والباء أصل واحد يدل على الجوع. فالمسغبة: المجاعة، وقال ابن دريد: قال بعض أهل اللغة: لا يكون السغب إلا الجوع مع التعب[[486]](#footnote-486).

وسغب الرجل يسغب، وسغب يسغب سغبا وسغبا وسغابة وسغوبا ومسغبة: جاع[[487]](#footnote-487).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

اتفق المفسرون على أن المسغبة في الآية هي المجاعة قال ابن كثير:" قال ابن عباس: ذي مجاعة. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وغير واحد. والسغب: هو الجوع... وقال قتادة: في يوم يشتهى فيه الطعام"[[488]](#footnote-488).

قال أبو حيان:"السغب: الجوع العام، وقد يقال سغب الرجل إذا جاع"[[489]](#footnote-489). وقال ابن عطية:" المسغبة: المجاعة. والساغب: الجائع"[[490]](#footnote-490).

القراءات في المفردة:

قرأ الجمهور: "ذي مسغبة" على نعت يوم.

وقرأ علي بن أبي طالب والحسن وأبو رجاء «ذا مسغبة» و التقدير: إنسانا ذا مسغبة[[491]](#footnote-491).

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

لماذا عبَّرَ بهذه المفردة عِوَضاً عن كلمة مجاعة؟ لأنَّ في هذه الكلمة معنى زائداً عن المجاعة إذ تعطي معنى التَّعب والجوع وهو أكثر بلاغةً. وحروف هذه الكلمة صوتياً توحي بالتعب والجوع إذ فيها حرف حلقي (الغين) وحرفان مهموسان (السين والهاء) وحرفان شفويان (الباء والميم).

كما أن هذه المفردة جاءت مضافة إلى الاسم ( يوم ذي مسغبة ) للمبالغة في وصف ذاك اليوم بالجوع فكأنَّ الناس من شدة جوعهم صار الزمان يتصف بصفتهم[[492]](#footnote-492).

وجاءت هذه الكلمة مناسبة لفاصلة الآيات التالية ( العقبة، رقبة، مسغبة، متربة، مقربة ) لإعطاء جو صوتي يُشعر بالضعف والسكون.

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية ومحور السورة واسمها**

تتناسب هذه المفردات مع محور السورة واسمها كما سأوضح فيما يلي:

أما المفردة الأولى -كبد- فهي تتناسب مع محور السورة لأن من مقاصدها التخفيف على النبي صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه فهذه الآية تزيد في التخفيف عنه لأنها تصرح بأن الإنسان مخلوق للتعب والمشقة، ولكنك أنت يا محمد تتعب في الدعوة إلى الله ونشر دينه وتبذل الغالي والنفيس لذلك وهم يتعبون في الصد عن سبيل الله.

وتتناسب المفردة مع اسم السورة من حيث إِنَّ هذا البلدَ – مكة – هو سبب حزن النبي صلى الله عليه وسلم بسبب ما يلقاه من المشركين.

أما المفردة الثانية – شفتين - فهي تتناسب مع محور السّورة إذ إنها تتحدث عن بعض ما امتنَّ الله به على الإنسان كالبصر والكلام والجمال ثم يستخدمها في الصد عن دين الله. وجاءت هذه المفردة بصيغة الاستفهام الإنكاري لتزيد في الإنكار على هذا الإنسان الجاحد وتوبيخه.

ومن بلاغة القرآن أنه ذكر عضوي الكلام –اللسان والشفتين- ولم يذكر واحداً منهما فقط للتذكير بأن الله هو الذي أكرم الإنسان بهذه النعمة ثم هو يستخدمها فيما يغضب الله.

وتتناسب هذه الآية ( ولساناً وشفتين ) مع اسم السورة إذ إن أهل هذا البلد اشتهروا بالفصاحة والبيان والسورة تذكرهم بأن ما تفتخرون به هو بسبب ما أكرمكم الله به، فكيف تجحدون نعمَه وكيف تصدون عن سبيله؟

أما المفردة الثالثة –النجدين- فالنجدان هما الطريقان الواضحان المرتفعان وتتناسب هذه المفردة مع السورة التي تتحدث عن صنفين من الناس: أهل الميمنة وأهل المشئمة، وذاك الإنسان الجاحد الجاحد –سواء أكان مُعيَّناً أو عاماً- مثال على أهل المشئمة وهذا الصنفان هما شرح لمعنى النجدين.

وتتناسب هذه المفردة مع اسم السورة –البلد- وهو مكة إذ إن هذا البلد حوى الصنفين المؤمن والكافر، والله أقسم به وشرَّفه بسبب أن فيه الصنف الأول وهم الأنبياء والمؤمنون وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم.

أما المفردة الرابعة –مسغبة- فهي تتناسب أيضاً مع جو السورة فمن مقاصد السورة الإنكار على الكفار في إنفاقهم الأموال الطائلة رياء وتفاخراً وصداً عن سبيل الله والتحضيض في الإنفاق على وجوه الخير.

وجاءت هذه المفردة لزيادة الإنكار على ذلك الكافر الذي لا ينفق أمواله في يوم الجوع العام على الفقراء واليتامى، وينفق أمواله في محاربة دين الله، أليس الأولى أن ينفقها فيما يتجاوز به العقبة ويسقط عن نفسه الضنك والمشقة فهو في الدنيا في ضنك وفي الآخرة في عذاب أليم.

وتتناسب هذه المفردة مع اسم السورة من حيث إن هذا البلد- مكة- هو في أصله واد غير ذي زرع فيكتنفه الجوع العام والله هو وحده الذي رزق أهله من الثمرات ويسر لهم الطعام والماء فكيف يبخلون بعد ذلك بما أنعم الله عليهم ولا يطعمون الجائع والعطشان والفقير واليتيم، أليس هذا من الجحود والكفران؟! أليس من الواجب عليكم أن تعطوا المحتاجين والجوعى كما أعطاكم الله وأنقذكم من الجوع والعطش وصرتم سادة الناس؟!

وتتناسب هذه الانفرادات اللفظية مع بعضها من حيث إن فيها معنى المشقة [[493]](#footnote-493)، وفيها شيء من التخفيف على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، والوعيد للكفار والمشركين والله أعلم.

**المبحث الرابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الشمس وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة الشمس لافتتاحها بالقسم الإلهي بالشمس. ولم يذكرها في "الإتقان" مع السور التي لها أكثر من اسم[[494]](#footnote-494).

**ثانياً: وقت النزول:**

وهي مكية بالاتفاق، وعدت السادسة والعشرين في عدد نزول السور نزلت بعد سورة القدر، وقبل سورة البروج[[495]](#footnote-495). وآياتها خمس عشرة آية في عدد جمهور الأمصار، وعدها أهل مكة ست عشرة آية[[496]](#footnote-496).

**ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

ترتبط السورة بما قبلها من وجهين[[497]](#footnote-497):

1- ختم الله سبحانه سورة البلد بتعريف أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، ثم أوضح المراد من الفريقين في سورة الشمس بعمل كل منهما حيث قال: قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها.

2- أبان الله تعالى في آخر آيات السورة السابقة مصير أو مآل الكفار في الآخرة وهو النار، وذكر تعالى في أواخر هذه السورة عقاب بعض الكفار في الدنيا، وهو الهلاك، فاختتمت السابقة بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، واختتمت هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا.

أما مناسبتها لما بعدها: فسورة الليل بدأت بالقسم بالليل والنهار وخلق الذكر والأنثى، ثم تحدثت عمن صدق بالدين ومن كذب به، ثم حذرت من عذاب الآخرة، وتكاد تكون هذه المعاني متشابهة مع سورة الشمس.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة**

**أولاً**: **موضوعها**[[498]](#footnote-498):

ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله جل وعلا، أقسم بهذه الأمور على فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتقى الله، وعلى شقاوته وخسرانه إذا طغى وتمرد، وفسق وفجر.

ثم ذكر تعالى قصة ثمود قوم صالح حين كذبوا رسولهم، وطغوا وبغوا في الأرض وعقروا الناقة التي خلقها الله تعالى من صخر أصم معجزة لرسوله صالح عليه السلام، وما كان من أمر هلاكهم الفظيع الذي بقى عبرة لمن يعتبر، وهو نموذج لكل كافر فاجر، مكذب لرسل الله.

**ثانياً: مقاصد السورة وأغراضها:**

1- بيان مظاهر القدرة الإلهية في الآيات التي أقسم بها الرب تعالى.

2- الترغيب في الإيمان والعمل الصالح وتزكية النفس والترهيب من الشرك والمعاصي.

3- التحذير من الطغيان وهو الإسراف في الشر والفساد فإنه مهلك ومدمر وموجب للهلاك والدمار في الدنيا والعذاب في الآخرة.

4- تسلية الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتخفيف عنه إذ كذبت قبل قريش ثمود وغيرها من الأمم كأصحاب مدين وقوم لوط وفرعون.

5- انذار كفار قريش عاقبة الشرك والتكذيب والمعاصي من الظلم والاعتداء

6- التأكيد على مبدأ الاختيار للإنسان إذ ركَّب الله فيه الخير والشر.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

- السورة تفردت بالقسم بأحدَ عشرَ شيئاً في هذا الكون لاستثارة العقول في التفكير فيها والاستدلال على وجود الصَّانع، ولبيان أن كلها يعتريها التغير والتبدل.

- السورة لها قافية واحدة وفاصلة واحدة توحي بانتظام النظام الكوني في سمواته وأجرامه قال سيد قطب:" هذه السورة القصيرة ذات القافية الواحدة، والإيقاع الصوتي (الموسيقي) الموحد، تتضمن عدة لمسات وجدانية تنبثق من مشاهد الكون وظواهره التي تبدأ بها السورة والتي تظهر كأنها إطار للحقيقة الكبيرة التي تتضمنها السورة. حقيقة النفس الإنسانية"[[499]](#footnote-499).

- جاءت السورة ضمن سور تتحدث عن الظواهر الكونية، والحكمة في وجودها في الجزء الأخير للقرآن حث المسلم على فتح كتاب الكون بعد أن ختم المصحف ليتفكر في الآيات الكونية كما يتفكر في الآيات القرآنية.

- اقتصرت السورة على ذكر قصة واحدة من قصص الأنبياء مع أقوامهم هي قصة صالح مع ثمود، إشارة إلى من زكى نفسه ومن دساها.

- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي[[500]](#footnote-500):

1 - الطباق بين {الشمس والقمر} و {الليل والنهار} وبين {فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}.

2 - المقابلة اللطيفة بين [ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ] {الشمس:3} وبين [ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ] {الشمس:4} وبين [ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ] {الشمس:9} وبين [ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ] {الشمس:10} وكلٌ من الطباق والمقابلة من المحسنات البديعية.

3 - التهويل والتفظيع [ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ] {الشمس:14} فإِن التعبير بالدمدمة يدل على هول العذاب.

4 - السجع المرصَّع مراعاة للفواصل ورءوس الآيات وهو ظاهر جليٌ في السورة الكريمة.

* تفردت السورة بذكر مفردات لم ترد في غيرها وهي: طحاها، ألهمها، دمدم. وهي مناسبة لمحور السورة وجوها ومقاصدها، كما سيأتي بيانها.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة**

تتكون السورة من مقطعين مترابطين هما:

الأول: من بداية السورة إلى قوله: [ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ] {الشمس:10}.

الثاني: من قوله: [ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ] {الشمس:11} إلى آخر السورة.

ففي المقطع الأول: أقسام عدتها أحد عشر قسما، أقسم الله سبحانه وتعالى بها، مفتتحا السورة الكريمة: الشمس، وضحى الشمس، والقمر، والنهار، والليل، والسماء، وبناؤها، والأرض، وبسطها. ثم النفس، وما ركب فيها.

ثم ذكر الله تعالى جزاء ما تختاره النفس، فقال: [ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ] {الشمس:9-10} أي قد فاز بكل مطلوب، وظفر بكل محبوب من زكى نفسه فهذبها ونماها، وقد خسر من أضل نفسه وأغواها. وهذا جواب القسم الذي افتتحت به السورة.

وبعد الحلف بأشياء عظيمة على فوز من زكى نفسه وهذبها، وخيبة وخسار من أهملها وعظهم الله تعالى بقصة ثمود، لقربها من ديار العرب، ليحذروا معاندة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتكذيبه، وإلا حل بهم ما حل بأمثالهم من الأمم السابقة.

والمناسبة بين المقطعين هي أن القرآن أقسم بهذه الأمور على وجود الصانع الحكيم الخبير فكأنه يخاطب العقول قبل التفكر في نبوة الأنبياء وأن الأقوام السابقة لو تفكرت في الظواهر الكونية لاستجابت لدعوات الأنبياء ولما وقعوا في الهوان والخسران. وقد ذكر المقطع الأول النفس وما رُكِّبَ فيها من خير وشر وأن من زكاها بالأعمال الصالحة فقد أفلح ومن دساها بالكفر والمعصية فقد خاب وخسر، وذكر في المقطع الثاني مثالين على ذلك الأول: هو نبي الله صالح، والثاني: هم قوم صالح " ثمود " الذين كفروا وعصوا فحق عليهم العذاب والغضب.

**المطلب الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في هذه السورة ودلالاتها.**

**المفردة الأولى: طحاها:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

طحا ودحا بمعنى بسط ووطأ قال ابن فارس: "الطاء والحاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على البسط والمد. من ذلك الطحو وهو كالدحو، وهو البسط"[[501]](#footnote-501).

وجاء في لسان العرب:" قال الليث: الطحو كالدحو، وهو البسط. وفيه لغتان طحا يطحو وطحا يطحى... قال الفراء: طحاها ودحاها واحد"[[502]](#footnote-502)

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لم يختلف كلام المفسرين عن كلام أهل اللغة ولم يزيدوا عليه شيئاً قال أبو حيان:" طحا ودحا بمعنى واحد، أي بسط ووطأ، ويأتي طحا بمعنى ذهب"[[503]](#footnote-503). وقال السمين الحلبي:" وقوله: {طحاها} [الشمس: 3]، أي: دحاها "[[504]](#footnote-504). قال الرازي:" الطحو كالدحو وهو البسط، وإبدال الطاء من الدال جائز، والمعنى وسعها"[[505]](#footnote-505).

وقال ابن عاشور:" وطحو الأرض: بسطها وتوطئتها للسير والجلوس والاضطجاع" [[506]](#footnote-506).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

لم قال: (وما بناها، وما طحاها) ولم يقل: (ومن بناها، ومن طحاها)؟ لماذا أقسم بها؟ لماذا جاءت بالطاء لا بالدال؟

أما السؤال الأول فلعلماء فيه جوابان: أحدهما: أن «ما» موصولة بمعنى الذي فالمراد به الباري تعالى، وإليه ذهب الحسن ومجاهد وأبو عبيدة، واختاره ابن جرير. والثاني: أنها مصدرية، أي: وبناء السماء، وإليه ذهب الزجاج والمبرد[[507]](#footnote-507).

ورجح الرازي الأول قال:" أن المراد هو الإشارة إلى الوصفية، كأنه قيل: والسماء وذلك الشيء العظيم القادر الذي بناها، ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها"[[508]](#footnote-508).

أما لماذا أقسم بهذه الأمور؟ فالجواب: إن الاستدلال على الغائب لا يمكن إلا بالشاهد، والشاهد ليس إلا العالم الجسماني[[509]](#footnote-509).

أما لماذا جاءت هذه المفردة بالطاء ( طحاها ) ولم تأتِ بالدال ( دحاها ) مع أنهما بمعنى واحد؟

أكثر المفسرين على أنهما بمعنى واحد، ويظهر لي أنَّ اختيار (طحاها) بالطاء-الشديدة والقوية- له مناسبة صوتية لجو السورة الذي فيه حديث إهلاك ثمود واستئصالها، فجو السورة جو تهديد ووعيد، كما أن في هذه المفردة مناسبة للفريدة الثالثة "دمدم " فالطحو هو تسوية الشيء والدمدمة هي تسوية الأرض أيضاً، ففي ذلك إشارة إلى أن من طحا الأرض قادر على دمدمتها وإزالتها.

**المفردة الثانية: ألهَمَها**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

قال ابن فارس في مقاييس اللغة:" اللام والهاء والميم أصل صحيح يدل على ابتلاع شيء، ثم يقاس عليه. تقول العرب: التهم الشيء: التقمه. ومن هذا الباب الإلهام، كأنه شيء ألقي في الروع فالتهمه"[[510]](#footnote-510).

وقال الزبيدي في تاج العروس:" والإلهام: ما يلقى في الروع بطريق الفيض، ويختص بما من جهة الله والملأ الأعلى "[[511]](#footnote-511).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

الإلهام عند المفسرين هو الإلقاء في الروع وقد استشكل المفسرون ورود هذا اللفظ للدلالة على إلهام الخير والشر مع أن المعروف أن الإلهام يكون للخير وأجابوا عنه بأن الإلهام هنا هو اللمة التي تلم بالقلب كما روي في الحديث: ( للقلب لمتان لمة الملك ولمة الشيطان...)[[512]](#footnote-512)

قال الرَّاغب في مفردات القرآن:" الإلهام: إلقاء الشيء في الروع، ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى، وجهة الملإ الأعلى. قال تعالى: (فألهمها فجورها وتقواها) [الشمس: 8] وذلك نحو ما عبر عنه بلمة الملك ولمة الشيطان، وبالنفث في الروع... وأصله من التهام الشيء، وهو ابتلاعه "[[513]](#footnote-513).

وقال غيره بأن ألهمها هنا بمعنى عرفها قال ابن جبير: ألزمها. وقال ابن عباس: عرفها. وقال ابن زيد: بين لها[[514]](#footnote-514). وقال الزمخشري:" ومعنى إلهام الفجور والتقوى: إفهامها وإعقالها، وأن أحدهما حسن والآخر قبيح، وتمكينه من اختيار ما شاء منهما"[[515]](#footnote-515).

ويتحدث ابن عاشور عن هذه المفردة ويبين أصلها ويبين أن هذا اللفظ إن لم يكن من مبتكرات القرآن فهو مما أحياه القرآن لأنه اسم دقيق الدلالة على المعاني النفسية وقليل رواج أمثال ذلك في اللغة

قبل الإسلام لقلة خطور مثل تلك المعاني في مخاطبات عامة العرب، وهو مشتق من اللهم وهو البلع دفعة.[[516]](#footnote-516) وإيثار هذا الفعل هنا ليشمل جميع علوم الإنسان.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

لماذا عطف الإلهام على التسوية؟

لأن تسوية النفس حاصلة من وقت تمام خلقة الجنين من أول أطوار الصبا إذ التسوية تعديل الخلقة وإيجاد القوى الجسدية والعقلية ثم تزداد كيفية القوى فيحصل الإلهام وهي معرفة العلوم الضرورية.

ما دلالة تقديم الفجور على التقوى مع أنه أخر في الآية التالية ذكر من خاب وقدم ذكر من أفلح؟ وذلك لأن تقديم الفجور على التقوى مراعى فيه أحوال المخاطبين بهذه السورة وهم المشركون، وأكثر أعمالهم فجور ولا تقوى لهم. وقدم الفلاح على الخيبة لمناسبة التقوى، وأردف بخيبة من دسى نفسه لتهيئة الانتقال إلى الموعظة بما حصل لثمود من عقاب على ما هو أثر التدسية[[517]](#footnote-517).

ما دلالة مجيء فعل: «ألهمها» بصيغة الإسناد إلى ضمير مذكر مستتر؟ وذلك للدلالة على أن الذي خلق السموات والارض والشمس والقمر هو نفسه الذي سوَّى النفس وعرفها الخير والشر وهو نفسه الذي أرسل الرسل وهو الله فلم يصرح به لأن مثل ذلك لا يخفى على من أعمل عقله في الكون وفي نفسه.

**المفردة الثالثة: دمدم**

**أولاً: دلالة الجذر المعجمية:**

يُرجع علماء اللغة هذه الكلمة إلى الجذر ( دم ) ويعني الغشيان قال ابن فارس في مقاييس اللغة:" (دم) الدال والميم أصل واحد يدل على غشيان الشيء "[[518]](#footnote-518).

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: " عن ابن الأعرابي: دم الرجل فلانا إذا عذبه عذابا ما، ودم الشيء إذا طلي... وتكون الدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل"[[519]](#footnote-519).

**ثانياً: أقوال المفسرين والقراءات فيها:**

ينطلق المفسرون في تفسيرهم لهذه المفردة من كلام أهل اللغة، وهذه الأقوال التي حكاها المفسرون[[520]](#footnote-520):

الأول: معنى دمدم أطبق عليهم العذاب، يقال: دمدمت على الشيء إذا أطبقت عليه فإذا كررت الإطباق قلت دمدمت عليه.

الثاني: يجوز أن يكون معنى فدمدم عليهم، فسوى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم تحت التراب.

الثالث: قال ابن الأنباري: دمدم غضب، والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل.

الرابع: دمدم عليهم أرجف الأرض بهم.

والقول الأول والثاني متقاربان والرابع هو مقدمة للأول والثاني فإنه لا يطبق عليهم العذاب ولا يسوي بهم الارض إلا بعد أن يرجف بهم.

أما القول الرابع فإنه يختلف عن هذه الأقوال فهو يدل على أن الدمدمة هي صوت نزل بهم وهو مما يوافق ما جاء في قصتهم من نزول الصاعقة بهم قال ابن عاشور في تفسير دمدم: " أي صاح عليهم ربهم صيحة غضب. والمراد بهذه الدمدمة صوت الصاعقة والرجفة التي أهلكوا بها قال تعالى: ( فأخذتهم الصيحة ) [الحجر: 73]... فوزن دمدم فعلل، وقال أكثر المفسرين: دمدم عليهم أطبق عليهم الأرض، يقال: دمم عليه القبر، إذا أطبقه "[[521]](#footnote-521).

ويختلف معنى التسوية باختلاف معنى الدمدمة فإن كانت الدمدمة بمعنى الصيحة فالتسوية تعني أنهم استووا في إصابتها، ومن فسر «دمدم» بمعنى: أطبق عليهم الأرض قال معنى «سواها»: جعل الأرض مستوية عليهم لا تظهر فيها أجسادهم.

ولكن الراجح الموافق لقصة ثمود في القرآن أن الدمدمة هي الصيحة من السماء. ويحتمل أن يكون للكلمة معنى آخر هو إطباق العذاب عليهم كما قال جمهور المفسرين.

وقرأ الجمهور: فدمدم بميم بعد دالين وابن الزبير: فدهدم بهاء بينهما، وهي بمعنى القراءة المشهورة[[522]](#footnote-522).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب**:

ما الدلالة الصوتية للكلمة؟ وما دلالة تكرر الأحرف في الكلمة؟

دمدم مكرر دمم للمبالغة مثل كبكب، وعليه فوزن دمدم فعلل، والتكرار فيه دلالة توحي بالحركة والشدة وكأن السامع يحس بتلك الرجفة وتلك الصيحة قال سيد قطب:" واللفظ ذاته { دمدم } يوحي بما وراءه، ويصور معناه بجرسه، ويكاد يرسم مشهدا مروعاً مخيفاً "[[523]](#footnote-523). ولذلك قال بعض المفسرين: إن الدمدمة حكاية صوت الهدة ومنه: دمدم في كلامه. وتكرار الأحرف يوحي بتكرار الفعل مثل "كبكب".

وفي الآية مجاز عقلي حيث نسب الدمدمة لله لأن الله هو خالق الصيحة وكيفياتها.

**المطلب الثالث: علاقة الفرائد اللفظية بمحور السورة واسمها ومقاصدها وعلاقة الفرائد ببعضها**

1- طحاها:

موضوع السورة القسم بالظواهر الكونية كالشمس والقمر والأرض والسماء لاستثارة العقول للوصول إلى معرفة الصانع الخبير. وهذه المفردة جاءت متناسبة مع هذه الأقسام الأحد عشر فهي تصف حال الأرض وبسطها تمهيداً للإنسان لكي يعيش فيها ويعمرها بما أمره الله تعالى، وهي متناسبة لمقصود السورة في توجيه النظر والتفكر للتدبر في بناء السماء وطحو الأرض.

وجاءت المفردة مناسبة لفاصلة السورة محافظة على الإيقاع الصوتي المنتظم فيها كأنه إشارة إلى الإيقاع الكوني المنضبط في حركته وسيره.

وجاءت الكلمة بالطاء ( طحاها ) وليس بالدال ( دحاها ) مع أنهما بالمعنى نفسه لمناسبة جو السورة الموحي بالقوة والشدة في بناء الكون وانتظامه، ومناسبة لجو الوعيد والترهيب في المقطع الثاني.

كما تتناسب هذه الفريدة مع الفريدة الثالثة ( دمدم ) في المعنى فكلتاهما فيها معنى التسوية فكما أن الله قادر على بسط الأرض للإنسان قادر على تسوية الأرض على من كفر وعصى رسله.

2- ألهمها:

الإلهام هو الإلقاء في الروع ويعني هنا تعريف النفس الخير والشر، وهي مناسبة للقسم بالأزواج المتقابلة: الليل والنهار، الشمس والقمر، السماء والأرض، ثم الإلهام بالخير والشر، وفي ذلك إشارة إلى أن الله قادر على خلق الشيء وضده للإستدلال على وحدانيته تعالى.

فهذه المفردة تناسب المقطع الأول من هذه الحيثية كما تناسب المقطع الثاني من حيث أمران:

الأول: أن الإلهام بالخير والشر للنفس البشرية فيه توطئة للحديث عن النبوات كنبوة صالح الوارد ذكرها في السورة، فمن آمن بأن الله يُلهِم الإنسان بالخير والشر ويعرفه بهما عليه أن يؤمن بأنه قادر على الإلهام بماهو أكبر من ذلك وهو إلهام الأنبياء.

الثاني: أن الإلهام بالخير والشر فيه توطئة لذكر قصة ثمود لأنهم استحبوا الكفر والعصيان مع أن الله عرف لهم طريق الخير وأرسل رسله لذلك. كما أن ذكر عصيان ثمود فيه تمثيل لمن "خاب فدساها " فارتباط هذه المفردة بالسورة ارتباط وثيق.

وفي هذا الموضع الذي يتحدث عن النفس ( ونفس وما سواها ) مناسبة لفظية لآخر السورة (فسواها) فالله هو الذي سوَّى النفس في أحسن حال، وهو الذي يسوي الأرض بالكافرين إذا غضب.

كما أن في لفظة ( ألهمها ) مناسبة لـ ( دمدم ) لأن الإلهام صوت خفي يصل القلب وهو صوت رحمة ورشاد، والدمدمة صوت الصيحة والعذاب أجارنا الله منه.

3- دمدم:

من مقاصد السورة إظهار قدرة الله تعالى على خلق المتناقضات والمتقابلات كالليل والنهار والسماء والأرض ومن ذلك الإيجاد والإفناء، وهذه المفردة تدل على استئصال قوم ثمود وإطباق العذاب عليهم.

وتتناسب هذه المفردة مع جو الوعيد والتهديد الذي في السورة من حيث معناها وصوتها، فمعناها دالٌّ على الغضب والعقاب والإستئصال. وصوتها ( دمدم ) فيه تكرار الأحرف كـ ( كبكبوا ) ويوحي ذلك بصوت العذاب – الصيحة والرجفة – التي نزلت بهم وفيها إيحاءٌ بالحركة والزلزلة.

ومن مظاهر الإعجاز القرآني أن تأتي اللفظة لتحتمل معنيين فأكثر وكلاهما محتمل كالدمدمة التي تعني الصوت وتعني الرجفة وكلا المعنيين مناسب للقصة حيث عوقبوا بالصيحة والرجفة.

أما مناسبة الفرائد اللفظية لاسم السورة فمنها ما هو ظاهر ومنها ما خفي، فالمفردة الأولى ( طحاها ) مناسبة للشمس من حيث أنها مفردة متعلقة بخلق الكواكب والأجرام السماوية الكروية. ومن معاني الطحو العلو كانت العرب تقول: لا والقمر الطاحي، والشمس كذلك طاحية.

وأما المفردة الثانية ( ألهمها ) فهو إلقاء في الروع وتعريف للنفس، وقد لا يكون هذا خاص بالإنسان وحده بل يتعدى إلى الحيوانات والسموات والأرض كما قال الله عن النحل: ( وإذ أوحى ربك للنحل...)

وقال عن الأرض: ( يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها ) وهذا غير مستبعد عن الشمس التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: إن الشمس تستأذن ربها كل يوم أن تشرق من المغرب، وأنها تذهب في الليل لتسجد تحت العرش[[524]](#footnote-524). وهذا دليل أنها مأمورة.

علاقة الفرائد اللفظية ببعضها:

قلت سابقاً: إن بين ( طحاها و دمدم ) و ( ألهمها و دمدم ) مناسبة، فالطحو هو تسوية الأرض وسطحها للإنسان إكراماً له، والمدمة هي تسوية الأرض بالكافرين عقاباً لهم.

وبين الإلهام والدمدمة علاقة هي أن الإلهام صوت خفي أو إعلام خفي يخاطب القلب والروح، والدمدمة صوت قوي نزل بالعذاب. ويوجد علاقة أخرى هي أن الدمدمة حصلت حين لم يستجب الإنسان لإلهام ربه عن طريق رسله.

وهذه المفردات الثلاث دالة على قدرة الله تعالى على الإيجاد والإرشاد والإعدام فهو يوجد ويبسط للإنسان الأرض وييسر له عيشه ويمده ويرشده ويعرفه فإن لم يستجب أفناه واستأصله، فالسورة كلها تلخصها هذه الانفرادات اللفظية الثلاث ولذلك اختصت بها من دون السور.

**المبحث الخامس: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الضحى وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة الضحى تسمية لها باسم فاتحتها قال الآلوسي:" مكية وآيها إحدى عشرة آية بلا خلاف"[[525]](#footnote-525).

**ثانياً: وقت نزولها:**

وهي مكّيّة فقد اتّفق المفسّرون: على أنّ هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدّة.

وعدت هذه السورة حادية عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الفجر وقبل سورة الانشراح. وهي أول سورة في قصار المفصل[[526]](#footnote-526).

**ثالثاً: سبب النزول:**

عن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندبا، يقول: " اشتكى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلم يقم ليلة - أو ليلتين - فأتته امرأة، فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل: والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى "[[527]](#footnote-527)

قال الآلوسي:" والقول بأنها رضي الله تعالى عنها -أي السيدة خديجة- أرادت أن هذا الجزع لا ينبغي أن يكون إلّا من قلى ربك إياك وحاشى أن يقلاك فما هذا الجزع بعيد غاية البعد والمعول ما عليه الجمهور وصحت به الأخبار أن القائل هم المشركون وأنه عليه الصلاة والسلام إنما أحزنه بمقتضى الطبيعة البشرية تعبيرهم وعدم رؤية جبريل عليه السلام مع مزيد حبه إياه"[[528]](#footnote-528).

**رابعاً: فضلها:**

روي استحباب التكبير بعد قراءة هذه السورة حتى ختم القرآن وكأن ذلك فرحاً بنزولها وعودة الوحي.

**خامساً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

تتناسب سورة الضحى مع سورة الليل بأمور منها: أن كلتيهما قَسَم بجزء من اليوم..

جاء في تكملة أضواء البيان:" وقد قالوا في مناسبة هذه السورة بما قبلها: إن التي قبلها في الصديق: [ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ] {الليل:17-21}، وهنا في الرسول - صلى الله عليه وسلم -: ([ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ] {الضحى:3-5} مع الفارق الكبير في العطاء والخطاب[[529]](#footnote-529).

أما المناسبة ما بين: والضحى و الشرح فهما يعددان بعض النعم التي أنعمها الله تعالى على رسوله.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة**

**أولاً: موضوعها**

سورة الضحى مكية، وهي تتناول شخصية النبي - صلى الله عليه وسلم -، وما حباه الله به من الفضل والإنعام في الدنيا والآخرة، ليشكر الهه على تلك النعم الجليلة، التي أنعم الله بها عليه

فقد ابتدأت السورة الكريمة بالقسم على أن ربه لم يهجره ولم يبغضه كما زعم المشركون، بل هو عند الهه رفيع القدر، عظيم الشأن والمكانة[[530]](#footnote-530).

وختمت السورة بتوصيته صلى الله عليه وسلم بوصايا ثلاث، مقابل تلك النعم الثلاث، ليعطف على اليتيم، ويرحم المحتاج، ويمسح دمعة البائس المسكين وهو ختم يتناسق فيه جمال اللفظ، مع روعة البيان، في أروع صور الإبداع والجلال.

**ثانياً: مقاصدها وأغراضها:**

1- إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبيء صلى الله عليه وسلم قد انقطع عنه.

2- التبشير بأن الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى. وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه. وذلك يغيظ المشركين.

3- التذكير بما حفه الله به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوته وفي وقت اكتهاله وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده وثناء على الله بما هو أهله.

4- بيان عظيم مكانة النبي - صلى الله عليه وسلم – وفضله عند الله، وتثبيت قلبه.

5- الإرشاد إلى المداومة على مكارم الأخلاق، التي من مظاهرها: العطف على اليتيم، والإحسان إلى السائل، وعدم كتمان نعم الله.

6- هذه الواقعة تدل على أن القرآن من عند الله، إذ لو كان من عنده لما امتنع، قال ابن جريج: احتبس عنه الوحي اثني عشر يوما. وقال ابن عباس: خمسة عشر يوما. وقيل: خمسة وعشرين يوما. وقال مقاتل: أربعين يوما[[531]](#footnote-531).

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

1- جميع آيات السورة موجهة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومعانيها واضحة.

2- أسلوبها ومضمونها يلهمان أنها نزلت في ظروف أزمة نفسية ألمت بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، وأن نزولها كان في عهد مبكر من الدعوة. وفيها إشارة إلى نشأة النبي - صلى الله عليه وسلم - في طفولته وحاله الاقتصادية والروحية في شبابه.

3- هذه السور من السور التي افتتحت بالقسم بظاهرة من ظواهر الكون وهو الضحى والليل.

4- هذه السورة جاءت بعد انقطاع الوحي لذلك يوحي جوها بالمواساة والتلطف بيد حانية. قال سيد قطب:" هذه السورة بموضوعها، وتعبيرها، ومشاهدها، وظلالها وإيقاعها، لمسة من حنان. ونسمة من رحمة. وطائف من ود. ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع، وتنسم بالروح والرضى والأمل. وتسكب البرد والطمأنينة واليقين"[[532]](#footnote-532).

5- هذه السورة أول سورة من قصار المفصل ويستحب التكبير بعدها، لما فيها من بشرى.

6- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البلاغة نوجزها فيما يلي[[533]](#footnote-533):

1 - الطباق بين {الآخِرَةُ} و {الأولى} لأن المراد بالأولى الدنيا وهي تطابق الآخرة.

2 - المقابلة اللطيفة {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوى.. وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فأغنى} قابلها بقوله {فَأَمَّا اليتيم فَلاَ تَقْهَرْ وَأَمَّا السآئل فَلاَ تَنْهَرْ}

3 - الجناس الناقص بين {تَقْهَرْ} و {تَنْهَرْ} لتغير الحرف الثاني من الكلمتين.

4 - السجع المرصَّع كأنه الدر المنظوم في عقد كريم {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوى وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فهدى وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فأغنى} الخ.

-اختصت السورة بمفردة واحدة لم تتكرر في القرآن وهي: سجى، ولذلك دلالات كما سيأتي.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

تنقسم هذه السورة إلى مقطعين متناسقين:

الأول: الآياتُ الخمسُ الأُوَل: قَسمٌ بالليل والضحى على أن الله لم يترك نبيه ولم يهجره وأن الآخرة خير من الأولى، وجاء هذا المقطع على روي واحد.

الثاني: من الآية السادسةِ إلى آخر السورة:

تذكير بنعم عليه إذ أغناه وهداه ورعاه، وطلبٌ منه بعد ذلك شكر الله على هذه النعم من جنسها.

وبين المقطعين تناسقٌ كبير: فالمقطع الأول قسم بالضحى وهو علامة الإشراق والنور الذي يبدد الظلام بأن الله لم يهجر حبيبه محمد ولم يتركه، وإنما نزول الوحي يكون بأمر الله تارة فتارة كتقدير الليل والنهار.

والمقطع الثاني توكيد على المقطع الأول وهو أن الله لم يهجر النبي محمد –صلى الله عليه وسلم- والدليل أنه وجدك يتيماً وضالاً وعائلاً فرعاك وهداك وأغناك، وهذا في صغرك قبل نزول النبوة فكيف يهجرك بعد النبوة؟! ثم أمره بشكر الله تعالى من جنس ما أعطاه من نعم حتى يرضيه الله ويزيده من فضله.

**المطلب الثاني: المفردات اللفظية ودلالاتها:**

**المفردة: سجى:**

أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:

السجو يدل على السكون والإطباق جاء في العين للخليل:" السجو: السكون وليلة ساجية: ساكنة الريح غير مظلمة... ويقال: سجا البحر أي سكنت أمواجه وتسجية الميت: تغطيته بثوب"[[534]](#footnote-534).

وقال ابن فارس مقاييس اللغة:" السين والجيم والواو أصل يدل على سكون وإطباق. يقال سجا الليل، إذا ادلهم وسكن"[[535]](#footnote-535)

وقال ابن الأعرابي:" سجا يسجو سجواً وسجى يسجي وأسجى يسجي كله: غطَّى شيئاً ما"[[536]](#footnote-536).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

اختلف المفسرون في تفسير معنى سجى في الآية والجمهور على أنها بمعنى ركد واشتد ظلامه، وأقوالهم في معنى سجى هي:

الأول: أظلم. الثاني: ذهب وأدبر رُويَ عن ابن عباس. الثالث: أقبل، قاله سعيد بن جبير. الرابع: ركد وسكن، قاله عطاء، وعكرمة، وابن زيد الخامس: سكن الناس فيه. السادس: امتد ظلامه قاله ابن الأعرابي[[537]](#footnote-537).

وهذه الأقوال كلها تنتهي إلى معنى واحد لأنَّ دخولَ الليل سيؤدي إلى سكون الناس فيه وسكون الأصوات وهذا يعني ركود الليل وهو يعني شدة ظلمته. أما القول الثاني-أدبر- فهو لا ينسجم مع هذه الأقوال إلا إذا قلنا بأن ذهابه يدل على قدوم النهار وذهاب النهار يدل على قدوم الليل مرة أخرى فهي دورة طبيعية تمر به الأيام والأزمنة.

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

أتساءَلُ في هذه السورة: لماذا ذكر الله الضحى والليل في هذه السورة؟ ولماذا أقسم بالليل؟ ولماذا قدَّم الضحى على الليل؟ ولماذا ذكر الليل بقيد "إذا سجى"؟

في القسم في هذه السورة بالليل والضحى حِكم وفوائد منها:

قال الرازي:"إن الزمان ساعة، فساعة ساعة ليل، وساعة نهار، ثم يزداد فمرة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار، ومرة بالعكس فلا تكون الزيادة لهوى ولا النقصان لقلى بل للحكمة، كذا الرسالة وإنزال الوحي بحسب المصالح فمرة إنزال ومرة حبس، فلا كان الإنزال عن هوى، ولا كان الحبس عن قلى. وذكر الضحى كذلك حتى لا يحصل اليأس من روحه، ثم عقبه بالليل حتى لا يحصل الأمن من مكره"[[538]](#footnote-538).

وذكر المفسرون في اختصاص ذكر الضحى والليل أنه تعالى أقسم له صلّى الله عليه وسلم بوقتين فيهما صلاته عليه الصلاة والسلام التي جعلت قرة عينه وسبب مزيد قربه وأنسه، أما الضحى فلما روي عن ابن عباس مرفوعا: «كتب عليّ النحر ولم يكتب عليكم، وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها»[[539]](#footnote-539)

كما أنه ذكر وقت الضحى؛ لأنه وقت اجتماع الناس وكمال الأنس بعد الاستيحاش في زمان الليل، فبشروه أن بعد استيحاشك بسبب احتباس الوحي يظهر ضحى نزول الوحي.

ولأنها الساعة التي كلم فيها موسى ربه، وألقي فيها السحرة سجدا، فأفاد أن الذي أكرم موسى لا يدع إكرامك، والذي قلب قلوب السحرة حتى سجدوا يقلب قلوب أعدائك[[540]](#footnote-540).

وقد يسأل القارئ ما سبب تقديم الضحى على الليل في هذه السورة؟ فأقول: قد أجاب المفسرون عن ذلك وذكروا أن تقديم الضحى على الليل أولا لرعاية شرفه لما فيه من ظهور زيادة النور وللنور شرف ذاتي على الظلمة لكثرة منافعه أو لمناسبته لعالم الملائكة فإنها نورانية[[541]](#footnote-541).

وهناك فائدة أخرى لذكر الضحى والليل إذ هما تمثيل لنزول الوحي والهداية التي أنارت العالم والليل تمثيل لظلمة الكفر والشرك التي أطبقت على العقول والقلوب.

وقد وردت هذه المفردة "سجى" بصيغة تأكيد إذ جاءت في معرض القسم قال ابن عاشور:" القسم لتأكيد الخبر ردا على زعم المشركين أن الوحي انقطع عن النبيء صلى الله عليه وسلم حين رأوه لم يقم الليل بالقرآن بضع ليال. فالتأكيد منصب على التعريض المعرض به لإبطال دعوى المشركين. فالتأكيد تعريض بالمشركين وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يتردد في وقوع ما يخبره الله بوقوعه"[[542]](#footnote-542).

والذي أراه أن الله ذكر الضحى لحكمة وفائدة وذكر الليل الساجي لحكمة وفائدة فقد ذكر الضحى إشارة إلى ظهور حجة النبي صلى الله عليه وسلم ونصر دينه وذكر الليل رداً على الكفار الذين زعموا أن الوحي انقطع حيث كانوا يسمعون النبي صلى الله عليه وسلم في الليل، فأقسم بالليل للدلالة على أن الله لم يترك حبيبه في هذا الوقت، وأن هذا الموعد بين الحبيب وحبيبه لم يهجر ولم يُنسى، ولذلك أقسم بالليل واشترط فيه " إذا سجى" أي إذا سكن وأظلم و سكن الناس فيه وركدوا فإن الذي بيني وبينك لا يسكن ولا ينقطع ولا يُظلم.

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية وموضوع السورة ومقاصدها واسمها**

موضوع السورة ومقصودها الرئيس هو الرد على المشركين في زعمهم والتسرية على النبي صلى الله عليه وسلم وتبشيره بما سيكون له من عطايا كما منحه وأعطاه من صغره.

وهذه المفردة جاءت متناسقة مع هذا الموضوع والمقصود من حيث دلالتها الإشتقاقية والبلاغية والصوتية أما من حيث معناها فهي تدل على قدوم الليل وسكونه وهو مناسب لجو السورة إذ فيه رد على الكفار الذين زعموا أن الوحي انقطع حيث كانوا يسمعون النبي صلى الله عليه وسلم في الليل، فأقسم بالليل للدلالة على أن الله لم يترك حبيبه في هذا الوقت، وأن هذا الموعد بين الحبيب وحبيبه لم يهجر ولم يُنسى، ولذلك أقسم بالليل واشترط فيه " إذا سجى" أي إذا سكن وأظلم و سكن الناس فيه وركدوا فإن الذي بيني وبينك لا يسكن ولا ينقطع ولا يُظلم. وجاءت هذه الصيغة بأسلوب القسم لزيادة التأكيد وقرنها بالضحى للدلالة فيما أرى على أن ربك لا يهجرك عنك ليلاً أو نهاراً كما لم يهجرك في مراحل حياتك المختلفة. وفي ذكر الضحى كذلك بشارة بأن أمرك سيعلو ويظهر بعد طول ليل، وهذا من مناسبة اللفظة لاسم السورة.

قال سيد قطب في الحكمة من القسم بالليل الساجي:" الليل الساجي الذي يرق ويسكن ويصفو، وتغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف، والتأمل الوديع. كجو اليتم والعيلة. ثم ينكشف ويجلي مع الضحى الرائق الصافي.. فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الإطار..."[[543]](#footnote-543)

ومن مناسبة هذه المفردة لجو السورة أن الليل مهما اشتد ظلامه فإن النهار لا محالة سيعقبه، وكذلك الحال معك فمهما طال انقطاع الوحي عنك واشتد حزنك فإن الله لن يتركك ولن يهجرك ورضاه لا محالة آتيك ليبدد حزنك كما كان معك من صغرك مؤيداً ونصيراً.

وجاءت هذه المفردة متناسقة صوتياً (موسيقياً) مع جو السورة والمقطع[[544]](#footnote-544) فقد احتوت على أحرف من الهمس والرخاوة تدل على الهدوء والطمأنينة والمناجاة التي تكون في الليل بين الححبيب وحبيبه قال سيد قطب:" هذه السورة بموضوعها، وتعبيرها، ومشاهدها، وظلالها وإيقاعها، لمسة من حنان. ونسمة من رحمة وطائف من ود و يد حانية تمسح على الآلام والمواجع "[[545]](#footnote-545).

**الفصل الرابع**

**الألفاظ التي انفردت مادتها في النصف الثاني للحزب الستين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية لكل سورة.**

**المبحث الأول: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة التين وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**\*بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة التين لأن الله تعالى أقسم في مطلعها بالتين والزيتون[[546]](#footnote-546).

وهي ثماني آيات. قال الفيروز آبادي:" وآياتها ثمان. وكلماتها أربع وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون. وفواصل آياتها (من)"[[547]](#footnote-547)

**ثانياً: وقت نزولها:**

قال ابن عاشور: "وهي مكية عند أكثر العلماء... وذكر القرطبي عن قتادة أنها مدنية، ونسب أيضا إلى ابن عباس[[548]](#footnote-548)، والصحيح عن ابن عباس أنه قال: هي مكية"[[549]](#footnote-549).

والراجح أنها مكية قال الآلوسي: "ويؤيده إشارة الحضور في قوله تعالى: [ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ] {التين:3}"[[550]](#footnote-550). وعدت الثامنة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة البروج وقبل سورة الإيلاف[[551]](#footnote-551).

**ثالثاً:مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

قال الخطيب:" ختمت سورة « الانشراح » بالدعوة إلى الكد والنصب، فى الحياة الدنيا، ليبنى الإنسان بذلك دار مقامه فى الآخرة، ويعمرها بما يساق إليه فيها من نعيم الله ورضوانه.

وبدأت سورة « التين » بهذه الأقسام من الله سبحانه وتعالى، لتقرير حقيقة الإنسان وتذكيره بوجوده، وأن الله سبحانه خلقه فى أحسن تقويم، وأودع فيه القوى التي تمكن له من الاحتفاظ بهذه الصورة الكريمة.."[[552]](#footnote-552)

أما المناسبة بينها وبين سورة العلق ففي التين ذكر قيمة الانسان وشرفه وأن قيمته الحقيقية بالدين وأن سفوله وهوانه بتخليه عنه، لذا أقسم بأماكن نزول الوحي. أما العلق ففيها بيان كمال الانسان بالعلم والوحي ونقصه يكون بمخالفة ذلك وبيان أن الاستغناء عن العلم بالمال والجاه سبب للهوان والخسران.

وبذلك تظهر المناسبة جلية بين السورتين فهما توضحان سبب علو الإنسان وسبب هوانه وسفوله.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة:**

**أولاً: موضوعها: رفعة الإنسان باتباع الأديان**

في السورة قسم بأماكن نزول الوحي للتنويه بأن الله كرم الإنسان بالدين ورفع قدره فمن الناس من رفض الدين فصار في أسفل سافلين في حياته وشرائعه، ومنهم من حافظ على الدين والعمل الصالح فازدادوا رفعة وتقدماً. وفي إنزال الدين على الانسان وتقويم خلقته حكمة ربانية عظيمة ومنة إلهية فأي شيء بعد ذلك يجعلك تكفر بهذا الدين.

ففي القسم وجوابه ذكر تعمتين أنعم الله بهما على الإنسان: إنزال الدين وتحسين خلقة الإنسان، ولكن رد الإنسان إلى أسفل اسفلين واستثناء المؤمنين فيه دليل على أن تقويم الإنسان ليس هو تقويماً جسدياً لأننا نرى أن الكافر والمؤمن لا يختلفان في الخلقة ولا يمتاز أحدهما عن الآخر بشيء.

إلا إذا كان المقصود من رد الإنسان أسفل سافلين هو مسخ بعض الأقوام إلى قردة وخنازير أو إنزال العذاب عليهم، وهو قول مناسب للوحدة الموضوعية للسورة[[553]](#footnote-553).

**ثانياً: مقاصد السورة وأغراضها:**

1- إثبات أن الأنبياء كلهم على دين واحد وأن دين الاسلام هو الدين الوارث لهم.

2- بيان أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم وهو يشمل تقويمه في خلقته وتقويمه في دينه وشريعته، والامتنان عليه بذلك.

3- التأكيد على الحساب والثواب والعقاب فالذي لا يؤمن بالدين يرد أسفل سافلين بانتكاس فطرته في الدنيا، ورده إلى أشد العذاب في الآخرة. والذي آمن بالدين وعمل صالحاً يجرى عليه أجره من غير انقطاع.

4- القسم بمواضع نزول الوحي دال على مباركة هذه البلاد[[554]](#footnote-554)، فمن بركة أرض فلسطين إنبات التين والزيتون اللذين فيهما فوائد كثيرة لجسم الإنسان، ومن بركة أرض مكة شيوع الأمن والأمان حتى للطير والحيوان، ومن بركة طور سيناء تفجر الينابيع النقية وكثرة شجر الزيتون (وشجرة تخرج من طور سيناء) وقيل: إن سيناء هي مبدأ انتشار هذه الشجرة.

5- الإشارة إلى فائدة الدِّين للإنسان –مادياً ومعنوياً- فالدين يرشد الإنسان إلى ما فيه نفع لجسده بخلاف الأهواء البشرية، والدين سبب لنشر الأمن والأمان، والدين سبب لظهور بركات الأرض، والدين يجعل الإنسان متصلاً بربه لما يعمله من أعمال صالحة.

6- توبيخ الكافر وإلزامه الحجة بكفره بالجزاء بعد البعث بقوله فيما معناه: إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم، وأنه يردك إلى أرذل العمر، وينقلك من حال إلى حال، فما يحملك على أن تكذب بالبعث والجزاء.

7- إثبات أن الله أتقن الحاكمين صنعاً في كل ما خلق، وأنه أحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلاً بين الخلق. قال البقاعي:" وذلك هو إثبات القدرة الكاملة، وهو المشار إليه باسمها، فإن في خلق التين والزيتون من الغرائب، ما يدل على ذلك، وكذا فيما أشير إليه بذلك من النبوات "[[555]](#footnote-555).

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

1- براعة الإستهلال بالقسم بما يشمل إرادة أشهر الأديان. قال ابن عاشور:" وفي ابتداء السورة بالقسم بما يشمل إرادة مهابط أشهر الأديان الإلهية براعة استهلال لغرض السورة وهو أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، أي خلقه على الفطرة السليمة مدركا لأدلة وجود الخالق ووحدانية"[[556]](#footnote-556).

2- تفردت السورة بالإشارة إلى مواطن نزول الوحي، وأن رفعة الإنسان تكون بإتباع الدين وانتكاسه يكون برفض الدين.

3- فاصلة السورة النون والميم، وهما حرفان متقاربان يُشعر تقاربهما بتقارب الأديان وتقارب مواطن الوحي، وهذه الفاصلة تستخدم عند التطريب.

4- تفردت السورة بالتنويه إلى فضل شجرتين نافعتين.

5- حسن الاختتام باستفهامين: الأول إنكاري والثاني تقريري، لا يجد القارئ عندها إلا أن يقول: بلى.

6- احتوت السورة على عدة أساليب بلاغية زادتها جمالاً هي[[557]](#footnote-557):

1 - المجاز العقلي بإِطلاق الحال وإِرادة المحل [ﭑ ﭒ ﭓ ] {التين:1} أراد موضعهما الشام وبيت المقدس على القول الراجح.

2 - الطباق بين {أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} وبين {أَسْفَلَ سَافِلِينَ}.

3- الاستفهام التقريري [ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ]] {التين:8}

4- السجع {البلد الأمين.. أَسْفَلَ سَافِلِينَ.. أَحْكَمِ الحاكمين}.

7- تفرد السورة بمفردة لم تتكرر في غيرها من السور، مما يؤدي إلى تميز السورة في موضوعها ومقصودها.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

تكونت السورة من قسم وجواب للقسم ثم استثناء من جواب القسم ثم استفهامين، وتفصيل ذلك فيما يلي:

افتتحت السورة بالقسم بمواضع نزول الوحي[[558]](#footnote-558) وفي ذلك براعة في الاستهلال وتشويق لسماع ما بعده[[559]](#footnote-559). وفي معاني التين والزيتون عدة أقوال[[560]](#footnote-560) ظاهرية ومجازية ولا ضير بالجمع بينها وإرادتها معاً. فالتين والزيتون في الظاهر هما الشجرتان المعروفتان، وذكرهما لما فيهما من فوائد كثيرة على جسم الإنسان، وطيب منبتهما وثمرتهما دال على بركة أرضهما وسبب هذه البركة نزول الوحي فيهما.

و القسم بمواطن نزول الوحي[[561]](#footnote-561) دال على أهمية المقسم به وفيه إشارة إلى أن الدين هو سبب تقدم الإنسان ورفعته[[562]](#footnote-562).

وجواب القسم أن الإنسان خلق في أحسن تقويم، وهذا التقويم يشمل: الأبدان و الأديان، فهو في أحسن صورة وفي خلقة معتدلة قائمة، وهو في أحسن تقويم في شرائعه وسننه وقوانينه. قال ابن عاشور:" والقسم عليه يدل على أن التقويم تقويم خفي وأن الرد رد خفي يجب التدبر لإدراكه كما سنبينه"[[563]](#footnote-563).

ثم عقَّب بأن كثيراً من الناس اتبعوا أهواءهم وشهواتهم فبدلوا هذا التقويم وغيروه فانتكسوا في فطرتهم[[564]](#footnote-564) وغيروا خلق الله [ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ] {النساء:119} وبدلوا شرع الله فصاروا إلى سفال وهوان[[565]](#footnote-565)، وفي الآخرة يردهم الله في العذاب المهين في أسفل جهنم، بعد أن كان مكرماً في أحسن صورة صار مهاناً في أقبح صورة.

ثم استثنى من هؤلاء السافلين المؤمنين الذين آمنوا بالدين وعملوا به[[566]](#footnote-566) فأولئك يحفظهم الله في الدنيا ويزيد لهم في أجورهم فلا تنقطع مهما حدث لهم من عجز أو كبَر أو موت. وفي الآخرة يدخلون جنات النعيم مكرمين، فيتم الله عليهم تكريمه لهم في الدنيا والآخرة. وعطف:" وعملوا الصالحات" لأن عمل الصالحات من أحسن التقويم بعد مجيء الشريعة لأنها تزيد الفطرة رسوخا وينسحب الإيمان على الأخلاق فيردها إلى فضلها.

وبعد ذلك يعقب بسؤال إنكاري: ما الذي يجعلك أيها الإنسان لا تصدق بأن الدين الذي أرسله على أنبيائه هو الأصلح والأنفع للإنسان في معاشه ومعاده.

ويقرنه بسؤال تقريري آخر: أليس الله بأحكم الحاكمين؟ أي: أليس من أنزل الدين لصلاح الإنسان ودفع الشرور عنه وتقويم اعوجاجه هو الإله الحكم الذي يجب أن يعبد. بلى.

ويحتمل أن نقول- ويحتمله السياق-: أليس من يحاسب البشر أجمعين ويفصل بين المؤمنين والكافرين هو الحكم الفصل الذي لامعقب لحكمه وهو أقضى القضاة.

ولذلك نجد أن آيات السورة كلها مترابطة ضمن وحدة موضوعية واحدة عنوانها العريض: نزول الأديان لصلاح الإنسان وتقويم اعوجاجه. والمفردة التي تفردت فيها السورة-التين- تكاد تكون مركز هذه الدائرة الموضوعية، فهي نقطة تدور حولها المعاني وهي فريدة تحمل معاني عديدة تُفيد في تشكيل موضوع السورة وتزيد من ترابطها.

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها:**

لا يوجد في هذه السورة من الفرائد سوى فريدة واحدة هي: التين وهي اسم السورة.

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

التين كلمة غير مشتقة تطلق على شجرة معروفة وعلى ثمرها قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:"التاء والياء والنون ليس أصلا، إلا التين، وهو معروف. والتين: جبل". وقال الزمخشري:"أرض متانة: كثيرة التين"[[567]](#footnote-567).

قال أبو حنيفة: "أجناسه كثيرة برية وريفية وسهلية وجبلية، وهو كثير بأرض العرب"[[568]](#footnote-568)

والتين: شجر من الفصيلة التوتية وثمر ذَلِك الشّجر وَيعرف فِي مصر بِالتِّينِ البرشومي [[569]](#footnote-569)

و وصفها ابن عاشور فقال:" وهي من أحسن الثمار صورةً وطعماً وسهولة مضغ، فحالتها دالة على دقة صنع الله ومؤذنة بعلمه وقدرته"[[570]](#footnote-570).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

تعددت أقوال المفسرين في تفسير المراد من التين والزيتون في هذه السورة فمنهم من حملها على الظاهر ومنهم من حملهما على المجاز وجعلهما دالين على مكانين مباركين، وهذه أقوالهم:

الأول: أنه التين المعروف، والزيتون المعروف، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة. وذكر بعض المفسرين أنه إنما أقسم بالتين لأنها فاكهة مُخَلَّصة من شائب التنغيص، وهو يدل على قدرة من هيَّأه على تلك الصفة[[571]](#footnote-571).

والثاني: أن التين: مسجد نوح الذي بنى على الجودي. والزيتون: بيت المقدس، رواه عطية عن ابن عباس[[572]](#footnote-572). والثالث: التين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصى، قاله الضحاك[[573]](#footnote-573).

والرابع: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس، قاله كعب، وقتادة، وابن زيد[[574]](#footnote-574).

والخامس: أنهما جبلان، قاله عكرمة في رواية. وروي عن قتادة قال: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس[[575]](#footnote-575).

ويمكنني أن أجمل هذه الأقوال في قولين اثنين:

الأول: أنهما الشجرتان المعروفتان، أقسم بهما تنويهاً لفوائدهما للإنسان. للدلالة على عجيب قدرته وعظيم حكمته.

الثاني: أنهما مكانان مباركان دالان على نزول الوحي وتعظيم الدين.

أما القول الأول فهو قول وجيه لا سيما وأن الدين كما نزل لإصلاح القلوب والعبادات فإنه نزل كذلك لإصلاح جسم الإنسان وإرشاده لما فيه خير له.

قال النسفي:" أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه:"كلوا فلو قلت أن فاكهة أنزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس"[[576]](#footnote-576). وقال:" نِعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة"[[577]](#footnote-577).

**فوائد التين والزيتون وخواصِّهما:**

أما التين فقالوا إنه غذاء وفاكهة ودواء، أما كونه غذاء فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الترشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه وأحمدها. قال الشوكاني:" قال كثير من أهل الطب: إن التين أنفع الفواكه وأكثرها غذاء، وذكروا له فوائد كما في كتب المفردات والمركبات، وأما الزيتون فإنه يعصر منه الزيت الذي هو إدام غالب البلدان ودهنهم، ويدخل في كثير من الأدوية"[[578]](#footnote-578).

وللتين خواص منها[[579]](#footnote-579):

الأول: أن ظاهرها كباطنها ليست كالجوز ظاهره قشر ولا كالتمر باطنه قشر.

والثاني: أن من خواص هذه الشجرة أن سائر الأشجار إذا أسقطت الثمرة من موضعها لم تعد في تلك السنة، إلا التين فإنه يعيد البذر وربما سقط ثم يعود مرة أخرى.

والثالث: روي أن آدم عليه السلام لما عصى وفارقته ثيابه تستر بورق التين[[580]](#footnote-580).

**دلالة السياق تحدد المراد من التين والزيتون:**

القول الثاني أوجه لأنه موافق لوحدة الآيات التي تتحدث عن مواطن نزول الوحي وتعظيم الدين قال ابن عاشور:" ولكن مناسبة ذكر هذين مع طور سينين ومع البلد الأمين تقتضي أن يكون لهما محمل أوفق بالمناسبة فروي عن ابن عباس أيضا تفسير التين بأنه مسجد نوح الذي بني على الجودي بعد الطوفان...والزيتون يطلق على الجبل الذي بني عليه المسجد الأقصى لأنه ينبت الزيتون. وروي هذا عن ابن عباس والضحاك.."[[581]](#footnote-581).

قلت: ويجوز أن نجمع بين القولين فنقول: إن الله أقسم بهاتين الشجرتين للإشارة إلى عجيب قدرته ولإرشاد الإنسان إلى فوائدهما، وهاتان الشجرتان مباركتان ظهرتا في أرض النبوة والوحي للدلالة على أن من بركات نزول الوحي إخراج الأرض لخيراتها، ولذلك صارتا رمزاً على الأرض المباركة أرض الأنبياء والأديان[[582]](#footnote-582).

وتكون الإشارة إلى موارد أعظم الشرائع الواردة للبشر، فالتين إيماء إلى رسالة نوح وهي أول شريعة لرسول، والزيتون إيماء إلى شريعة إبراهيم فإنه بنى المسجد الأقصى كما ورد في الحديث وقد تقدم في أول الإسراء، وطور سينين إيماء إلى شريعة التوراة، والبلد الأمين إيماء إلى مهبط شريعة الإسلام، ولم يقع إيماء إلى شريعة عيسى لأنها تكملة لشريعة التوراة[[583]](#footnote-583).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

دلالة أسلوب القسم:

القسم أسلوب للتعظيم والتوكيد وفيه إشارة إلى عظمة خالقها قال الباقلاني:" وكل شيء أقسمَ بذكره فإنما المرادُ به - والله أعلم - القسم بخالقه تعالى ومقدره والنافع به والمحكم لعجيب صُنْعه وتدبيره"[[584]](#footnote-584)

**دلالة الاشتقاق:**

كلمة (التين) غير مشتقة وفيه إشارة كما أرى إلى أن الدين الأول دين نوح وإبراهيم غير مشتق من الأديان الأخرى من الوثنية والجاهلية. وفيه إشارة إلى أن الدين يصلح لجميع الأراضي والمناطق كما هو التين الذي يعيش في الأراضي السهلية والجبلية والوعرة والمناطق الباردة والحارة.

وفي دلالة ثمرة التين على الدين إشارة إلى أن الدين لا منغص فيه بل كله حلو المذاق، وإشارة إلى أن الدين كالتين يشفي من الأمراض والأسقام، وإشارة إلى سرعة ظهور ثمار العمل الصالح لمن عمل بالدين، ويتضاعف أجر من عمل بالدين وهذا كالتين الذي يسرع في إظهار الثمرة وثماره كثيرة جداً.

وعلى ذلك فالتين، إشارة إلى عهد الإنسان الأول، فإن آدم ـ كما تقول التوراة ـ كان يستظل فى الجنة بشجر التين، والزيتون، إشارة إلى الفصل الثاني، وهو عهد نوح، وأما البلد الأمين وهو مكة، فقد كان مطلع الرسالة الخاتمة لما شرع الله للناس، وبها يختم الفصل الأخير من حياة الإنسان على هذه الأرض..

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية وموضوع السورة ومقاصدها واسمها**

موضوع السورة الحديث عن نزول الدين لرفعة الإنسان وهدايته إلى خير الدنيا والآخرة، فمن أخذ به وأتبع الأنبياء اعتدل في فطرته ونظامه، ومن ردَّ الدين واتبع شهواته انتكست فطرته ورد أسفل سافلين، ففي الدنيا فساد عيشه واضطراب نظامه، وفي الآخرة يرد إلى أشد العذاب في قعر جهنم.

وهذه المفردة (التين) تتناسب مع محور السورة تناسباً كبيراً سواء على معناها الظاهري أو معناها المجازي وكلاهما محتمل كما قلت سابقاً.

فعلى معناها الظاهري – أنها شجرة التين – فتتناسب مع محور السورة بأن هاتين الشجرتين أخرجهما الله لصلاح الإنسان في بدنه ومعاشه كما أنزل الدين لصلاح عقيدته ونظامه.

فالقسم بها للتنويه بعظيم فائدتها لجسم الإنسان، كما القسم بمواطن الوحي: طور سيناء والبلد الأمين للتنويه بعظيم بركتهما على الإنسان بسبب نزول الوحي فيهما.

ومن بركة التين أن آدم تستر بورقه لما بدت عورته وأن نوحاً نزل على جبل التين، ومن بركة الزيتون أنه شفاء من الأسقام وأن أوراقه لا تسقط، وفيه مناسبة للآية الثانية إذ إن شجرة الزيتون تنبت من طور سيناء.

ومن خواصهما أنهما يعيشان في أغلب المناطق على اختلاف طبيعتهما وأنهما لا يحتاجان إلى كبير عناية، وأن ثمارهما كثيرة لا تبخل بشيء منها.

وهذه الخواص كلها متناسبة لقوله: [ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ] {التين:4} فإن فوائد الشجرتين وخواصهما تساعد في تقويم جسم الإنسان وشفاء أسقامه.

وذكر الشجرتين مناسب كذلك لقوله: [ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ] {التين:6} إذ فيهما تحضيض للمؤمن على أن يكون مثليهما في كثرة ثمره وفي نفعه للآخرين وفي أن يكون ظاهره كباطنه ( كالتين ) وأن يكون دائم الخضرة ( كالزيتون ) لا تسقط أوراقه وإذا عصر أخرج ما ينفع الناس والمؤمن إذا ابتليَ وأوذي أظهر ما ينفع الناس.

وفيه مناسبة أخرى لقوله: ( فله أجر غير ممنون ) فالتين إذا طال أمده وجُفف ظل نافعاً للناس شافياً لأمراضهم، كذلك المؤمن إذا طال عمره وقلَّ عمله ظل نافعاً لغيره بالدعاء لهم وبالانتفاع بعلمه وبقي أجره يجري عليه كما قال ابن عباس[[585]](#footnote-585).

وبين التين والزيتون وبين المؤمن مشابهة إذ إنهما ينبتان في أكثر المناطق على اختلاف ظروفهما، كذلك المؤمن يصبر ويعيش في كل المناطق على اختلاف أجوائها، ويخرج أطيب الثمر وينفع الناس.

وذكر هاتين الشجرتين كذلك مناسب للآية: [ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ] {التين:7-8} فهما دالتان على عجيب قدرة الله وجميل صنعته، إذ أخرج من الأرض المتشابهة ثمرتين إحداهما حلوة الطعم ولا نوى لها ولا زيت، والثانية مرة الطعم وفيها نوى ولها زيت، وكلاهما ذو ألوان متعددة وكلها تسقى بماء واحد.

هذا التناسب كله يظهر إذا حملنا الكلمة على معناها الظاهر، أما على المعنى المجازي[[586]](#footnote-586) وقد تعددت الأقوال المجازية في ذلك وهي متقاربة والراجح عندي –كما ذهب إليه ابن عاشور- أن التين إشارة إلى شريعة نوح لأنه نزل على جبل التين، والزيتون إشارة إلى شريعة إبراهيم لأنه سكن جبل الزيتون في فلسطين، وطور سيناء إشارة إلى شريعة موسى لأن الله كلمه هناك، وهذا البلد الأمين إشارة إلى شريعة الإسلام.

وعلى هذا المعنى فالتناسب واضح فالقسم بالتين والزيتون متناسب مع القسم بالطور والبلد الأمين، إذ كلها مواطن نزول الوحي ومنها ظهر الدين.

والقسم بذلك على أن الإنسان خلق في أحسن تقويم؛ لأن الدين هو مقوم اعوجاج الإنسان وهو الضابط لحياته.

وهذا القَسَم بالدين مناسب لقوله: [ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ] {التين:5} لأن من يكذب بالدين فعاقبته إلى الهوان والخسران والانتكاس في معاشه ومعاده. ومن آمن بالدين أكرمه الله وأعطاه أجره بغير انقطاع وبغير منٍّ.

وذكر التين والزيتون للدلالة على الدين يناسب خاتمة السورة [ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ] {التين:7-8} فما يكذبك أيها الإنسان بدين الأنبياء وكلهم من عند الله، وكيف تكفر بدين الإسلام وهو الوارث لهم جميعاً، وما أتى محمدٌ صلى الله عليه وسلم بشيء مغاير لما جاء به الأنبياء قبله، وكيف تكفر بالدين والله سيحاسب الناس أجمعين وكيف تكفر بالدين والله أنزله بحكمة بالغة لينفع الإنسان في دنياه وآخرته.

وهكذا فإننا نرى أن هذه المفردة الفريدة تتناسب مع موضوعات السورة ومقاصدها، ونجد أن هاتين المفردتين ( التين والزيتون ) من عوامل تشكيل الوحدة الموضوعية للسورة - من أول آية - ولذلك صُدِّرت السورة بهذه المفردة الفريدة.

**المبحث الثاني: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة العلق وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة العلق، وسورة اقرأ، وسورة القلم، وعنونها ابن عطية وأبو بكر بن العربي "سورة القلم"[[587]](#footnote-587).

وعدد آيها في عد أهل المدينة ومكة عشرون، وفي عد أهل الشام ثمان عشرة، وفي عد أهل الكوفة والبصرة تسع عشرة[[588]](#footnote-588).

**ثانياً: وقت نزولها:**

هي مكية باتفاق، وهي أول سورة نزلت في القرآن كما ثبت في الأحاديث الصحيحة الواضحة، ونزل أولها بغار حراء على النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ابن جزي:" وأوّل ما نزل عليه من القرآن: صدر سورة العلق، ثم المدّثّر والمزمل، وقيل: أوّل ما نزل المدّثّر وقيل: فاتحة الكتاب، والأوّل هو الصحيح لما ورد في الحديث الصحيح"[[589]](#footnote-589).

**ثالثاً:سبب النزول:**

المقطع الأول ليس له سبب نزول أما المقطع الثاني فقد روي في الصحيح عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا " قال: فأنزل الله عز وجل: [ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ] {العلق:6-8}... "[[590]](#footnote-590)

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

تحدثت سورة التين عن أن الإنسان إذا آمن وعمل صالحاً كان في أعلى عليين وأنه إذا كفر وعصى صار في أسفل سافلين، وتتحدث هذه السورة عن سبب من أسباب كمالات الإنسان وهو العلم، و مثال على من صار في أسفل سافلين بسبب ترك العلم والإيمان واستغنائه بالمال والجاه.

أما مناسبتها لما بعدها: فقد تحدثت سورة العلق عن فضل العلم والقراءة وجاءت سورة القدر لبيان فضل ليلة عظيمة تنزل فيها العلم والوحي والقرآن.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة:**

**أولاً: موضوع السورة:**

موضوع السورة العام هو الحديث عن أن رفعةَ الإنسان تكون بالعلم وانحطاطه بترك العلم والاستغناء بالمال والجاه، والوعيد الشديد لكن عادى الدعوة، قال ابن عاشور:"...وتهديد من كذب النبي - صلى الله عليه وسلم - وتعرض ليصده عن الصلاة والدعوة إلى الهدى والتقوى.

وإعلام النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الله عالم بأمر من يناوؤنه وأنه قامعهم وناصر رسوله.

وتثبيت الرسول على ما جاءه من الحق والصلاة والتقرب إلى الله"[[591]](#footnote-591)

**ثانياً: مقاصدها وأغراضها**

1- بيان قدرة الله في خلق الإنسان من شيء تافه ثم تربيته وتعليمه.

2- التنويه بشأن الكتابة والخط بالقلم و بيان فضل الله تعالى على الإنسان في تعليمه ما لم يكن يعلم بواسطة الكتابة والخط، قال قتادة:" القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لو لا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش"[[592]](#footnote-592). وفضائل الكتابة والخط كثيرة.

3- التحذير من طغيان الإنسان إذ خلقه الله من ماء مهين وعلمه وأكرمه ثم إذا صار معه المال والجاه استغنى وطغى، وهذا طبع ذميم.

4- التهديد والوعيد لمن حارب الدعوة بأن الله يراه وأنه لن ينفعه جاهه وسلطانه وأن ملائكة العذاب أشد تنكيلاً وقوة من أتباعه.

5- أول السورة يدل على مدح العلم، وآخرها يدل على مذمة المال، وكفى بذلك مرغبا في الدين، ومنفرا عن الدنيا والمال[[593]](#footnote-593).

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

1- من مميزات هذه السورة أن مقطعها الأول هو أول ما نزل من القرآن على الراجح، وأنها الوحيدة التي نزلت في غار حراء وتعد السورة بداية تحول تاريخي للبشرية قال سيد قطب:" لقد تحول خط التاريخ كما لم يتحول من قبل قط، وكما لم يتحول من بعد أيضا. وكان هذا الحدث هو مفرق الطريق. وقامت المعالم في الأرض واضحة عالية لا يطمسها الزمان"[[594]](#footnote-594).

2- الاستهلال بالأمر وهو القراءة و الختام بأمر وهو السجود، فقد بدأت السورة بالدعوة إلى القراءة والتعلم، وختمت بالصلاة والعبادة، ليقترن العلم بالعمل، ويتناسق البدء مع الختام، في أروع صور البيان. ولقد تعددت السور التي تبدأ بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - ببعض الأفعال والأقوال مما يمكن أن يعد أسلوبا من أساليب النظم القرآني في مطالع السور[[595]](#footnote-595).

3- الاهتمام بشأن القراءة والكتابة وذلك من خلال تكرار الفعل ( اقرأ )

4- التهديد والوعيد: حيث فيها وعيد شديد لذاك الإنسان الذي طغى واستغنى ونهى عباد الله عن الصلاة والدين، بأن تأخذه زبانية العذاب من ناصيته ويلقى في جهنم.

5- الزجر والاستنكار: من خلال تكرار حرف الزجر " كلا " فقد تكررت ثلاث مرات وفيها الزجر الشديد. ومن خلال تكرار التعجب والاستنكار وذلك بتكرار ( أرأيت ) ثلاث مرات. قال القاسمي:" قال الإمام: كلمة (أرأيت) صارت تستعمل في معنى (أخبرني) على أنها لا يقصد بها في مثل هذه الآية الاستخبار الحقيقي، ولكن يقصد بها إنكار المستخبر عنها وتقبيحها"[[596]](#footnote-596).

6- تعدد فاصلتها مع تكامل مقاطعها وتناسق ايقاعاتها على الرغم من تراخي زمن النزول بين مقطعيها. قال سيد قطب:" هناك تناسقاً كاملاً بين أجزاء السورة، وتسلسلاً في ترتيب الحقائق التي تضمنتها بعد هذا المطلع المتقدم، يجعل من السورة كلها وحدة منسقة متماسكة "[[597]](#footnote-597).

7- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من أساليب البلاغة نوجزها فيما يلي[[598]](#footnote-598):

1 - الإِطناب بتكرار الفعل [ﭻ ﭼ ﭽ ] {العلق:1}. ثم قال: {اقرأ وَرَبُّكَ الأكرم} لمزيد الاهتمام بشأن القراءة والعلم.

2 - الجناس الناقص بين {خَلَقَ} و {عَلَقٍ}.

3 - الكناية {أَرَأَيْتَ الذي ينهى عَبْداً} كنَّى بالعبد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم َ ولم يقل: ينهاك تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدره.

4 - الاستفهام للتعجيب من شأن الناهي {أَرَأَيْتَ الذي ينهى}؟ {أَرَأَيْتَ إِن كَانَ على الهدى}

5 - السجع مثل: {اقرأ باسم رَبِّكَ الذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ}

-وتضمنت السورة انفرادات لفظية لم ترد في غيرها وهي: لنسفعاً، زبانية. ولذلك دلالات وحكم كما سأبحثها بإذن الله.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

تنقسم السورة إلى مقطعين رئيسين مترابطين:

الأول: الآيات الخمس الأُوَل: وفيها أمر بالقراءة والتعلم بالاستعانة بالله وحده ليخرجك[[599]](#footnote-599) من الظلمات إلى النور، وفيها ذكر لبعض صفات الله وأفعاله فهو الأكرم وهو الذي علَّم بالقلم[[600]](#footnote-600) وهو الذي خلق الإنسان من علق وهو قطعة صغيرة من دم رطب. فالله الذي أخرج الإنسان من ظلمات بطن أمه وربَّاه وغذاه بعد أن كان تافهاً حقيراً، قادرٌ على إخراج البشرية من ظلمات الجهل والكفر إلى أنوار العلم والإيمان، وهذا كرم منه تعالى فهو الأكرم.

المقطع الثاني: من الآية السادسة [ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ] {العلق:6} إلى آخر السورة[[601]](#footnote-601):

وردت بعض الروايات الصحيحة[[602]](#footnote-602) بأن هذه الآيات قد نزلت في أبي جهل قال سيد قطب:" ولكن دلالة السورة عامة في كل مؤمن طائع عابد داع إلى الله. وكل طاغ باغ ينهى عن الصلاة، ويتوعد على الطاعة، ويختال بالقوة"[[603]](#footnote-603)

وهذه الآيات فيها ردع الإنسان على طغيانه حال الغنى، ثم انذار بالعقاب في الآخرة، وناسب بعد هذا تهديده ووعيده بالعقاب الشديد والنكال الأليم يوم العرض والحساب.

وختمت السورة بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بعدم طاعة هذا الطاغية، والإقبال على عبادة ربه، والتقرب إليه بالطاعة.

وبين المقطعين تناسق فبعد أن أبان سبحانه في مطلع السورة مظاهر القدرة الإلهية، وعدد نعمه ومننه العظمى على الإنسان بتعليمه القراءة والكتابة وما لم يعلم- ومقتضى ذلك ألا يكفر به أحد-، ذكر في المقطع الثاني السبب الحقيقي لكفر الإنسان وطغيانه وبغيه وهو حب الدنيا والثورة والاغترار بها، مما شغله عن النظر في آيات الله وشكر نعمه.

والسُّؤال هو: هل أدَّى الإنسان حقَّ هذه النّعمة التي أنعمها الله عليه؟ وهل كان له من علمه هذا الذي تعلمه، نفع له، وللناس معه؟ والجواب على هذا: « كلا ».

جاء في تكملة أضواء البيان:" ربط لطيف بأول السورة، إذا كان خلق الإنسان من علق، وهي أحوج ما يكون إلى لطف الله وعنايته ورحمته في رحم أمه، فإذا بها مضغة ثم عظام... فإذا هو ينسى كل ما تقدم، وينسى حتى ربه ويطغى ويتجاوز حده حتى مع الله خالقه ورازقه"[[604]](#footnote-604).

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها**

**المفردة الأولى: لنسفعاً**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

السفع جذر يدل على الأخذ باليد وعلى لون من الألوان وهو السواد جاء في العين:" السفع: أثفية من حديد يوضع عليها القدر. الواحدة سفعاء بوزن حمراء. وسمي سفعا لسواده"[[605]](#footnote-605).

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة:" السين والفاء والعين أصلان: أحدهما لون من الألوان، والآخر تناول شيء باليد. فالأول السفعة، وهي السواد... وأما الأصل الآخر فقولهم: سفعت الفرس، إذا أخذت بمقدم رأسه، وهي ناصيته"[[606]](#footnote-606). وسفعه بيده سفعا: لطمه[[607]](#footnote-607).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

دارت أقوال المفسرين - على ما قاله اللغويون-، على عدة آراء:

الأول: معنى السَّفع هو تسويدُ الوجه: جاء في تهذيب اللغة:" قال التبريزي: قيل: أراد لنسودن وجهه من السفعة وهي السواد، وكفت عن الوجه لأنها في مقدمه. ومن قال:" لنسفعا أي لنسودن وجهه" فمعناه: لنَسِمَنَّ موضع النَّاصيةِ بالسَّواد، اكتفى بها من سائر الوجه لأنها في مقدم الوجه"[[608]](#footnote-608)

الثاني: معنى السفع هو الأخذ بالناصية وهذا يحتمل أن يكون في الآخرة إلى النار ويحتمل أن يكون في الدنيا كما روي أنه سُحب عند مقتله[[609]](#footnote-609)

فعلى هذا المعنى يحتمل أن يكون المراد منه الأخذ إلى النار في الآخرة وأن يكون المراد منه في الدنيا، وإذا كان المراد في الدنيا فإنه يكون من بابِ الإخبارِ بالغيبِ ويحتمل أمرين، الأول: ما روي أن أبا جهل لما قال: إن رأيته يصلي لأطأن عنقه، فأنزل الله هذه السورة، وأمره جبريل عليه السلام بأن يقرأ على أبي جهل ويخر لله ساجدا في آخرها ففعل، فعدا إليه أبو جهل ليطأ عنقه، فلما دنا منه نكص على عقبيه راجعا، فقيل له مالك؟ قال: إن بيني وبينه فحلا فاغرا فاه لو مشيت إليه لالتقمني، وقيل: كان جبريل وميكائيل عليهما السلام على كتفيه في صورة الأسد[[610]](#footnote-610).

والثاني: أن يكون المراد يوم بدر فيكون ذلك بشارة بأنه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجرونه إلى القتل إذا عاد إلى النهي، فلما عاد لا جرم مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر فقتله معاذ ومعوذ ابنا عفراء وجره ابن مسعود.

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

في هذه المفردة وعيد شديد فهي تدل على الأخذ والجذب بقوة من مقدمة الرأس إهانة لهذا الإنسان، وصيغة الآية تدل على هذا الوعيد والزجر فإنها بدأت بحرف الزجر ( كلا ) وجاءت بصيغة الشرط على أنه إذا لم ينته لنفلعنَّ به ذلك، وجاء الفعل مؤكداً بلام التوكيد[[611]](#footnote-611) ونون التوكيد الخفيفة - وقرىء لنسفعن بالنون المشددة- وبنسبة الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة وذلك فيه زيادة تهديد ووعيد، ومعناه أبلغ مما لو قال: لأسفع أو لأسفعن. والملاحظ أنه لم ترد هذه الصيغة في القرآن كله إلا مرتين وكلتاهما في الوعيد والتهديد الشديدين وهما:[ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ] {يوسف:32}، و [ﯤ ﯥ ﯦ ] {العلق:15}

وقرن هذا الفعل بالناصية فيه مزيد إهانة لأنه دال على التمكن منه قال الآلوسي:" وكأن تخصيص الناصية بالذكر لأن اللعين كان شديد الاهتمام بترجيلها وتطييبها، أو لأن السفع بها غاية الإذلال عند العرب إذ لا يكون إلّا مع مزيد التمكن والاستيلاء ولأن عادتهم ذلك في البهائم"[[612]](#footnote-612).

وفي هذه الآية والتي تليها مجازان الأول: أنه أطلق الناصية وأراد صاحبها لأنها أشرف ما فيه وهو من باب إطلاق البعض وإرادة الكل[[613]](#footnote-613)، والثاني: أنه وصفها بالكذب والخطأ، وهما لصاحبها، قال القاسمي:"على الإسناد المجازي، للمبالغة لأنها تدل على وصفه بالكذب بطريق الأولى، ولأنه لشدة كذبه كان كل جزء من أجزائه يكذب"[[614]](#footnote-614).

وفي هذا مبالغة في الإهانة والتنكيل قال البقاعي:" أي والله لنأخذنَّ ونقبضنَّ قبضاً وأخذاً بشدة وعنف مع الجر والاجتذاب واللطم والدفع"[[615]](#footnote-615). وقيل: إن السبب في ذكر ناصيته أن أبا جهل كان شديد الاهتمام بترجيل تلك الناصية وتطييبها، وربما كان يهتم أيضا بتسويدها فأخبره الله تعالى أنه يسودها مع الوجه.

وكرّر لفظ الناصية للتوكيد والتوصيف، لأن ذكر الأولى للتنصيص على أنها ناصية الناهي والثانية لتوصف بما يدل على علة السفع وشموله لكل من وجد فيه ذلك[[616]](#footnote-616).

-الدلالة الصوتية:

يتناسب صوت اللفظ القوي والشديد مع معناها وجو المقطع الذي يدل على الوعيد قال سيد قطب:" هكذا «لَنَسْفَعاً» بهذا اللفظ الشديد المصور بجرسه لمعناه..."[[617]](#footnote-617)

* دلالة رسم الكلمة بالألف المنونة:

هذه الكلمة فعل والفعل لا يلحقه التنوين ولكن يلحقه نون التوكيد فالألف في أصلها نون[[618]](#footnote-618) قال الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر:" واتفقوا: على رسم نون التأكيد الخفيفة ألفا في "[ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ] {يوسف:32}" و[ﯤ ﯥ ﯦ ] {العلق:15}"[[619]](#footnote-619)

ولكن لم كتبت كذلك؟ وما السر في ذلك؟ أرى – والله أعلم- أَنَّها رُسمت هكذا في كل المصاحف للوقوف عليها بالألف الممدودة لا بالنون الساكنة قال السمين:" الوقف على هذه النون بالألف تشبيها لها بالتنوين. وتكتب هنا ألفا اتباعا للوقف لأن قاعدة الرسم مبنية على حال الوقف والابتداء"[[620]](#footnote-620)

ويظهر لي أن الكلمة رسمت بالألف والتنوين للإشارة إلى التمكن من تحقق ذلك وسرعته وعدم وجود ما يمنعه ويوقفه فالوقف على الكلمة فيه نوع مد واستطالة لا كالوقوف على النون، وفي الإدغام إشارة إلى سرعة نزول العذاب بذاك الكافر، والله أعلم.

وعلى ذلك نجد أن هذا اللفظ بصوته ورسمه ومعناه مناسب لجو السورة وقصتها.

**المفردة الثانية: زبانية:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

الزبن جذر يدل على الدفع والقوة جاء في العين للخليل:" والزبن: دفع الشيء عن الشيء، كالناقة تزبن ولدها عن ضرعها برجلها. والحرب تزبن الناس إذا صدمتهم"[[621]](#footnote-621).

وجاء في معجم مقاييس اللغة:" الزاء والباء والنون أصل واحد يدل على الدفع... والزبانية سموا بذلك، لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار"[[622]](#footnote-622). وقال الكسائي:" واحد الزبانية زبني"[[623]](#footnote-623).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

تطلق لفظة الزبانية في كلام العرب على من اشتد بطشه وقوته مثل الشُّرَط، قال الزمخشري: "الزبانية في كلام العرب: الشرط، الواحد زبنية كعفرية، من الزبن وهو الدفع"[[624]](#footnote-624) و لا أجد اختلافاً عند المفسرين في تفسير الزبانية في هذه الآية فكلهم قالوا: هم ملائكة العذاب.

ولكن اختلفوا في مفرد زبانية قال بعضهم واحده الزباني، وقال آخرون: الزابن أو زبنية، وقال آخرون: هذا من الجمع الذي لا واحد له من لفظه في لغة الغرب مثل أبابيل وعباديد وبالجملة فالمراد ملائكة العذاب، ولا شك أنهم مخصوصون بقوة شديدة. قال الآلوسي:" وسمي ملائكة العذاب بذلك لدفعهم من يعذبونه إلى النار. وهذا الدعاء في الدنيا بناء على ما روي من أنه لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا"[[625]](#footnote-625).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

لماذا جاءت هذه المفردة معرفة وجمعاً؟ ولماذا اقترنت الكلمة بالفعل "سندع" بضمير نون العظمة؟ هل غرابة اللفظ يدل على غرابة هيئتهم وشكلهم؟

جاءت هذه المفردة معرفة بينما جاءت (نادي) منكرة للدلالة على أن هؤلاء الزبانية معروفون مشتهرون أما ذاك النادي الذي يستقوي بهم هذا الإنسان هم نكرة لا وزن لهم.

وقد جاءت هذه الكلمة بصيغة الجمع لزيادة التهديد والترهيب فالمتهدد به ليس زبانياً واحداً بل جمع كثير لا يدرى عددهم وذلك نصرة لحبيبه ورسوله.

واقترنت الكلمة بالفعل "سندع" حيث تدل النون على نون العظمة فإن الداعي هو الله جل جلاله، والسين دالة على التمكن من نصرة الزبانية لرسوله، وحذفت الواو في الرسم العثماني وفي ذلك إشارة إلى سرعة تحقق هذه النصرة وسرعة استجابة الملائكة في تأييد النبي صلى الله عليه وسلم[[626]](#footnote-626).

وهذه اللفظة فيها تخويفٌ وتهديدٌ شديدان فإنَّ أقصى ما يملكه أبو جهل –أو أي مستكبر- هو أن يدعو أهل ناديه وهؤلاء ليسوا كلهم من أهل الدفع والقوة بل منهم من يجتمع للشراب والمتعة ولا قوة عنده، وأما ما توعدهم الله به فهم كلهم زبانية أشداء.

وفي الآية تحدٍ عظيم وازدراء بهذا المستكبر فإنه هدَّد النبي صلى الله عليه وسلم بأن يطأ رأسه وهو ساجد فتوعده بأنه لو فعل ذلك لتخطفته الملائكة وعدم فعله لذلك دال على إيمانه بوعيد الله تعالى وتصديق لقول نبيه، وفي ذلك تعجيز له[[627]](#footnote-627). قال ابن عباس:" لو دعا ناديه لأخذته الزبانية من ساعته معاينة"[[628]](#footnote-628).

كما تحتمل الآية وجهاً من وجوه الإعجاز وهو الإخبار بالغيب فقد قيل: إن هذا إخبار من الله تعالى بأنه يجر في الدنيا كالكلب وقد فعل به ذلك يوم بدر، وقيل: بل هذا إخبار بأن الزبانية يجرونه في الآخرة إلى النار[[629]](#footnote-629).

والآية عامة في كل مستكبر يعادي الدعوة ويكون حينئذٍ في الآية تقديم وتأخير أي لنسفعاً بالناصية وسندع الزبانية في الآخرة، فليدع هو ناديه حينئذ فليمنعوه فلن ينتفع بسلطانه ولا ماله عند الله تعالى.

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية وموضوع السورة ومقاصدها واسمها**

موضوع السورة الرئيس هو بيان فضل الله وكرمه على الإنسان في خلقه وتعليمه والحث على القراءة بالاستعانة بالله وتحذير الإنسان من ترك العلم والاستغناء بالمال والجاه وتحذير الذي استكبر وطغى وحارب الله الذي خلقه وعلمه.

ومقصودها التهديد والوعيد لمن حارب الدعوة بأنه لن ينفعه جاهه وسلطانه وأن ملائكة العذاب أشد تنكيلاً وقوة من أتباعه، فأول السورة يدل على مدح العلم، وآخرها يدل على مذمة المال.

وجاءت هاتان المفردتان: لنسفعاً، الزبانية. مناسبتان لهذا الموضوع وهذه المقاصد أما المفردةُ الأولى:

( لنسفعاً ) فهي تناسب السورة في معناها وصوتها ورسمها فهي تدل على معنيين كليهما محتملين فهي تعني تسويد الوجه تنكيلاً به وهو مناسب لموضوع السورة؛ لأن الله تعالى خلقه من شيء حقير وحسَّن خلقته وغذاه ورباه وعلمه وآتاه المال وصار وجهاً من وجوه الناس له السمعة والشهرة ومع ذلك كله كفر واستكبر فالجزاء من جنس العمل فقد أبدله الله بعد أن أعطاه السمعة الحسنة بأن سوّد وجهه.

وتحتمل الكلمة أيضاً المعنى الآخر وهو الجذب والأخذ بشدة وقسوة وهو مناسب للموضوع إذ إن الله لطف به في خلقته ورعايته فناسب هذا الجفاء والاستكبار القسوة والشدة إهانة له.

وجاءت المفردة مناسبة لجو السورة ومقصودها في الوعيد والتخويف إذ هي مؤكدة بمؤكدات عدة هي: التوكيد في أول الفعل بلام الجزم والتوكيد في آخره بنون التوكيد الخفيفة والخطاب بنون العظمة.

وقُرن السفع بالناصية التي هي مقدمة الرأس وفيها محل التعقل والتعلم وناسب هذا العذاب الآيات السابقة في بيان تعليم الله للإنسان؛ لأن الله أكرمه بالعقل للتفكر والوصول إلى الحق وبدلاً من ذلك لم يستعمله بل اهتم بمظهره الخارجي في تسريح شعره وتسويده وتزيينه ونسي ما بداخل رأسه. فكان الجزاء من جنس العمل إذ يؤخذ بشدة وقسوة من مقدمة رأسه التي هي أشرف ما في الإنسان لوجود العقل بها وفي ذلك توكيد على إهانته والتنكيل به بعد أن كان مكرماً معززاً.

وناسب هذا اللفظ جو السورة فهو لفظ شديد مصور بجرسه لمعناه كما قال سيد قطب. وناسب كذلك جو السورة برسمه إذ لم ترسم كلمة كذلك في القرآن كله إلا في موضعين –بينتهما سابقاً- وظهر لي بأنه دال برسمه على التمكن والسرعة من إيقاع العذاب.

وأما المفردة الثانية فهي مناسبة لموضوع السورة ومقصودها:

فهي مأخوذة من الدفع والمنع ولا تطلق إلا على الأشداء الأقوياء، وفي صيغتها دلالات بلاغية تزيد من جو التهديد فقد جاءت معرفة للدلالة على أن هؤلاء الزبانية معروفون مشتهرون أما نادي ذاك المستكبر الذي يستقوي بجاهه نكرة لا وزن لهم. وجاءت هذه الكلمة بصيغة الجمع لزيادة التخويف والترهيب فالمتهدد به ليس زبانياً واحداً بل جمع كثير لا يدرى عددهم وذلك نصرة لحبيبه ورسوله.

واقترنت الكلمة بالفعل "سندع" حيث تدل النون على نون العظمة فإن الداعي هو الله جل جلاله، والسين دالة على التمكن من نصرة الزبانية لرسوله، وحذفت الواو في الرسم العثماني و ذلك إشارة إلى سرعة تحقق هذه النصرة وسرعة استجابة الملائكة في تأييد النبي صلى الله عليه وسلم[[630]](#footnote-630).

كما أن غرابة الكلمة تدل على غرابة هيئتهم إذ كانوا على صفة مخوفة غير معلومة للسامع وفي ذلك مزيد توجس وتخويف لذاك الإنسان المستكبر. كما جاءت الكلمة مناسبة لفاصلىة الهاء الساكنة التي تخرج من أقصى الحلق وكأنها تحاكي صوت متكلم غاضب متوعد يخرج أنفاسه من حلقه.

وبين المفردتين تناسب كبير إذ كلتاهما يدل على المنع والدفع والشدة وهو مناسب لجو السورة ومقصدها. وبينهما وبين اسم السورة "العلق" مناسبة فيما أرى وهي تذكير هذا الإنسان المستكبر الجاحد بحقيقته وأصله المهين وتهديده بأن الله الذي خلقه من مضغة صغيرة قادر على أن يهينه ويحقرَّه مرة أخرى. والله أعلم.

وعوداً إلى السؤال الذي طرحته سابقاً: هل جاءت الانفرادات اللفظية مناسبة لهذا الموضوع؟ وهل يمكن أن تتعدل الوحدة الموضوعية للسورة من خلال نظرنا إلى تلك   
المفردات؟

أقول: إن هاتين المفردتين جاءتا بمعانيهما ودلالتيهما وصوتيهما لتزيد من جو التهديد والوعيد في السورة –المقطع الثاني – وهما لبنتان رئيستان في بناء السورة بحيث قد تدور السورة عليهما بحيث من يسمع بهما تعطيه لمحة خاطفة عن جو السورة، ولذلك اختصت السورة بهما.

**المبحث الثالث: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة العاديات وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت سورة العاديات لأن الله افتتحها بالقسم بالعاديات. وهي إحدى عشرة آية اتفاقاً[[631]](#footnote-631).

**ثانياً: وقت نزولها:**

وهي من السور المختلف فيها فقد قال ابن مسعود وجابر بن زيد وعطاء والحسن وعكرمة: هي مكية. وقال أنس بن مالك وابن عباس وقتادة: هي مدنية[[632]](#footnote-632).

وعُدَّت الرابعة عشرة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد بناء على أنها مكية نزلت بعد سورة العصر وقبل سورة الكوثر[[633]](#footnote-633).

**ثالثاً: سبب نزولها:**

أخرج البزار عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا ولبث شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت: [ﮕ ﮖ ﮗ ] {العاديات:1}[[634]](#footnote-634).

وقال ابن كثير: "روى أبو بكر البزار هنا حديثا غريبا جدا"[[635]](#footnote-635).

وقال ابن عاشور:" غرابة الحديث لا تناكد قبوله وهو مروي عن ثقات إلا أن في سنده حفص بن جميع وهو ضعيف، فالراجح أن السورة مدنية"[[636]](#footnote-636).

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

تظهر المناسبة بين السورتين من وجهين[[637]](#footnote-637):

1- هناك تناسب وعلاقة واضحة بين قوله تعالى في الزلزلة: [ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ] {الزلزلة:2} وقوله في هذه السورة: [ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ] {العاديات:9}.

2- لما ختمت السورة السابقة ببيان الجزاء على الخير والشر، وبخ الله تعالى الإنسان على جحوده نعم ربه، وإيثاره الحياة الدنيا على الآخرة، وترك استعداده للحساب في الآخرة بفعل الخير والعمل الصالح، وترك الشر والعصيان.

ورأى عبدالكريم الخطيب مناسبة أخرى بين السورتين وهي أن سورة العاديات صورة مصغرة عن يوم الزلزلة لما فيهما من أهوال وشدة[[638]](#footnote-638).

وأما مناسبتها لما بعدها -القارعة- فواضحة إذ ختمت سورة العاديات ببعثرة القبور وتحصيل ما في الصدور وهذا لا يكون إلا في القارعة، وأقول: إن القارعة جاءت لقرع القلوب لاستحضار هول القيامة بعد سورة حكت لنا حرص الإنسان على المال وتحدثت عن كفره وجحوده. ونلاحظ أنَّ هذه السور: الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر، جاءت على نسق متشابه من التذكير بالحساب والبعث وتوصيف حركة الإنسان في الأرض من تكاثر وجمع للأموال.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة العاديات**

**أولاً: موضوع السورة:**

لقد حدد المفسرون موضوع السورة ومحورها فذهبوا إلى أنَّ محورَ السورة في ذكر أحسن الأموال التي يفتخر بها العربي في ذلك الزمان وهي الخيول والإبل، فهم كانوا يتغنون بها وهي وسيلتهم الوحيدة في الترحال والحروب، وهي رمز للشجاعة والفروسية، فالسورة تقسم بالخيل -والإبل- وتذكر أوصافها حين يسمع لها عند عدوها بسرعة صوت شديد، وحين تقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار، وتثير التراب والغبار.

"وقد بدأت السورة الكريمة، بالقسم بخيل الغزاة - إظهارا لشرفها وفضلها عند الله - على أن الإنسان كفور لنعمة الله تعالى عليه، جحود لآلائه وفيوض نعمائه، وهو معلن لهذا الكفران والجحود، بلسان حاله ومقاله، كما تحدثت عن طبيعة الإنسان وحبه الشديد للمال.

وختمت السورة الكريمة ببيان أن مرجع الخلائق إلى الله للحساب والجزاء، ولا ينفع في الآخرة مال ولا جاه، وإنما ينفع الأيمان والعمل الصالح"[[639]](#footnote-639).

وإنما أقسم الله تعالى بالخيل لأن لها من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب، فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الخيل فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة »[[640]](#footnote-640).، ولأنها وسيلة الغزو عند العرب، ولا تكاد تخلو في الأغلب من الخطور ببالهم. والمراد إعلاء شأنها في نفوس المؤمنين، ليعنوا بتربيتها، وليتدربوا عليها من أجل الجهاد في سبيل الله، وليعتادوا على معالي الأمور، وظواهر الجد والعمل.

ولكننا لا بد أن ننظر في دراستنا هذه إلى ما ترسمه الفرائد اللفظية من وحدة موضوعية للسورة، فلا شك أن نسيج السورة المعنوي يتشكل بناء على لبناتها اللفظية، وما سأتوصل إليه لا يعني بالضرورة مناقضة ما قاله المفسرون بل ربما توصلت إلى رأي يجمع أقوالهم ويزيد عليها كما سيأتي بعد دراستي للألفاظ في هذا المبحث.

**ثانياً: مقاصد السورة:**

تضمنت هذه السورة المكية مقاصد عدة هي[[641]](#footnote-641):

1- الترغيب في الجهاد والإعداد له والاعتناء بآلاته ووسائله ومنها: الخيل والإبل.

2- تحذير الإنسان من صفات قبيحة كالكيد والحرص على الدنيا والحب للمال و جحود النعم.

3- الحضُّ على فعل الخير والعمل الصالح الذي ينفع الإنسان حين رجوع الخلائق إلى اللَّه للحساب والجزاء.

4- وعظ الناس بأن وراءهم حساباً على أعمالهم بعد الموت ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد.

5- تقرير عقيدة البعث والجزاء وأن الله مطلع على خفايا الأمور.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

1- من حيث المضمون: فهي سورة تفردت بالقسم بالخيل التي تغير على الأعداء.

2- من حيث الأسلوب: فقد تنوعت أساليب التوكيد لزيادة الإيضاح والبيان وتوكيد المعاني، وهذه الأساليب هي:

- استعمال أسلوب القسم لزيادة التقرير والبيان.

- تكرار التوكيد بـ (إن واللام) (إن الإنسان لربه لكنود....لشهيد.... لشديد) (إن ربهم... لخبير)

- الإستفهام الإستنكاري ( أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور)

3- إيقاعها الصوتي (الموسيقي) مناسب لموضوعها حيث الخشونة والدمدمة قال سيد قطب:" والإيقاع الموسيقي فيه خشونة ودمدمة وفرقعة، تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنشئه القبور المبعثرة.. "[[642]](#footnote-642).

4- تتنوع فاصلتها على ثلاثة حروف هي:

الألف الممدودة: ضبحا، قدحا، صبحا، نقعا، جمعا، ثم الدال: لكنود، لشهيد، لشديد. ثم الراء: القبور، الصدور، خبير.

والملاحظ أن هذه الفواصل تتعدد لتعدد المشاهد في السورة، فالألف الممدودة ناسبت معاني العدو والركض والإغارة للسرعة والخفة، والدال –من حروف القلقلة- ناسبت الشدة والجحود، والراء ناسبت مشهد النهاية والقرار.

5- براعة الاستهلال بالقسم بأشهر الحيوانات في الحروب عند العرب التي يتفاخرون بها، لاستثارة انتبهاههم ولتحذيرهم من الانشغال بزينة الدنيا عن طاعة الله-إذا كانت السورة مكية- أو لتحضيضهم على الجهاد-إذا كانت السورة مدنية-.

6- حسن التناسب مع السورة السابقة- الزلزلة- واللاحقة –القارعة- كما وضحت آنفاً.

7- في السورة تحذير من صفات رديئة بأساليب مؤكدة.

8- تضمنت السورة مجموعة من الأساليب البلاغية هي[[643]](#footnote-643):

- في قوله: ( لَشَهِيدٌ، لَشَدِيدٌ) بينهما جناس ناقص، وكذلك بين ضَبْحاً وصُبْحاً.

-الاستفهام: [ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ] {العاديات:9} استفهام إنكاري للتهديد والوعيد.

- في قوله: [ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ] {العاديات:11} تضمين، ضمن لفظ لَخَبِيرٌ معنى المجازاة، أي يجازيهم على أعمالهم.

- في قوله: (لَشَهِيدٌ، لَشَدِيدٌ، الصُّدُورِ، الْقُبُورِ) سجع مرصع.

9- تفردت السورة بخمس فرائد لفظية لم تتكرر الا فيها لأسباب وحكم، سأبحثها.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

هذه السورة تكونت من ثلاثة أجزاء ( مقاطع ) رئيسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، وهي:

المقطع الأول: القسم بالعاديات وذكر صفاتها.

المقطع الثاني: جواب القسم. [ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ] {العاديات:6-8}

المقطع الثالث: مشهد ختامي للتذكير والاعتبار مما ذكر في المقطعين السابقين. وسأفصل في هذا الترابط[[644]](#footnote-644):

لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال الشر يوم الفصل، افتتح هذه ببيان ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع، موبخا من لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام من تلك الأعمال، معنفا من آثر دنياه على أخراه، فقال: {والعاديات} أي الدواب التي من شأنها أن تجري بغاية السرعة، وهي الخيل التي ظهورها عز وبطونها كنز، وهي لرجل وزر ولرجل أجر، وإنما أقسم بها ليتأمل ما فيها من الأسرار الكبار التي باينت به أمثالها من الدواب كالثور مثلا والحمار ليعلم أن الذي خصها بذلك فاعل مختار واحد قهار، فالقسم في الحقيقة به سبحانه.

ثم ذكر بعضاً من أوصاف هذه العاديات في صوتها وفي أثر حركتها وإغارتها من القدح وإثارة الغبار حيث تثير الغبار والصراخ بسبب الكر والفر ويزداد القتل، وتتوسط الأعداء ويتفرقون عند رؤيتها.

ثم يأتي جواب القسم بتذكير أن هذا الإنسان الذي سخر الله له هذه الدواب ويسر له ركوبها وزاد بها قوته كفور جحود لهذه النعم شاهد على نفسه بلسان الحال أو المقال على ذلك محب للمال حريص على الدنيا من غير تفكر واعتبار.

ولما كان المال فانياً لا ينبغي لعاقل أن يعلق أمله به فضلا عن أن يؤثرة على الباقي، نبهه على ذلك بتهديد بليغ باسلوب الاستفهام الإنكاري، ولما كان الحب أمراً قلبياً، لا يطلع عليه إلا عالم الغيب، وكان البعث من عالم الغيب، وكان أمراً لا بد منه، وكان المخوف أمراً كائناً بصرف النظر عن فاعله، لم يحتج إلى تعيين الفاعل، فبنى للمفعول قوله مهدداً مؤذناً بأنه شديد القدرة على إثارة الخفايا، مذكراً بأن الله سيحاسبه ويجازيه على أعماله، وأنه لا ينفعه مال ولا غيره.

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها:**

**المفردة الأولى: ضبحاً**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر "ضبح"**

جاء في العين للخليل: " ضبح: ضَبَحْتُ العُودَ بالنار: إذا أحرقت من أعاليه شيئاً... والخَيْلُ تَضْبَحُ في عَدوِها ضَبْحاً: تسمَعُ من أفواهِها صوتاً ليس بصهيل ولا حَمْحَمة"[[645]](#footnote-645).

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:" (ضبح) الضاد والباء والحاء أصلان صحيحان: أحدهما صوت، والآخر تغير لون من فعل نار"[[646]](#footnote-646).

**ثانياً: أقوال المفسرين**

ارتبط معنى الضبح في الآية بمعنى العاديات[[647]](#footnote-647) فمن رأى أن العاديات هي الخيل ذهب إلى أن الضبح هو صوت أنفاسها ومن رأى أن العاديات هي الإبل ذهب إلى أن الضبح هو صفة عدْوِها وسيرها.

أما القول بأنها الخيل في سبيل الله، فقد قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، وقتادة، وعطية، والربيع[[648]](#footnote-648) واختاره ابن جرير[[649]](#footnote-649).

وعن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح: أح أح[[650]](#footnote-650). وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة (والعاديات ضبحا) قال: هي الخيل، عدت حتى ضبحت[[651]](#footnote-651).

وأما القول بأن العاديات هي الإبل في الحج أو في الجهاد، فقد قاله علي، وابن مسعود، وعبيد بن عمير، والقرظي، والسدي[[652]](#footnote-652).

وروي عن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-: هي الإبل[[653]](#footnote-653). وقال ابن عباس: هي الخيل. فبلغ عليا قول ابن عباس، فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر. قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت. فقال علي: والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير وفرس للمقداد[[654]](#footnote-654)، فكيف تكون العاديات ضبحا؟ إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى.

قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي، رضي الله عنهما[[655]](#footnote-655).

أقول: لا أرى اختلافاً كبيراً بين القولين فمن الممكن أن تشمل كلمة العاديات الخيل والإبل معاً، لأن الضبح يطلق على صوت الإبل والخيل وغيرها من الحيوانات كما أنه يطلق على الضبع من باب الإبدال وهو العدو الشديد [[656]](#footnote-656) قال ابن عاشور:" وقال أبو عبيدة: ضبحت الخيل وضبعت، إذا عدت وهو أن يمد الفرس ضبعيه إذا عدا، فالضبح لغة في الضبع وهو من قلب العين حاء... وعلى تفسير العاديات بأنها الإبل يكون الضبح استعير لصوت الإبل[[657]](#footnote-657)، أي من شدة العدو قويت الأصوات المترددة في حناجرها حتى أشبهت ضبح الخيل أو أريد بالضبح الضبع على لغة الإبدال"[[658]](#footnote-658).

والخيل والإبل أنجب أموال العرب[[659]](#footnote-659) وهي وسيلتهم الوحيدة في السفر والترحال والحروب فأقسم بها، ولا أخصص ذلك في الحج أو في الجهاد، بل هي عامة تصف حركة الإنسان على هذه الوسائل في حياته سواء فيما يرضي الله أو فيما يغضبه، لتذكره السورة في النهاية بالجزاء والحساب عن أعماله وسيره في الدنيا.

ولكن إذا نظرنا إلى موضوع السورة كوحدة بنائية واحدة هل سيحمل اللفظ معاني أوسع؟ سأجيب عن ذلك في خاتمة هذا المبحث بعد عرض الفرائد اللفظية كلها.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب –إعرابياً، بلاغياً، صوتياً-**

جاءت هذه المفردة اسماً منكراً منصوباً أما كونه اسماً منكراً فيدل على شمول جميع أنواع الضبح وعدم تحديده في خيل معين أو إبل معينة أو كيفية معينة. وقد ذكروا في انتصاب ضبحاً وجوهاً أحدها: أنه مصدر مؤكد لاسم الفاعل. و ثانيها: أن يكون والعاديات في معنى والضابحات، لأن الضبح يكون مع العدو. وثالثها: قال البصريون: التقدير: أي أنه مصدر في موضع الحال، أي: ضابحات، أو ذوي ضبح[[660]](#footnote-660).

ودلالة القسم بالعاديات الضابحة أو حال كونها ضابحة لأن لها في الركض (العدو) من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب، فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الخيل فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة »[[661]](#footnote-661).

ويُخيَّل إلي أن هذا الصوت للخيول مما تطرب له أذن الفارس العربي لأن الخيل في هذه الحال تكون في أشد قوتها وسرعتها ويكون فارسها في أعلى حالات الإقدام والتضحية لا يهاب شيئاً، وهذا كما قال المتنبي:

قُحٍّ يَكادُ صَهيلُ الجُردِ يَقذِفهُ... عَن سَرجِهِ مَرَحاً بِالعِزِّ أو طَرَبا[[662]](#footnote-662)

فالعرب كانوا يتغنون بصوت الخيل إذا عدت ويمتدحونها بذلك يقول أحد شعراء الأندلس:

لا تعدلن أبداً برجع صهيله... شدو الولائد رجعت نبراتها[[663]](#footnote-663)

ما دلالة اختيار هذا اللفظ صوتياً؟ يتناسب هذا اللفظ مع المعنى المراد بأنه يحاكي صوت الخيل: أح، أح – كما وصفه ابن عباس سابقاً- وهذه المحاكاة فيها رسم تصويري لصفة الخيل حتى يُخيَّل للقارئ أنه يسمع صوتها ويحس بآثار حركتها.

كما أن هذا اللفظ بهذه الصيغة مناسب لفاصلة السورة التي توحي بالسرعة والحركة.

**المفردة الثانية: قَدْحاً**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر**

جاء في معجم مقاييس اللغة: "القاف والدال والحاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على شيء كالهزم في الشيء، والآخر يدل على غرف شيء"[[664]](#footnote-664).

وقال الليث: "القدحة: اسم مشتق من اقتداح النار بالزند... والإنسان يقتدح الأمر إذا نظر فيه ودبره"[[665]](#footnote-665).

**ثانياً: أقوال المفسرين**

يرتبط معنى (قدحاً) بمعنى (الموريات)[[666]](#footnote-666)، وللمفسرين فيها خمسة أقوال هي:

الأول: أنها الخيل تُوري النار بحوافرها إذا جرت، وهذا قول الجمهور[[667]](#footnote-667).

والثاني: أنها نيران المجاهدين إذا أُوقدت، روي عن ابن عباس[[668]](#footnote-668).

والثالث: الجماعة التي تمكر في الحرب، والعرب تقوله إذا أرادت المكر بالرجل: والله لا يكون ذلك، ولأورين لك. قاله ابن عباس ومجاهد. وقال قتادة: أسعرن الحرب بين ركبانهن

والرابع: نيران الحجيج بالمزدلفة، قاله القرظي[[669]](#footnote-669).

والخامس: ألسنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به، وتظهر من الحجج والدلائل، وإظهار الحق وإبطال الباطل قاله عكرمة[[670]](#footnote-670).

وأرجح هذه الأقوال هو القول الأول لمناسبته السياق، ولكن لا ضير بأن نفهم منها معنى آخر -مجازياً- وهو مكر أصحابها في الحروب لأنه كذلك مناسب لسياق الآيات، قال الطبري رحمه الله في تفسيره: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحا، فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان مثلا يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر مثلا، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فكل ما أورت النار قدحا، فداخلة فيما أقسم به لعموم ذلك بالظاهر"[[671]](#footnote-671). بل أقول: لا مانع من توسيع المعنى ليشمل كيد الإنسان ومكره في الدنيا.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب**

لماذا جاءت هذه المفردة اسماً منكراً منصوباً؟ وهل فيها أوجه بلاغية؟

جاءت هذه المفردة اسماً منكراً للدلالة على صفة ثابتة في هذه الخيل هي علامة على سرعتها وقوتها. وانتصب قدحا على أنه مفعول مطلق مؤكد لعامله.

وجوز أن يكون الموريات قدحا مستعار لإثارة الحرب لأن الحرب تشبه بالنار. قال تعالى:

[ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ] {المائدة:64}، فيكون قدحاً ترشيحاً لاستعارة (الموريات) ومنصوبا على المفعول المطلق لـ (الموريات).

وجاءت بهذه الصيغة لمناسبة الفاصلة إيقاعياً (ضبحا، قدحا، صبحا) وكأنها تدل على السرعة والخفة.

**المفردة الثالثة: نقعا**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر**

يدل هذا الجذر على استقرار الشيء وعلى ارتفاع الصوت وعلى القتل قال ابن فارس في مقاييس اللغة: " النون والقاف والعين أصلان صحيحان: أحدهما يدل على استقرار شيء كالمائع في قراره، والآخر على صوت من الأصوات. فالأول نقع الماء في منقعه: استقر. واستنقع الشيء في الماء.

وأما الأصل الآخر فالنقيع: الصراخ، وهو النقع أيضا. ونقع الصوت: ارتفع"[[672]](#footnote-672).

والنقع: القتل يقال: نقعه نقعا، أي: قتله، قاله ابن دريد[[673]](#footnote-673).

**ثانياً: أقوال المفسرين**

تعددت أقوال المفسرين في تفسير إثارة النقع على أقوال هي:

الأول: هو إثارة الغبار في المكان الذي حلّت به، إما في حجٍّ أو غزو.

قال الرازي:" والمعنى أن الخيل أثرن الغبار لشدة العدو في الموضع الذي أغرن فيه"[[674]](#footnote-674).

الثاني: قال الزمخشري: "ويجوز أن يراد بالنقع الصياح"[[675]](#footnote-675).

قلت: ويجوز أن يكون المعنى هو إثارة القتل – على ما قاله ابن دريد – وهو أبلغ في الدلالة، فإثارة الغبار وحدها لا تعبر عن آثار الخيل في الحروب بل لو قلنا بجمع المعاني الثلاث: الغبار والصياح والقتل لكان ذلك محتملاً ولزاد المعنى قوة، فهو يعبر تعبيراً كاملاً عن آثار الخيل في الحروب فهي تثير الغبار أولاً ثم تثير الصياح والقتل، وهذا من أسباب اختيار هذا اللفظ على غيره من الألفاظ.

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب - إعرابياً وبلاغياً وصوتياً-:**

ما دلالة تغير الأسلوب في قوله: ( فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ) على صيغة فعلين ماضيين ولم يأتيا على نسق الأوصاف قبلهما بصيغة اسم الفاعل؟

وذلك للإشارة إلى أن الكلام انتقل من أسلوب إلى أسلوب أي من القَسَم إلى الحكاية عن حصول ما ترتب على تلك الأوصاف الثلاثة من العدو والإيراء والإغارة إذا كان المراد بـ العاديات الخيل، أو بلوغ تمام الحج بالدفع عن عرفة إذا كان المراد ب العاديات رواحل الحجيج.

وهذه الكلمات اختيرت لما لها من إيقاع موسيقي (صوتي) يُعطي إيحاءات بالمعاني التي تحملها قال ابن عاشور:"ومن بديع النظم وإعجازه إيثار كلمات: العاديات وضبحا والموريات وقدحا، والمغيرات وصبحا، ووسطن وجمعا، دون غيرها لأنها برشقاتها تتحمل أن يكون المقسم به خيل الغزو ورواحل الحج"[[676]](#footnote-676).

أقول: ومن بديع النظم القرآني اختيار كلمات تجمع أكثر من معنى وكلها مقصودة وتحتملها الآية كالعاديات والضبح والموريات والنقع.

ومما زاد في تجلية التصوير الفني للقرآن عطف الأفعال على الأسماء وعطف الأفعال الماضية على المضارعة "وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلا عن اسم فاعل، تصوير هذه الأفعال في النفس. فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف. وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة. وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي"[[677]](#footnote-677).

**المفردة الرابعة: لكنود**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر**

كَنَدَ يكند كنوداً: كفر وجحد جاء في مقاييس اللغة:" الكاف والنون والدال أصل صحيح واحد يدل على القطع. يقال كند الحبل يكنده كندا. والكنود: الكفور للنعمة. وهو من الأول، لأنه يكند الشكر، أي يقطعه"[[678]](#footnote-678). قال ابن منظور:" وهذا البناء من أبنية المبالغة"[[679]](#footnote-679).

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة:" كَنود [مفرد]: صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من كنَدَ.."[[680]](#footnote-680)

**ثانياً:أقوال المفسرين:**

لا يوجد اختلاف حقيقي في تفسير هذه المفردة عند المفسرين فمنهم من فسرها تفسيراً لغوياً فقال: الكنود هو الكفور أو الجحود. ومنهم من فسرها بأثر من آثار الجحود والكفر أو علامة من علامته كالذي يعد المصائب وينسى النعم أو كالذي يأكل وحده ويمنع رفده.

قال ابن عباس، ومجاهد وإبراهيم النخعي، وأبو العالية، وسعيد بن جبير، والضحاك، والحسن، وقتادة،: الكنود: الكفور[[681]](#footnote-681).

وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه[[682]](#footnote-682).

قال ابن عاشور:" ولغات العرب مختلفة في معناه فهو في لغة مضر وربيعة: الكفور بالنعمة، وبلغة كنانة: البخيل، وفي لغة كندة وحضرموت: العاصي. والمعنى: لشديد الكفران لله"[[683]](#footnote-683).

و قد اختلف فيمن نزلت فقال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال مقاتل: نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي[[684]](#footnote-684)، والراجح ان الإنسان وصف يعم البشر إلا من عصمه الله بلطفه وتوفيقه.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب – اشتقاقاً وبلاغةً وإيقاعاً صوتياً-**

الكنود صفة مشبهة على وزن فعول، تدل على الثبوت والمبالغة، فكأنَّ هذا الوصف ثابت للإنسان بصورة ظاهرة يشهد عليها لسانه ومقاله – إلا من عصمه الله -.

والتعريف في الإنسان تعريف الجنس وهو يفيد الاستغراق غالبا، أي أن في طبع الإنسان الكنود لربه، أي كفران نعمته، وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوت فيه ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكمل أهل الصلاح.

ما الدلالة البلاغية لتقديم ( لربه ) على (لكنود)؟

تقديم (لربه) لإفادة الاهتمام بمتعلق هذا الكنود لتشنيع هذا الكنود بأنه كنود للرب الذي هو أحق الموجودات بالشكر وأعظم ذلك شرك المشركين، ولذلك أكد الكلام بلام الابتداء الداخلة على خبر (إن) للتعجيب من هذا الخبر. والمقصود تفظيع كنود الإنسان بأنه معلوم لصاحبه بأدنى تأمل في أقواله وأفعاله.

كما جاءت هذه المفردة مؤكدة في جواب القسم (إن الإنسان لربه لكنود) فنلاحظ تأكيد المعنى بـ: إن، واللام، وتعريف الإنسان ليعم. واختيار هذه المفردة لتكون في جواب القسم لإعطاء القسم مزيد قوة وبيان.

وفي الإيقاع الصوتي للكلمة دلالة على المبالغة والتهويل لتدل على شهرة هذا النكران والجحود من الإنسان، وجاءت موافقة لروي المقطع الذي هو حرف الدال وهو من حروف القلقلة الدالة على الشدة والنبر. ولم يقل: كنَّاد فيما أرى لمناسبة فاصلة المقطع الثالث: لكنود، القبور، في حرف الواو.

**المفردة الخامسة: حُصِّل**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

قال الخليل في العين:" حصل: حصل: حَصَلَ يحصُل حُصُولاً: أي بَقِيَ وثَبَتَ وذَهَبَ ما سِواهُ من حِسابٍ أو عَمَلٍ ونحوه فهو حاصل. والتحصيلُ: تَمييز ما يحصل"[[685]](#footnote-685).

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:"الحاء والصاد واللام أصل واحد منقاس، وهو جمع الشيء"[[686]](#footnote-686)

**ثانياً:أقوال المفسرين:**

ذهب المفسرون إلى أن معنى التحصيل في الآية هو إظهار أعمال الإنسان وتمييزها من أجل الحساب وإقامة الحجة عليه لأن كثيراً ما يكون باطن الإنسان بخلاف ظاهره، قال ابن عباس وغيره: يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم [[687]](#footnote-687). قال البيضاوي:" وحصل جمع محصلا في الصحف أو ميز. ما في الصدور من خير أو شر، وتخصيصه لأنه الأصل"[[688]](#footnote-688).

القراءات في المفردة:

وقرأ ابن يعمر ونصر بن عاصم: وحَصَّل مبنيا للفاعل والجمهور: مبنيا للمفعول. وقرأ ابن يعمر أيضا ونصر بن عاصم أيضا: وحَصَل مبنيا للفاعل خفيف الصاد[[689]](#footnote-689).

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

لم قال: (حُصِّل) مبنياً للمجهول؟

حين يُؤتى بالفعل مبنياً للمجهول فيقصد تعليق السامع بذات الفعل لا بالفاعل، فالمراد أن أعمالك ستحصل وستظهر فاعمل أن تكون أعمالك كلها حسنة بصرف النظر عمن سيحاسبك، أو لأن الفاعل ظاهر معروف وهو الله تعالى.

* لماذا لم يقل جُمع أو جُبي وهي بمعنى متقارب؟

لأن في التحصيل معنى استخراج ما هو مخفي ثم تمييزه، وهو معنى غير موجود في الجمع أو الجباية.

* لماذا قال (حصل ما في الصدور) ولم يقل (حصل ما في القلوب)؟

قال الرازي:" لأن القلب مطية الروح وهو بالطبع محب لمعرفة الله وخدمته، إنما المنازع في هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر..."[[690]](#footnote-690).

قلت: في اللفظين تناسب فإن التحصيل هو استخراج الخبايا، والصدر أبلغ في الدلالة على إخفاء الحقائق عن الآخرين.

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات وموضوع السورة ومقاصدها واسمها**

موضوع السورة القسم بالخيل-والإبل- وذكر صفاتها لأنها أنجب أموال العرب ووسيلتهم الوحيدة في الترحال والمعارك، ولهذا مقاصد وأغراض أهمها: تحذيرهم من الإغترار بقوتهم والإنخداع بزينة الحياة الدنيا، وتذكيرهم بالبعث و الحساب وتقرير عقيدة مهمة وهي اطلاع الله على ضمائرهم وخباياهم.

و تتناسب هذه المفردات تناسباً كبيراً مع هذا الموضوع وهذه المقاصد، أبيِّنها فيما يلي:

-المفردة الأولى والثانية والثالثة – ضبحا، قدحا، نقعا -

هذه المفردات تتسق مع موضوع السورة ومقاصدها إتساقاً واضحاً لأنها تصف الخيل –والإبل على قول- في أدق خصائصها، فالضبح هو صوت الخيل إذا عدت، والقدح هو إيراء النار من حوافرها عند اصطكاكها بالصخر، والنقع هو إثارة الغبار أو الصياح في المعارك. والمراد من ذكر هذه الصفات جلب انتباه العرب لما لهذه الحيوانات من أهمية عندهم واستثارة ذهنه لسماع جواب القسم.

فالله تعالى أنعم عليهم بهذه النعم ومع ذلك كفروا وجحدوا ونسوا البعث والحساب، وحرصوا على المال -الخير- مع أن خير أموالهم هي هذه الخيول والإبل وهي عطاء من الله تعالى.

ومن أسباب اختيار هذه المفردات تحبيب الخيل إلى المسلمين لما لها من معاني جهادية حيث يعطي تتابع هذه المفردات شعوراً بالسرعة والإقدام وبذل النفس رخيصة، ولذلك جاءت هذه المفردات أسماء منصوبة للدلالة على صفات ثابتة في هذه الحيوانات وللدلالة على قوة هذه الصفات لأن النصب أقوى الحركات.

وجاءت هذه المفردات كلها في المقطع الأول موافقة لفاصلته الدالة على الخفة والتتابع والسرعة ملائمةً لسرعة العدو وقوة القدح وكثرة النقع.

وعُطفت الأفعال على الأسماء في هذه الآيات لتغير الأسلوب من القسم إلى الحكاية وفي ذلك مزيد بيان وتوكيد لمعنى القسم وإمتاع لأذن السامع حتى يخيل إليه وكأنه ينظر إلى هذه الخيل –أو الإبل- وهي تتغير من حال إلى حال من العدو إلى الإغارة إلى إثارة النقع.

ومناسبة هذه الألفاظ لاسم السورة "العاديات" مناسبة ظاهرة فإن العنوان هو العاديات وهذه المفردات هي من أهم صفاتها.

ولا يكون الكلام مكتملاً ولا نافعاً إذا كان الحديث عن الخيل والإبل ولم يوصف عدوها وصوتها وقدحها وإغارتها وإثارتها للغبار أو الصياح.

ومن بديع السور القرآنية أنك تجد السورة تتفرد بالحديث عن موضوع ما وترى أن الألفاظ التي تصف هذا الموضوع قد اختصت بهذه السورة فقط.

\*المفردة الرابعة: لكنود

الكنود هو الكفور الجحود الذي امتنَّ الله عليه بهذه النعم وما زال جاحداً حريصاً على المال غافلاً عن البعث والنشور، وفي اختيار هذا اللفظ مناسبة قوية لمقاصد السورة، فاللفظ جاء لبيان فظاعة حال هذا الإنسان وشناعة موقفه الجاحد فجاء بلفظ غريب لإثارة الاستغراب من حال هذا الإنسان.

وصيغة المفردة فيها تأكيدٌ على كفره الشديد إذ جاءت بصيغة الصفة المشبهة الدالة على المبالغة.

كما أن هذا توكيد هذا اللفظ بــ (إن واللام ) مزيدَ بيان وتوكيد لحال الإنسان الحريص على الدنيا الذي أكرمه الله بأحسن الأموال وما زال غافلاً جاحداً.

كما جاءت هذه المفردة موافقة لفاصلة المقطع الثاني (الدّال) الدالة على الشدة والنبر.

وفي الآية تعريض بالإنسان إذ لا خير فيه ولا فائدة ترتجى منه-وهذا المعنى اللغوي لكنود- بعكس حال الدواب كالإبل مثلاً التي تستخدم في نقل الحجيج –على قول الامام علي- من منى والمزدلفة وإلى شعائر الله تعالى وتنفع الناس. وكالخيل التي يجاهَد عليها لماية حوزة الدين والدفاع عن حقوق المسلمين.

وهذا من مناسبة اسم السورة للمفردة فإن السورة تحدث عن العاديات ومنافعها فأعقبت ذلك التعريض بحال الإنسان الكنود الكفور حيث لا فائدة منه فهو يصدق عليه قول الله تعالى: [ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ] {الفرقان:44}

\*المفردة الخامسة: حُصِّلَ:

ترتبط هذه المفردة بموضوع السورة ومقاصدها، فآيات المقطع تقرر حقيقة أن الله قادر على بعث الأجسام من القبور واستخراج أجزائها من الأرض، وأنه خبير بظاهر الأمور وباطنها وجاءت هذه المفردة متسقة مع هذا المقطع إذ قررت أن الله قادر على تحصيل أعمال الإنسان واستخراج خفاياه التي أخفاها في صدره ولم يطلع عليه أحد.

ومن مقاصد السورة تحذير الإنسان من الكفر والجحود وهذه المفردة مناسبة تماماً لذلك، لأن إعلام الإنسان بأن الله سيحصل أعماله ويستخرج بواطنه فيه ردع وزجر عن التمادي في الجحود والفسق والعصيان.

وترتبط هذه الفريدة مع موضوع السورة ومع المقطع الأول لها حيث ذكرت أوصافاً دقيقة لهذه الدواب فكأنه يقول: إن المطلع على هذه الدقائق في الحيوانات لا يعجزه الإطلاع على ما يخفيه الإنسان في قلبه وتمييزها إلى خير وشر.

وإذا تعمقنا في تفسير السورة وجدنا أن السورة وصف لحركة الإنسان في عدوه وإغارته وجهاده وكيده وجمعه للمال فإن العلاقة حينها تكون جليةً بين المفردة والسورة حيث نجد أن هذه المفردة هي النتيجة لكل هذه الآيات والمفردات المتتابعة، فكأنه يقول: كل أعمالك في الدنيا الظاهرة والباطنة سيحصلها الله وسيميزها إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وعلى ذلك تظهر العلاقة بين عنوان السورة والمفردة فاسمها يدل على كثرة العدو والحركة والعمل والإيراء والإخفاء وكل ذلك يحصله الله ويُظهره.

الفرائد اللفظية وتشكيل محور السورة:

قلت سابقاً: لا بد أن ننظر في دراستنا هذه إلى ما ترسمه الفرائد اللفظية من وحدة موضوعية للسورة، فلا شك أن نسيج السورة يتشكل بناء على لبناتها اللفظية، وما سأتوصل إليه لا يعني بالضرورة مناقضة ما قاله المفسرون بل ربما جمع أقوالهم وزاد عليها في معاني أخر كما سيأتي بعد دراستي للألفاظ. وإذا نظرنا إلى هذه الفرائد اللفظية ونظرنا إلى ما فيها من علاقات سنجد أنَّ هذه الألفاظ تعطي معاني عامة لا يجوز تخصيصها فقط بالخيل أو الإبل بل هذه بعض أفرادها، ونلمح من السورة بهذا العموم أنها تحاكي حركة الإنسان في حياته فهو يعدو في حياته طلباً للمال ويعدو في حروبه، ويوري ويكيد في قلبه لغيره، وهو يغير على الآخرين إما بالحروب أو بالإضرار بالآخرين، وكل هذه الظواهر أقسم الله بها للدلالة على أن الإنسان كنود و جاحد ومحب للمال وحريص عليه و هو ما يتناسب تناسباً كلياً بين القسم وجواب القسم ومناسب لخاتمة السورة، فقد ختم السورة بتذكير الإنسان بأن ما أضمره من كيد وما سعى في تحصيله من خلال عدوه وسيره في الحياة سيظهره الله وسيحاسبه به.

وعلى ذلك فإنني بعد دراسة الفرائد اللفظية والنظر في دلالاتها وعلاقاتها[[691]](#footnote-691) أجد أن موضوع السورة لا يختص بالخيل أو الإبل بل هو أشمل من ذلك فمحور السورة هو حركة حياة الإنسان في الدنيا ثم إلى القبور ثم الآخرة، ولذلك ناسب هذا الجو ألفاظاً كهذه الألفاظ تلقي بظلالها على السورة.

العلاقة بين الفرائد اللفظية وأثر ذلك على محور السورة:

قلت سابقاً بأن بناء الوحدة الموضوعية للسورة تشكلها المفردات اللفظية التي يتبني السورة. لكن لا بد أن يكون لهذه الفرائد علاقات فيما بينها تكون هي السبب في اختصاص السورة بهذه المفردات.

فأقول: بعد أن بينتُ دلالات الألفاظ المعجمية والبلاغة والصوتية وربطت بينها وبين محور السورة ومقصودها يمكنني أن استخلص العلاقة بين المفردات نفسها حيث أجد أنها هي التي ستحدد الموضوع العام للسورة.

فهذه المفردات إذا نظرنا إلى كل مفردة منها فإننا سنرى لها أكثر من معنى – ذكرها أهل اللغة والتفسير- ولكننا إذا حملنا هذه الألفاظ على بعض هذه المعاني- من غير النظر إلى سياق الآيات-، سنجد أن البناء صار غير متناسق. ولكن إذا اعتبرنا أن كل مفردة تسلم لأختها وأن كل المفردات نسيج في بناء واحد – ولا يجوز أن تشذ إحداها عن الأخريات – فنرى ما يلي:

أن الضبح علامة على العدو السريع ولا يشترط أن يكون في الخيل أو الإبل، بل قد يكون هذا من باب الإستعارة، أي استعارة لفظ الضبح الخاص بالخيل ليدل على حال الإنسان في عدوه وحركته في الدنيا.

ثم أنظرُ إلى: [ﮘ ﮙ ﮚ ] {العاديات:2} وأجد أن من معانيها: الكيد الذي في صدور الرجال ويؤدي إلى إشعال الفتن والحروب.

وننظر في: ( [ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ] {العاديات:4} فنجد أن من معانيها إثارة القتل والصراخ وهي حال من أحوال البشر في تدافعهم وتنافسهم في الدنيا.

وننظر إلى: [ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ] {العاديات:6} ونجد أنها تأكيد على ما ذُكِرَ سابقاً من جحود الإنسان ونسيانه لربه وحرصه على زينة الدنيا.

وننظر في الخاتمة: [ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ] {العاديات:10} فنجد أنها نتيجة لكل المفردات السابقة وأنها تدل على حصيلة أفعاله الحسنة والسيئة، وتدل على أن ما أظهره وما أضمره من كيد وجحود في صدره سيظهره الله ويحاسبه عليه.

هكذا تظهر الوحدة الموضوعية للسورة، وهكذا تسلِّم كل مفردة إلى أختها ليتجلى نسيج متكامل يستعبد المعاني التي لا تراعي السياق والمقاصد.

وبذلك يتجلى وجه من أوجه الإعجاز البلاغي في السورة الواحدة إذ تفسر السورة نفسها بنفسها من خلال السِّياق والسِّباق.

**المبحث الرابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الفيل وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتُها وعددُ آياتها:**

سميت في جميع المصاحف بسورة الفيل لافتتاحها بالتذكير بقصة أصحاب الفيل. و وردت تسميتها في كلام بعض السلف سورة {ألم تر}[[692]](#footnote-692).

وعدد آياتها خمس آيات باتفاق[[693]](#footnote-693).

**ثانيا: وقت نزولها:**

وهي مكية بالاتفاق. وقد عدت التاسعة عشرة في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الكافرون وقبل "سورة الفلق"[[694]](#footnote-694).

**ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

تشترك سورة الهمزة وسورة الفيل بالحديث عمن حارب دين الله بأمواله وسلطانه وقواته.[[695]](#footnote-695)

قال الآلوسي:" ويجوز أن تكون كالاستدلال على ما أشير إليه فيما قبلها من أن المال لا يغني من الله تعالى شيئا، أو على قدرته عز وجل على إنفاذ ما توعد به أولئك الكفرة في قوله سبحانه [ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ] {الهمزة:4} إلخ."[[696]](#footnote-696)

أما تناسبها لما بعدها –سورة قريش- فهو تناسب كبير فإن الله أهلك أصحاب الفيل لإبقاء قريش وفي كلا السورتين امتنان على قريش –وسيأتي في السورة القادمة مزيد توضيح -.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة:**

**أولاً: موضوعها:**

يدور محور السورة حول قصة "أصحاب الفيل" حين قصدوا هدم الكعبة المشرفة، فرد الله كيدهم في نحورهم، وحمى بيته من تسلطهم وطغيانهم، وأرسل على جيش " أبرهة الأشرم" وجنوده أضعف مخلوقاته، وهي الطير التي تحمل في أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة، ولكنها أشد فتكا وتدميرا من الرصاصات القاتلة، حتى أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم، وكان ذلك الحدث التاريخي الهام، في عام ميلاد سيد الكائنات " محمد " صلى الله عليه وسلم، وكان من أعظم لإرهاصات الدالة على صدق نبوته[[697]](#footnote-697).

قال السعدي:" وقصتهم معروفة مشهورة وكانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت من جملة إرهاصات دعوته، ومقدمات رسالته، فلله الحمد والشكر"[[698]](#footnote-698)

قال ابن كثير:"ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم -يا معشر قريش-على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء"[[699]](#footnote-699).

**ثانياً: أغراضها ومقاصدها:**

من مقاصد السورة التي استنبطها العلماء[[700]](#footnote-700):

1- تسلية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتثبيته بأن الله يدفع عنه كيد المشركين فإن الذي دفع كيد من يكيد لبيته لأحق بأن يدفع كيد من يكيد لرسوله - صلى الله عليه وسلم - ودينه ويشعر بهذا. قال النيسابوري:" وفي القصة إشارة إلى أني حفظت البيت وهو موضع العلم للعالم أفلا أحفظ العالِم وهو من المسجد كالدر من الصدف؟ فمن أراد تخريب البيت وهدمه وكسره دمرته "[[701]](#footnote-701).

2- دلت القصة أيضا على تكريم الله للكعبة، وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم، فكان يجب عليهم المبادرة إلى الإيمان برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وعبادة الله، وشكره على نعمائه.

3- دلت هذه الواقعة على قدرة الله الصانع وعلمه وحكمته، وعلى شرف محمد - صلى الله عليه وسلم -.فقد كان إرسال الطير عليهم إرهاصا للنبي - صلى الله عليه وسلم -

4- تذكير قريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت وأن لا حظَّ فيه للأصنام التي نصبوها حوله.و تنبيههم بما ظهر من كرامة النبي - صلى الله عليه وسلم - عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

**-**افتتحت السورة باستفهام التقريري تلاه استفهام آخر (ألم ترَ) (ألم يجعل) ولم تفتتح سورة كذلك[[702]](#footnote-702)، وفي ذلك إشارة إلى أن السورة جاءت لتقرير حقيقة والتذكير بها حيث غفل الناس عنها، و جاء الاستفهام كذلك للتحضيض على رؤية تلك الحادثة بالقلب لمن لم يرها بالعين للإيمان بقدرته.

- السورة مكية وآياتها قصيرة وسريعة تقرر حقيقة ثابتة -فلا حاجة للتفصيل فيها-، وقد جاءت تدعو إلى الاعتبار مما حل في أصحاب الفيل في مشهد يظهر معاني الرهبة والانتقام من أعداء الله.

-الإيقاع الصوتي للسورة مناسب لهذه المعاني. حيث تكرر حرف ( لم ) المسبوق بالهمزة للدلالة على الاستفهام والجزم والقلب لإثارة الإنتباه والتأكيد على المعنى المراد والتشويق لما سيأتي بعدها. كما تكررت حروف العطف: الواو والفاء، الدالة على عدم التراخي والتمهل في الإرسال والعذاب. كما تنوعت الأفعال من ماض إلى مضارع: تر، فعل، يجعل، أرسل، ترميهم، فجعلهم. للدلالة على استمرار قدرة الله وعدم توقفها في الماضي، ولإعطاء معاني الحركة في السورة.

كما أن فاصلتها ملائمة لهذا الإيقاع وتلك المعاني، ففاصلة اللام الساكنة لا تطريب فيها و في ذلك مناسبة لمعنى التمكين والرهبة بخلاف فاصلة سورة المزمل مثلاً: (قليلا، ترتيلا، ثقيلا، قيلا.. ) المناسبة لأجواء السكون والهدوء والتسرية عن النفس.

- براعةُ الاختتام بتشبيهٍ مصوّرٍ بصورة تحقيرية لأعداء الله حيث جعلهم كالتبن الذي داسته الدواب وبذلك يلتقي آخر السورة بأولها، بإجابةٍ مصورةٍ تصويراً حسياً لسؤالٍ فيه تحضيضٌ على الرؤية فكأنه أراد: أنك إن لم تر تلك الحادثة بعينك فانظرها في هذه السورة بقلبك.

- تجلي التصوير الفني في السورة حتى كأنك تنظر إلى لوحة مصورة ترى فيها الأفيال تنقض عليها الطيور بسرعة وكثرة لتتركها بعد ذلك مدمرة كأوراق الشجر والتبن الذي أكلته الدواب ولم يبق منه إلا الفتات.

- تميزها في موضوعها حيث لم يتكرر هذا الموضوع في أي سورة أخرى قال ابن عاشور:" ولم يتكرر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل خلافا لقصص غيرهم من الأمم لوجهين: أحدهما أن إهلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله، وثانيهما أن لا يتخذ منه المشركون غرورا بمكانة لهم عند الله"[[703]](#footnote-703).

- أبرزت هذه السورة آية من آيات النبوة وارهاصاتها لا يمكن ردها: وآية الرسول في قصة الفيل أنه كان في زمانها حملا في بطن أمه بمكة ؛ لأنه ولد بعد خمسين يوما من الفيل، فكانت آيته في ذلك من وجهين: أحدهما: أنهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا ؛ فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله أن يجري عليه السبي حملا ووليدا. والثاني: أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم"[[704]](#footnote-704).

- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من أساليب البديع والبيان نوجزها فيما يلي[[705]](#footnote-705):

1 - الاستفهام للتقرير والتعجيب [ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮒ ﮓ] {الفيل:1}..

2 - الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم َ بإِضافته إِلى اسم الجلالة {فَعَلَ رَبُّكَ} تشريف للنبي العظيم، وإِشادةٌ بقدرة الله تعالى.

3 - التشبيه المرسل المجمل[ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ] {الفيل:5} ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.

4 - توافق الفواصل في الحرف الأخير مثل {الفيل، تَضْلِيلٍ، سِجِّيلٍ، أَبَابِيلَ} الخ.

-احتوت السورة على مفردات اختصت بها من دون القرآن وهي: الفيل و أبابيل. أما كلمة الفيل فلم يوجد في القرآن كله هذه المفردة أو أحد اشتقاقاتها – وهو مقصود بحثي-

وأما أبابيل فلم تتكرر بهذه الصيغة ولكن ذكرت بعض اشتقاقاتها فهي من الجذر "إبل " وهي ليست من شرط بحثي ولكني سأتكلم عنها باعتبار تميز السورة بها.

**رابعاً: الترابط بين أجزاء السورة:**

السورة تكونت من استفهام على تقرير مجمل تبعه آيات دالة على تفصيل ذلك، فقد بدأت السورة باستفهام تلاه استفهام ليس ظاهره هو المقصود ولكن مقصوده تقرير حقيقة معروفة لديه ولدى قومه حتى صارت معلومة كالأمر المشاهد. ومقصوده كذلك التذكير بما حلَّ بأصحاب الفيل لمقاصد وحكم عديدة –ذكرتها سابقاً-، ومقصوده أيضاً من هذا السؤال إثارة التعجب من قدرة الله تعالى والترهيب من غضبه لتهويل الحادثة وأن من صنع ذلك بهم قادر على أن يهلك غيرهم ممن حارب دينه ورسوله.

قال أبو السعود:" والرؤية علمية، أي: ألم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان، باستماع الأخبار المتواترة، ومعاينة الآثار الظاهرة. وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه، بأن يقال: ألم تر ما فعل ربك إلخ ؛ لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة.."[[706]](#footnote-706).

ثم كان السؤال عن كيفية فعل ربك للإشارة إلى هول تلك الحادثة التي تكفل الله وحده بها وهو الراعي الحقيقي لهذا البيت وليست قريش ولا أربابها، وأضاف الرب إليه صلى الله عليه وسلم تشريفاً وتكريماً فأنت يا محمد الأحق بهذا الرب وبهذا البيت[[707]](#footnote-707).

ولما تشوفت أذن السامع إلى معرفة كيفية فعل الله فيهم أتبع ذلك بجمل مختصرة متناسقة مصورة لما حدث تصويراً فنياً رائعاً فيه التخييل والتجسيم حتى كادت الحادثة أن تصير مشاهدة مرئية، وكأنه أراد أنك إن لم تر فهذه السورة تريك المشاهد مصورة.

ومع كثرة الروايات في وصف هذه الطيور وهذه الحادثة اقتصر القرآن على ذكر العدو وما اشتهروا به وذكر كيدهم لدينه وذكر جند الله الذي أرسلهم بالعذاب ثم ذكر النتيجة، على عادة القرآن في الاقتصار على مواطن الاعتبار فلم يفصل القرآن في وصف الطيور لأن مجرد إرسالها بالعذاب آية من آيات الله فلا يهم بعدها حجم الطيور او غرابتها فليس كبرها بأكثر دلالة على قدرة الله من صغرها، ولذلك علق القرآن ذهن السامع بفعل الطير وكثرتها لا بأحجامها[[708]](#footnote-708).

ثم ذكر نوع السلاح الذي أهلكهم به لما تشوفت الأذن لمعرفة ذلك فذكر أنها حجارة للدلالة على كثرتها وللإشارة إلى تحقييرهم حيث أهلكهم بحجارة صغيرة، وهي من سجيل وهو طين شديد الحرارة[[709]](#footnote-709) أحرقهم جزاء لهم لما أشعلوا نار الكيد والفتنة، فناسب العذاب جنس ما كانوا يسعون له.

ولما عرف السامع جنود الله وما أرسل معهم أعقب ذلك من غير تراخٍ ذكر ما حلَّ بهم، وهو أنهم صاروا كالتبن[[710]](#footnote-710) وأوراق الشجر الذي أكلته الدواب وداسته. وفي هذا مناسبة لذكر الفيلة فإن هذه الحيوانات هي التي تدوس ما تجده أمامها وتهدمه، فجعل الله عقابهم من جنس ذلك فصيرهم كأوراق الشجر التي داستها الدواب بسبب أنهم قصدوا هدم البيت ودوسه[[711]](#footnote-711).

وهذا غاية النهاية في تصويرهم بصورة محقرة مصغرة تناسب ما كانوا عليه من طيش وعدوان، حيث تلقي هذه الصورة الفنية الحسية بظلال الرهبة والخوف في نفس من يعادي دين الله ورسوله، قال سيد قطب:" وهي صورة حسية للتمزيق البدني بفعل هذه الأحجار التي رمتهم بها جماعات الطير. ولا ضرورة لتأويلها بأنها تصوير لحال هلاكهم بمرض الجدري أو الحصبة"[[712]](#footnote-712).

وبذلك يلتف آخرها بأولها بالجواب عن السؤال الذي ظاهره الاستفهام ومقصوده أمور أخر.

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها**

وجدت في هذه السورة مفردة واحدة وهي الفيل[[713]](#footnote-713):

**المفردة: الفيل**

**أولاً: الدلالة المعجمية:**

الفيل اسم من فال أو فيلَ بمعنى سمُن وهو علامة على الضعف، ثم استعير في الرأي الخاطئ فيقال: رجل فالَ، ورجل فيل الرأي، أي خاطئ الرأي وضعيفه. قال الخليل في العين:" وتفيّل رأيُ فلانٍ، أي: أخطأ في فَراسَته"[[714]](#footnote-714)

قال الزمخشري في أساس البلاغة:" ف ي ل: رجل فائل الرأي وفال الرأي"[[715]](#footnote-715).

وجاء وصف الفيل في المعجم الوسيط بما نصه: "الفيل: حَيَوَان ضخم الْجِسْم من العواشب الثديية ذُو خرطوم طَوِيل يتَنَاوَل بِهِ الْأَشْيَاء كَالْيَدِ وَله نابان بارزان كبيران يتَّخذ مِنْهُمَا العاج"[[716]](#footnote-716).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

الفيل: حيوان معروف، والجمع أفيال وفيول وفيلة، و تفيل إذا سمن كأنه فيل.[[717]](#footnote-717)

قال ابن عاشور:" ولم يكن الفيل معروفا عند العرب فلذلك قل أن يذكر في كلامهم وأول فيل دخل بلاد العرب هو الفيل المذكور في هذه السورة... وقد ذكرت أشعار لهم في ذكر هذه الحادثة في السيرة. ولكن العرب كانوا يسمعون أخبار الفيل ويتخيلونه عظيما قويا"[[718]](#footnote-718).

**ثانياً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

-دلالة تعريف الفيل:

التعريف في الفيل للعهد، وهو فيل أبرهة قائد الجيش وقد قيل: إن جيش أبرهة لم يكن فيه إلا فيل واحد، وهو فيل أبرهة، وكان اسمه محمود. وقيل: كان فيه فيلة أخرى، قيل ثمانية وقيل: اثنا عشر.

وقال بعض: ألف فيل. فيكون التعريف تعريف الجنس ويكون العهد مستفادا من الإضافة[[719]](#footnote-719).

-دلالة الاستفهام في الآية:

الاستفهام التقريري كثيرا ما يكون على نفي المقرر بإثباته للثقة بأن المقرر لا يسعه إلا إثبات المنفي، قال ابن عاشور:"والاستفهام التقريري هنا مجاز بعلاقة اللزوم وهو مجاز كثر استعماله في كلامهم فصار كالحقيقة لشهرته. المعنى: ألم تعلم الحالة العجيبة التي فعلها الله بأصحاب الفيل، فهذا تقرير على إجمال يفسره ما بعده"[[720]](#footnote-720).

وفي الاستفهام كذلك معنى التحضيض لحثِّ السامع على التفكر في تلك الحادثة لأن الرؤية البصرية محالة، فكأن المقصود: ألا تنظر إلى حال أصحاب الفيل نظر تفكر واعتبار لتعلم يا محمد بأن الله ناصرك ومؤيدك أنت ومن اتبعك، ولتعلموا يا كفار قريش بأن الله قادر على إهلاك من هم أكثر منكم بطشاً.

-لمَ لمْ يقل "خلق أو عمل أو جعل"؟

إنَّ كلمة "خلق" يستعمل لابتداء الفعل، و كلمة "جعل" للكيفيات قال تعالى: [ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ] {الأنعام:1} و كلمة عمل بعد الطلب، أما كلمة فعل فهي عامة تشمل أموراً كثيراً[[721]](#footnote-721).

-دلالة قوله ( ربك ) ولم يقل ( رب ) أو ( إلهك ):

ذكر الربوبية لأن هذه الحادثة دالة على ربوبيته وقدرته تعالى، وأضافها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريفاً وتكريماً قال الرازي:" كأنه تعالى قال: إنما فعلت بأصحاب الفيل ذلك تعظيما لك وتشريفا لمقدمك، فأنا كنت مربيا لك قبل قومك، فكيف أترك تربيتك بعد ظهورك، ففيه بشارة له عليه السلام بأنه سيظفر"[[722]](#footnote-722).

-لم قال: بأصحاب الفيل ولم يقل: أرباب الفيل أو ملاك الفيل؟

والجواب: لأن الصاحب يكون من الجنس، فقوله: بأصحاب الفيل يدل على أن أولئك الأقوام كانوا من جنس الفيل في البهيمية وعدم الفهم والعقل[[723]](#footnote-723).

وقال (أصحاب الفيل) ولم يقل: (الحبشة) مثلاً تحقيراً لذكرهم فإن في تسميتهم إحياءٌ لذكراهم، وللتذكير بأقوى أسلحتهم التي كانوا يرهبون بها العرب.

كما أن في هذا الوصف تعريضاً إشارياً بقريش وبكل صاحب رأي ضال خاطئ حيث إن من معاني الفيل الضعف والخطأ يقال: رجل فائل ورجل فيل الرأي فاسد الرأي ضعيفه، وهؤلاء الذين حاربوا دين الله وعادوا رسوله قد ضلَّ رأيهم فأضلّ الله سعيهم وأوهن كيدهم.

وأما أبابيل فلم تتكرر بهذه الصيغة ولكن ذكرت بعض اشتقاقاتها فهي من الجذر "إبل " وهي ليست من شرط بحثي ولكني سأتكلم عنها باعتبار تميز السورة بها.

فكلمة أبابيل تعني جماعات كثيرة متفرقة، ومفردها: إبالة أو إبول أو أبيل. وقال الفراء: لا مفرد لها[[724]](#footnote-724). وهي من الجذر "إبل" يقال: أبَّل في البيت بمعنى كثرت إبله. وتأبيل الإبل: تسمينها. وأبلت الإبل والوحش سمنت، وتأبل أبلا وأبولا وأبلت وتأبلت: جزأت عن الماء بالرطب فسمنت. وإبل مؤبلة: كثيرة مجتمعة. قال ابن سيده:" والإبيل والإبول والإبالة القطعة من الطير والخيل والإبل. وواحد الأبابيل إبيل وأبول كعجول وعجاجيل"[[725]](#footnote-725). قال ابن عاشور:" ومنه قولهم في المثل: «ضغث على إبالة» وهي الحزمة الكبيرة من الحطب. وعليه فوصف الطير بأبابيل على وجه التشبيه البليغ"[[726]](#footnote-726).

وما يهمني هنا في التناسب أن أقول: من تناسب القرآن أن تجد اللفظ متلائماً مع ذات الشيء من حيث غرابته وتكراره، فإن الشيء إن كان معهوداً لدى العرب وجدت لفظه -غالباً- معهوداً متكرراً متنوعاً في اشتقاقاته. وإن كان غريباً غير معهود لهم وجدت لفظه غريباً مستوحشاً – سواء من حيث اللفظ أو المعنى-

فإن كلمة الأبابيل دالة على غرابة تلك الطيور[[727]](#footnote-727) حيث لم تُر إلا مرة واحدة كما أن هذه المفردة لم تعهد في القرآن إلا مرة واحدة.

كما أن كلمة الفيل لم تعهد في القرآن إلا مرة واحدة وهو مناسب للواقع حيث لم يعهد العرب هذا الحيوان ولم يروه إلا مرة واحدة.

وظهر لي في التناسب بين غرابة المفردتين أمر آخر وهو أنه كما أن أعداء الله جاءوا بجند وأسلحة لا عهد للعرب بها كذلك أرسل الله عليهم جنداً لا عهد لأحد بها[[728]](#footnote-728)، ولله جنود السموات والأرض.

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفردات اللفظية وموضوع السورة ومقاصدها واسمها**

موضوع السورة هو التذكير بحادثة مشهورة هي حادثة أصحاب الفيل وكيف أهلكهم الله، ومقاصدها عديدة منها إظهار آية من آيات الله لتحذير قريش من معاداة دينه ورسوله، وأن الرب الذي أهلك أصحاب الفيل قادر على إهلاك غيرهم، ومن مقاصدها تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه.

وقد تفردت السورة بمفردة لم تتكرر هي أو أحد اشتقاقاتها في القرآن وفي ذلك مناسبة قوية لموضوع السورة ومقصودها، فإن هؤلاء الأحباش تناصروا وتعاضدوا لهدم بيت الله المحرم وإزالة ما بقي من شعائر وأحضروا كل ما لديهم من قوة، وأقوى قواتهم الفيلة وكان غريباً على العرب لم يعهدوه في حروبهم و ذلك أدل على قدرته تعالى في إنزال النصر وأوقع في النفس من ذكر قوة قريش المعهودة المعروفة.

فذكر الفيل له حكمة تناسب جو السورة ومقصودها، أما مناسبة جو السورة فلأنها تحكي قوة ذلك العدو من الأحباش وجبروته حيث جاءوا بسلاح لم يعرفه العرب ومع ذلك أهلكهم الله بكائنات قد يظن الناظر أنها أضعف منها بكثير، وبحجارة صغيرة بمقدار حبة الحمص وكأنه يشير إلى أن الفاعل الحقيقي هو الله وليست هذه الطيور والحجارة.

وأما مناسبة اللفظ لمقصود السورة فإن من مقصودها تسلية رسول الله لما يلاقيه من ظلم قريش وتنكيلهم، فتذكيره بذلك العدو غير المعهود -الفيل- أوقع في نفسه ونفس المؤمنين من بعده وأرسخ للمعنى من تذكيره بأي حادثة أخرى لأسباب، هي:

-أن هذه الحادثة متواترة مستفيضة يتذكرها أهل مكة ويرون آثارها ماثلة أمامهم – الحصى، قائد الفيل الأعمى-.

- أن سلاح الحبشة ووسيلة نقلهم "الفيل" أشد بطشاً وقوة مما عند قريش.

- أن الله دافع عن دينه كرامة لك يا محمد قبل أن تولد فكيف لا يدافع عن دينه وأنت موجود.

- أن ربك يا محمد أهلك هذا العدو غير المعهود بمخلوقات غير معهودة فلا تيأسنَّ من روح الله ولا تستبطئنَّ نصر الله فما يعلم جنود ربك إلا هو.

ثم إن من مقاصد السورة تبكيت قريش وتذكيرهم بذلك العدو الذي لم يقدروا عليه وأهلكه الله، وتشبيه حالهم بحال أصحاب الفيل بالعبارة والإشارة، أما العبارة فقد وضحت ذلك، وأما الإشارة فإن أولئك أصحاب الفيل، وقريش أصحاب الرأي الفائل لأن من معاني الفيل الرأي الضال الفاسد، فهؤلاء أشبهوا أولئك بجامع الرأي الفاسد وهو محاربة دين الله وكلاهما كاد لهذا الدين، فأصحاب الفيل أرادوا هدم بيت الله وأصحاب الرأي الفائل أرادوا قتل رسول الله ولكن الله كان لهم بالمرصاد فجعل كيدهم في تضليل وحفظ بيته من كيد الحبشة وحفظ رسوله من كيد قريش.

كما أن لهذه المفردة ملاءمة مع مفردات السورة من حيث الإيقاع الصوتي (الموسيقي) فهي مناسبة للفاصلة، ففاصلة اللام الساكنة لا تطريب فيها و في ذلك مناسبة لمعنى التمكين والرهبةبخلاف اللام التي تتبعها ألف كما في سورة المزمل مثلاً: (قليلا، ترتيلا، ثقيلا، قيلا.. ) فهي مناسبة لأجواء السكون والهدوء والتسرية عن النفس.

وهي ملائمة لمفردة (أبابيل) من حيث غرابة اللفظ والمعنى فإن كلمة الأبابيل قد تشير إلى غرابة تلك الطيور[[729]](#footnote-729) حيث لم تُر إلا مرة واحدة كما أن هذه المفردة لم تعهد في القرآن إلا مرة واحدة.

وكذلك كلمة (الفيل) لم تعهد في القرآن إلا مرة واحدة وهو مناسب للواقع حيث لم يعهد العرب هذا الحيوان ولم يروه إلا مرة واحدة.

وظهر لي في التناسب بين غرابة المفردتين أمر آخر وهو أنه كما أن أعداء الله جاءوا بجند وأسلحة لا عهد للعرب بها كذلك أرسل الله عليهم جنداً لا عهد لأحد بها[[730]](#footnote-730)، ولله جنود السموات والأرض.

أما تناسب المفردة مع اسم السورة فإن بينهما تطابق تام وكأنهم حين رأوا تفرد السورة بهذه اللفظ سموها به كما في كثير من السور، أو لأن حادثة الفيل آية من آيات القدرة الربانية وإرهاص من إرهاصات الحضرة النبوية وحادثة اشتهرت في العقول البشرية سميت السورة باسمها.

وعلى ذلك يمكنني استنباط قاعدة في التناسب بين السورة ومفرداتها فأقول:

تتناسب المفردات القرآنية مع موضوعات سورها وأسمائها ومقاصدها وأجواء نزولها –أو حدوثها- وإيقاعها الصوتي.

**المبحث الخامس: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة قريش وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

لها اسمان: 1.سورة قريش في كل المصاحف، سميت سورة قريش تذكيرا لهم بنعم الله عليهم في مطلع السورة: لإيلاف قريش[[731]](#footnote-731). 2.سورة لإيلاف قريش[[732]](#footnote-732).

وآيها أربع في الكوفي والبصري والشامي. وخمس في المدنيين والمكي[[733]](#footnote-733).

**ثانياً: وقت نزولها:**

هذه السورة مكّيّة عند الجمهور[[734]](#footnote-734)، قال ابن عطية: بلا خلاف[[735]](#footnote-735). و قال الضّحّاك، وابن السّائب أنها مدنية[[736]](#footnote-736).

قال دروزة:" غير أن أسلوبها يلهم مكيتها كما أن أكثر الروايات متفقة على ذلك"[[737]](#footnote-737)

وقد عدت التاسعة والعشرين في عداد نزول السور،نزلت بعد سورة التين وقبل سورة القارعة[[738]](#footnote-738).

**ثالثا: فضلها:**

ذكر بعض المفسرين حديثاً أخرجه الطبراني عن أم هانئ قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم، ولا يعطاها أحد بعدهم، فضل الله قريشا: بأني منهم، وأن النبوة فيهم، وأن الحجابة فيهم، وأن السقاية فيهم، ونصرهم على الفيل، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل فيهم سورة من القرآن لم تنزل في أحد غيرهم "[[739]](#footnote-739).

ولكن هذا الأثر يثبت فضلاً لقريش لا للسورة. فلا يصلح لإثبات فضيلة للسورة.

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

ترتبط السورة بما قبلها من وجهين:

1- كلتا السورتين تذكير بنعم الله على أهل مكة، فسورة الفيل تشتمل على إهلاك عدوهم الذي جاء لهدم البيت الحرام أساس مجدهم وعزهم، وهذه السورة تذكر نعمة أخرى اجتماعية واقتصادية[[740]](#footnote-740).

2- هذه السورة شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلق الجار والمجرور في أولها بآخر السورة المتقدمة: لإيلاف قريش.. أي لإلف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل، لتبقى قريش[[741]](#footnote-741).

وتتناسب هذه السورة مع سورة الماعون في أن سورة قريش نزلت في ترغيب الكفار وذكر الامتنان عليهم وسورة الماعون جاءت في تعنيفهم وتخويفهم من ترك الإيمان والأعمال الصالحة.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة قريش:**

**أولاً: موضوع السورة[[742]](#footnote-742):**

موضوع السورة هو ذكر الامتنان على قريش بما أنعم الله عليها ليكون مدعاةً لهم للدخول في هذا الدين، فإن كانت قريش لا يعبدون ربهم لسبب من الأسباب فليعبدوا رب هذا البيت لأنه آلفهم رحلة الشتاء والصيف للتجارة وكسب الرزق، وكانوا بذلك أغنياء آمنين ينتقلون حيث شاءوا، بفضل الله الذي جعلهم جيران بيته وخدم حجاجه ليعبدوا رب هذا البيت.

فالله - سبحانه وتعالى - الذي وسع لهم في الرزق، ومهد لهم سبيل الأمن، وأعطاهم القبول عند الناس وإذا كان الله هو صاحب الفضل في ذلك كله فليعبدوه وحده دون سواه.

**ثانياً: مقاصد السوة وأغراضها:**

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: ذكر المنة على قريش، وتحضيضهم على العبادة، وشكر الإحسان، ومعرفة قدر النعمة والعاقبة والأمان، فى قوله: {وآمنهم من خوف}"[[743]](#footnote-743). ويمكن أن نلخص مقاصد السورة فيما يلي[[744]](#footnote-744):

1- بيان إفضال الله تعالى على قريش وإنعامه عليها

2- وجوب عبادة الله تعالى وترك عبادة من سواه.

3- وجوب الشكر على النعم وشكرها حمدا لله تعالى عليها والثناء عليه بها وصرفها في مرضاته.

4- الإطعام من الجوع والتأمين من الخوف عليهما مدار كامل أجهزة الدولة فأرقى الدول اليوم وقبل اليوم لم تستطع أن تحقق لشعوبها هاتين النعمتين نعمة العيش الرغد والأمن التام.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

- براعة الاستهلال بما فيه تشويق: قال ابن عاشور:"افتتاح مبدع إذ كان بمجرور بلام التعليل وليس بإثره بالقرب ما يصلح للتعليق به ففيه تشويق إلى متعلق هذا المجرور. وزاده الطول تشويقا إذ فصل بينه وبين متعلقه (بالفتح) بخمس كلمات، فيتعلق لإيلاف بقوله: ليعبدوا"[[745]](#footnote-745).

- مناسبتها مع ما قبلها كالمناسبة بين سورتي الانفال وبراءة حيث اختلف في البسملة بينهما، وكان موضوع الفيل والأنفال هو إهلاك المعادين للدين ونصر الاسلام عليهم، وكان موضوع قريش والتوبة ذكر ما أكرمهم الله.[[746]](#footnote-746)

- تفرد السورة بموضوع واحد وهو ذكر المنة على قريش ثم تحضيضهم على عبادة الله وحده وذلك بأسلوب موجز لا تطويل فيه.

- الإيقاع الصوتي (الموسيقي) للسورة سريع ومتتابع حيث يضيء بإضاءات خاطفة على أهم النعم التي أنعم الله بها على قريش ثم يصل إلى المطلوب وهو عبادة الله وحده.

- يتكرر مد اللين في خواتيم الآي كلها ويظهر لي أن في ذلك معنى التليين لترغيبهم في عبادة الله. وقد يكون هذا من مرجحات كون السورة أربع آيات لأن رؤوس الآيات كلها فيها مد لين بخلاف الوقوف على "جوع".

-تميزت السورة بذكر أسس بناء الدولة أو المجتمع بإيجاز، وهي:

1-التآلف بين أفراد المجتمع2-العمل والسعي في الاتجاهات كافة.

3-عبادة الله وحده4- القضاء على الخوف والجوع من مرتكزات قيام الدول.

* تضمنت السورة أساليب بلاغية رائعة، هي[[747]](#footnote-747):

1 - الطباق بين {الشتآء.. والصيف} وبين الجوع والإِطعام {أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ} وبين الأمن والخوف {وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}.

2 - الإِضافة للتكريم والتشريف {رَبَّ هذا البيت}.

3- تقديم ما حقه التأخير {[ﭑ ﭒ ﭓ ] {قريش:1} والأصل –من حيث المعنى-{لْيَعْبُدُواْ رَبَّ هذا البيت لإِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشتآء والصيف} فقدَّم الإِيلاف تذكيراً بالنعمة.

4- التنكير في لفظة {جُوعٍ} ولفظة {خَوْفٍ} لبيان شدتهما أي جوع شديد، وخوفٍ عظيم.

* تفردها بمفردات لغوية زادت شخصيتها جمالاً وتفرداً، وهي: قريش، الشتاء، الصيف. وهو مقصود هذا البحث.

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

هذه السورة من قصار السور وموضوعها واحد، والترابط بين آياتها واضح، فقد افتتحت بـ(لإيلاف) واللام إما أنها متعلقة بما قبلها، فالمراد أن الله أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش. أو أنها متعلقة بما بعدها والمعنى: فليعبد هؤلاء ربَّ هذا البيت لأنه هو آلفهم رحلة الشتاء والصيف، وليعبدوه لأجل إيلافهم[[748]](#footnote-748). وكل هذه المعاني واردة ومحتملة.

ثم أخذ بذكر أهم النعم التي اشتهرت بها قريش وهي الرحلة في الشتاء والصيف فلم تكن لأحد من العرب غيرها[[749]](#footnote-749).

ثم ذكر المطلوب من ذكر النعم عليهم وهو عبادة الله وحده، وأضاف البيت إلى الرب لأن البيت أيضاً مما تفردت قريش بالعناية به وبرعايته، وذكر البيت الذي بناه أبوهم ابراهيم وولده اسماعيل لتذكيرهم بأنهما كانا على التوحيد.

ثم زاد في ذكر المنة عليهم وذكرهم بأن هذا الرب هو الذي يطعمهم حيث لا زاد ولا طعام في تلك البلاد القاحلة، فهو الذي يجتبي إليها ما لذ وطاب.

وهذا الرب أيضاً هو الذي آمنهم بين القبائل في رحلاتهم وفي ديارهم فلا يغار عليهم لأن العرب كانت تقول: قريش أهل بيت الله المحرم[[750]](#footnote-750).

وبذلك تنطبق خاتمة السورة على أولها فإنها بدأت بـالإيلاف واختتمت بإزالة الخوف.

وهذه النعم كلها قد تفردت بها قريش بين العرب، فكان لزاماً عليهم كما أكرمهم الله بهذه النعم أن يكونوا أسبق الناس إلى عبادته وحده.

قال الإِمام الفخر: "إِعلم أنَّ الإِنعام على قسمين: أحدهما دفع ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل، والثاني: جلب النفع وهو ما ذكره في هذه السورة، ولما دفع الله عنهم الضر، وجلب لهم النفع، وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر [ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ] {قريش:3} الآيات"[[751]](#footnote-751).

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها:**

**المفردة الأولى: قريش**

أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:

أصل مادة ق ر ش يدل على الاجتماع، وتقارشت الرماح واقترشت: تشاجرت، وفلان يقرش لعياله ويقترش ويتقرّش: يكتسب[[752]](#footnote-752).

قال ابن منظور: " والتقريش: الاكتساب. والقرش: دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها"[[753]](#footnote-753).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لا خلاف عند المفسرين في أن قريش هم حيّ من عرب الحجاز الذين هم من ذرية معد بن عدنان، وهو قبيلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه لا يقال قريشيّ إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت نحو بني هاشم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرهم[[754]](#footnote-754).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

**لماذا سميت قريش بهذا الاسم؟**

تعددت الأقوال في تعليل تسميت قريش بهذا الاسم على عدة أقوال هي:

1- سميت بذلك تشبيهاً لها بدابة البحر القرش: فعن معاوية أنه سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا؟ قال: لدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى[[755]](#footnote-755).

2- سُميت بذلك لتقرشها أي تجمعها إلى مكة من حواليها بعد تفرقها في البلاد حين غلب عليها قصي بن كلاب، وبه سمي قصي مجمعاً[[756]](#footnote-756).

3- سميت بذلك لاتجارها وتكسبها وضربها في البلاد تبتغي الرزق، فهو من التقريش أي جمع المال[[757]](#footnote-757).

4- وقيل سميت بذلك نسبة لقريش بن مخلد بن غالب بن فهر كان صاحب عيرهم فكانوا يقولون: قدمت عير قريش وخرجت عير قريش[[758]](#footnote-758).

5-وقيل سموا بذلك من الاقتراش وهو تشابك الرماح بعضها على بعض.

وأرى –والله أعلم- أن أرجح الأقوال هو القول الثاني لأسباب:

1-أن هذا التجمع من البطون في مكان واحد كان نادراً عند العرب، فكانوا هم وحدهم من يعرفون بتجمعهم حول مكة.

2- التفسير الحسي أولى من التفسير المجازي فالظاهر أنهم بعد أن تقرشوا (تجمعوا) و صار لهم قوة وسلطان صاروا يتشبهون بقرش البحر تفاخراً بين العرب، بدليل أن هذا التشبيه لم يكن يعرفه معاوية وهو قرشي.

3-أن الاتجار والتكسب كان لاحقاً لتجمعهم وتقرشهم حول مكة، وكثير من القبائل كانت تتجر وتجمع الأموال فلم تلقب بهذا الاسم.

4-أن هذا الأثر-الذي روي عن ابن عباس- ضعيف من حيث الإسناد فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير وقال الهيثمي:"وفيه من لم أعرفهم"[[759]](#footnote-759)

ولا مانع من حمل الكلمة على كل هذه التفاسير فإن قريش يصدق عليها كل هذه المعاني[[760]](#footnote-760)، فهي تجمعت حول البيت وهي قد عملت في الجمع والتكسب والتجارة، وهي قد عرفت بتقارش الرماح كناية عن قوتها في الحروب ثم شُبهت بدابة البحر التي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا يعلى عليها.

سبب إفراد قريش بالذكر:

اختصاص قريش بالذكر إما لأنهم أول من وجهت إليهم الدعوة أو لأنهم كانوا قدوة العرب بسبب جوارهم وسدانتهم للكعبة أو لأن زعماء قريش وأثرياءهم كانوا يقفون متمردين في وجه الدعوة، وممكن أن يكون كل هذا مقصود.

ما سبب التعبير بقريش؟

والتعبير بقريش، دون قومك أو عشيرتك مثلاً، دال على أنهم يغلبون كما يدل عليه الاسم، وبغير قوة كما دل ما فعل لأجلهم من قصة الفيل[[761]](#footnote-761).

وعلى ذلك فقد ذكرهم باسمهم الذين يفتخرون به ويباهون به أمام العرب دلالة على إثبات نسبهم الشريف وهذا فيه تشريف لنسب النبي صلى الله عليه وسلم. كما أن فيه ترغيباً لهم إذ ناداهم بأحب الأسماء إليهم.

كما أنه عبر بقريش لأن فيه مناسبة لمعنى الإيلاف فالتقرش هو التجمع والإيلاف هو التآلف وهو من الاجتماع[[762]](#footnote-762).

دلالة التصغير والصَّرف:

أصل "قريش" هي "قرش" و التصغير للتعظيم[[763]](#footnote-763).

وصرف المفردة دال على الحياة إشارة إلى كمال حياتهم ظاهرا وباطناً[[764]](#footnote-764).

الدلالة الصوتية للمفردة:

المادة كلها دالة على الشدة والاختلاط[[765]](#footnote-765). وهي مناسبة لشدة قريش وتجمعهم واختلاطهم حول مكة.

**المفردة الثانية: الشتاء**

**أولاً: الدلالة المعجمية:**

الشتاء من الفعل شتا يشتو وهو أحد فصول السنة قال في لسان العرب:" شَتَوَ: الشتاء، ككساء، أحد أرباع الأزمنة. والموضع المشتا والفعل شتا يشتو"[[766]](#footnote-766).

قال ابن السكيت:" السنة عند العرب اسم لاثني عشر شهرا؛ ثم قسموا السنة فجعلوها نصفين: ستة أشهر وستة أشهر، فبدؤوا بأول السنة أول الشتاء لأنه ذكر والصيف أنثى"[[767]](#footnote-767).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لا يوجد خلاف بين المفسرين في تفسير الشتاء فالشتاء هو أحد فصول السنة.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

**معنى رحلة الشتاء والصيف:**

جمهور العلماء على أن الرَّحلتين كانتا للتجارة وقيل:إن إحدى الرحلتين كانت لطلب الظل والماء كما قال ابن عباس[[768]](#footnote-768)، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف، وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانوا يشتون بمكة، ويصيفون بالطائف[[769]](#footnote-769).

قال ابن عطية: "قال ابن عباس: كانت رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى بصرى من أرض الشام. وقال أبو صالح: كانتا جميعا إلى الشام، وقال ابن عباس أيضا: كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل، ويرحلون في الشتاء إلى مكة للتجارة وسائر أغراضهم، فهاتان رحلتا الشتاء والصيف"[[770]](#footnote-770)

ما دلالة إفراد رحلة مع أنهما رحلتان؟

من دقيق التعبير القرآني أنه أفرد الرحلة في موضع التثنية لسببين:

الأول: لتشمل كل رحلة - كما هو شأن المصادر وأسماء الأجناس-، وهذا يجمع الأقوال التي قيلت في الرحلة إلى اليمن والشام والطائف وفارس.

الثاني: البشارة بأنهم يتمكنون عن قريب من الرحلة إلى أي بلد أرادوا لشمول الأمن لهم وبهم جميع الأرض بما نشره الله سبحانه وتعالى من الخير في قلوب عباده في سائر الأرض بواسطة هذا النبي الكريم[[771]](#footnote-771).

دلالة إضافة رحلة إلى الشتاء:

إضافة رحلة إلى الشتاء للدلالة على أنها رحلة معروفة معهودة وعطف الصيف عليها على تقدير مضاف لأنه لا يوجد رحلة تبتدأ في زمانين فتعين أنهما رحلتان في زمنين قال ابن عاشور:"... وظاهر الإضافة أن رحلة الشتاء والصيف معروفة معهودة وهما رحلتان "[[772]](#footnote-772).

**المفردة الثالثة: الصيف**

**أولاً: الدلالة المعجمية:**

الصيف هو أحد فصول السنة وجمعه أصياف وصيوف. ويوم صائف أي حار قال الزبيدي في تاج العروس:"الصيف: القيظ نفسه أو هو بعد الربيع الأول، وقبل القيظ، وهو أحد فصول السنة... وأصاف القوم: دخلوا في الصيف كما يقال: أشتوا: إذا دخلوا في الشتاء"[[773]](#footnote-773).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

لا يوجد خلاف بين المفسرين في أن الصيف في الآية هو أحد فصول السَّنة.

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

تحدثت في المفردة السابقة عن دلالات رحلة الشتاء والصيف وذكرت بأن جمهور العلماء يرون أن رحلة الصيف كانت إلى الشام للتجارة. وأنه عطف والصيف على تقدير مضاف، أي ورحلة الصيف، لظهور أنه لا تكون رحلة واحدة تبتدأ في زمانين فتعين أنهما رحلتان في زمنين.

لماذا قدمَّ الشتاء على الصيف؟

أرى -والله أعلم- أنه قدم الشتاء على الصيف لسببين:

الأول: لأن الشتاء يأتي أولاً في السنة.

الثاني: لمناسبة فاصلة السورة حيث تتنتهي الآيات كلها بمد لين.

هل بين الشتاء والصيف طباق؟ وما دلالته؟

يوجد بين {الشتآء.. والصيف} وبين الجوع والإِطعام {أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ} وبين الأمن والخوف {وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ} طباق، وكأن السورة تذكر لهم المتناقضات ليستدلوا على وحدانية الله وقدرته، وأنه على الرغم من الخوف والجوع والشتاء والصيف رزقهم الله الأمن والطعام والتجارة الرابحة المريحة على مدار السنة.

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية ومحور السورة واسمها**

موضوع السورة –كما أسلفنا- هو ذكر المنن التي امتن الله بها على قريش لترغيبهم في عبادة الله وحده، وقد تفردت هذه السورة بذكر ثلاث مفردات وهي: قريش، الشتاء، الصيف. وعند النظر في العلاقة بين هذه المفردات ومحور السورة يسهل علينا استخراج العلاقات ولكن بعض العلاقات يصعب علينا استخراجها.

أما المفردة الأولى "قريش" فوجه الارتباط واضح لأن السورة تتحدث عن هذه القبيلة التي امتن الله عليها فلا بدَّ إذن من ذكر اسمها والتصريح به لترغيبهم وتحبيب الدين لهم وإثبات نسبهم. وهو أسلوب من أساليب الدعوة وهو ترغيبهم ومناداتهم بأحب الأسماء لهم حتى مع الكفار.

فذكر هذا الاسم دون اسم آخر له حكمتان كما أرى:

الأولى: أن هذا الاسم فيه تعظيم وتشريف لهم لأنه تصغير"قرش" والتصغير هنا للتعظيم.

الثانية: لمناسبة الإيلاف – الذي تكرر مرتين- والإيلاف مصدر آلف وهو التآلف والاجتماع، وفيه مناسبة لمعنى التقريش وهو الاجتماع حول مكة. فالله آلفهم للسكن في ذاك الوادي الذي بلا زرع وآلف لهم رحلة الشتاء والصيف.

فالتعبير بقريش دون غيره متناسق مع ذكر المنن التي اختصوا بها، فإن في هذا التلفظ إشعار بمنة أخرى قد تكون غائبة عنهم، وهي تجميعهم وتآلفهم في مكة – على أحد المعاني-، أو ذكر قوتهم وسلطانهم فهي قبيلة تعلو ولا يعلى عليها- على معنى آخر-، أو لتذكيرهم بأن الله يسر لهم الجمع والتكسب والتجارة في البلاد – على معنى ثالث-.

ويتطابق هذا اللفظ مع اسم السورة تطابقاً كاملاً، فكأنه صار علامة بارزة للسورة من بين جميع السور، فلا يوجد عنوان مناسب لسورة تتحدث عن المنن التي امتن الله بها على قبيلة سوى اسم القبيلة نفسه الذي يتفاخرون به، والذي فيه إشارة إلى منن أخرى غير مصرح بها، فذات الاسم منة من المنن.

أما مفردتا "الشتاء والصيف" فقد تفردت بهما هذه السورة، ومصطلح "رحلة الشتاء والصيف " كان معهوداً عندهم، وهذه الرحلة مما تفردت به قبيلة قريش، فجاء هذا المصطلح "رحلة الشتاء والصيف" لتتفرد به سورة قريش كذلك[[774]](#footnote-774).

وهذا آية من آيات الإتساق والتناسب في القرآن وهو وجه من وجوه الإعجاز القرآني.

وتناسب هذين اللفظين مع اسم السورة يحتاج إلى تأمل فإن رحلة الشتاء والصيف مما اختصت به قريش، فعلى معنى أن التقريش هو الجمع والتكسب فإن التجارة لا تتم إلا بالسعي في الإتجاهات كافة و الأزمنة كلها فجاء التعبير بالشتاء والصيف للدلالة على تعدد الأزمنة والأمكنة[[775]](#footnote-775).

وعلى معنى أن التقريش هو تجمعهم حول الكعبة ففيه أيضاً مناسبة للمفردتين فكما أنه هو الذي جمعهم من البلاد وآمنهم حول بيته المحرم، فهو أيضاً الذي أعطاهم القدرة على الترحال بأمان إلى الشمال والجنوب في الشتاء والصيف، فليعبدوا هذا الرب الذي جمعهم ثم أعطاهم القدرة على السفر بين البلاد بأمان في كل فصول السنة.

وتوجد علاقة أخرى بين ذكر الشتاء والصيف وذكر الإيلاف وهي أن الله حفظهم وآمنهم على الرغم من تعدد الفصول فليعبدوا الذي حفظهم رغم تعدد الأحوال وتغيرها.

ولكني أتساءل هنا: لماذا لم يُذكر اسم فصلي السنة "الشتاء والصيف" في سور أخرى خاصة التي تتحدث عن الأحكام الفقهية أو القصص القرآني؟

أقول: أما السور التي تتحدث عن الأحكام الفقهية فلا حاجة لذكر الشتاء والصيف، لأنه لا يوجد تعلق بين الشتاء والصيف وبين الأحكام الفقهية سواء في الصلاة أو في الصيام أو في الحج، فهي عبادات لا تختلف باختلاف الفصول[[776]](#footnote-776).

أما القصص القرآني فلا ضرورة لذكر فصلي الشتاء والصيف لأن أسلوب القرآن الاقتصار على مواطن الاعتبار، ولا عبرة بذكر الشتاء والصيف إلا لحاجة، كما في سورة قريش حيث ذكّرهم بالمنن التي اختصوا بها ومنها رحلة الشتاء والصيف. والله أعلم.

ولم تُذكر هاتان المفردتان "الشتاء والصيف" إلا في سورة قريش لأن قريش هي التي اختصت من بين العرب برحلة الشتاء والصيف.

**المبحث السادس: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الكوثر وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: أسماؤها وعدد آياتها:**

سورة الكوثر: سميت هذه السورة في جميع المصاحف بهذا الاسم[[777]](#footnote-777).

وعدد آيها ثلاث بالاتفاق.

**ثانياً: وقت نزولها:**

جمهور العلماء على أنها مكية ويشهد لذلك سبب نزولها وأسلوبها وموضوعها. وعن الحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة أنها مدنية[[778]](#footnote-778).

والراجح عند جمهور العلماء أنها مكية. قال دروزة:" وقد روي أنها مدنية ومضمونها وأسلوبها يلهمان مكيتها وهو ما عليه الجمهور"[[779]](#footnote-779).

وعلى القول بأنها مكية عدوها الخامسة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة العاديات وقبل سورة التكاثر. وعلى القول بأنها مدنية فقد قيل: إنها نزلت في الحديبية[[780]](#footnote-780).

**ثالثاً: سبب نزولها:**

نزلت هذه السورة للرد على أحد الكفار حيث استهزأ بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد روي بأنه كعب بن الأشرف وروي أنه العاصي بن وائل [[781]](#footnote-781).وعن عكرمة، قال: لما أوحي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، قالت قريش: بتر محمد منا , فنزلت: [ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ] {الكوثر:3}[[782]](#footnote-782).

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها:**

في سورة الماعون وصف اللَّه الكفار والمنافقين الذين يكذبون بالدين أي بالجزاء الأخروي بأربع وذكر اللَّه تعالى في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعا للنبي - صلى الله عليه وسلم -[[783]](#footnote-783).

أما مناسبتها لما بعدها –الكافرون- فإن هذه السورة في بيان فضل النبي والرد على المشركين وفي سورة الكافرين براءة من المشركين ودينهم. فوجه المناسبة بينها وبين سورة الكافرون أنه تعالى لما قال: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ} أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون، وبالغ في ذلك فكرر، وانفصل منهم على أن لهم دينهم وله دينه[[784]](#footnote-784).

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة الكوثر**

**أولاً: موضوعها**

تحدثت السورة عن فضل الله العظيم على نبيه الكريم، بإعطائه الخير الكثير، والنعم العظيمة في الدنيا والآخرة، ومنها نهر الكوثر وغير ذلك من الخير العظيم العميم، وقد دعت الرسول إلى إدامة الصلاة، ونحر الهدي شكرا لله

وختمت السورة ببشارة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بخزي أعدائه، ووصفت مبغضيه بالذلة والحقارة، والإنقطاع من كل خير في الدنيا والآخرة، بينما ذكر الرسول مرفوع على المنائر والمنابر، واسمه الشريف على كل لسان، خالد إلى آخر الدهر والزمان[[785]](#footnote-785).

فهذه السورة تضمنت بيان نعمة الله على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإعطائه الخير الكثير، ثم الأمر بالإخلاص لله عز وجل في الصلوات والنحر، وكذلك في سائر العبادات، ثم بيان أن من أبغض الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شيئاً من شريعته فإنه هو الأقطع الذي لا خير فيه ولا بركة فيه، نسأل الله العافية والسلامة[[786]](#footnote-786).

**ثانياً: مقاصد السورة وأغراضها[[787]](#footnote-787):**

1- بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة. قال الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز:" معظم مقصود السّورة: بيان المِنَّة على سيّد المرسلين، وأَمره بالصّلاة والقُرْبان، وإِخباره بإِهلاك أَعدائه أَهل الخيبة والخذلان"[[788]](#footnote-788).

2- الأمر بشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة.

3- أن الكمال الحق هو عبادة الله وحده وذلك ما لا ما يتطاول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم من الله تعالى لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بتر لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله.

4- أن انقطاع الولد الذكر ليس بترا لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان.

5- وجوب الإخلاص في العبادات كلها لاسيما الصلاة والنحر.

6- إن مبغضي النبي - صلى الله عليه وسلم – وشريعته هم المنقطعون عن خيري الدنيا والآخرة، والذين لا يبقى لهم ذكر مسموع بعد موتهم لأنهم لم يؤمنوا برسالة الحق.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

1- هي أقصر سور القرآن من حيث عدد الكلمات وعدد الحروف، وأما في عدد الآيات فسورة العصر وسورة النصر مثلها ولكن كلماتهما أكثر.

2- هي سورة خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد قطب:"هذه السورة خالصة لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- كسورة الضحى، وسورة الشرح "[[789]](#footnote-789)

3- فاصلتها الراء وفيها الرقة واللطف والهدوء والطمانينة قال سيد قطب:" ومن ثم نزلت هذه السورة تمسح على قلبه -صلى الله عليه وسلم- بالرّوح والندى، وتقرر حقيقة الخير الباقي الممتد الذي اختاره له ربه وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه"[[790]](#footnote-790)

4- استهلت السورة بالتوكيد المقترن بضمير الجمع "نا " الدال على عظمة المتكلم وأنه متكفل بهذا الخير الكثير وأنه بنفسه يرد على شانئ حبيبه.

5- على الرغم من قلة كلماتها فقد أمرت بعمود الدين الصلاة، وفي ذلك إشارة إلى أن أطول سورة وأقصر سورة ذكَّرتا بهذا الركن العظيم، الذي هو الفيصل بين المؤمنين والمشركين.

6- اشتمالها على الحض على صحة التوحيد وصدق التوجه لله وحده: ( لربك ) ففيه معنى الربوبية والتربية فهو الذي خلقك ورباك وأعطاك.

7- اختصاصها بمفردات لم ترد إلا فيها وهي: انحر، الأبتر. مما زاد شخصيتها تميزاً وجمالاً.

8- استنبط بعض العلماء نكات عددية من كلمات السورة وضمائرها لا بأس بذكرها هنا فقد قال البقاعي:" إن هذه السورة عشر كلمات في الكتابة إشارة إلى أن تمام بتر شانئه يكون مع تمام السنة العاشرة من لهجرة، وكذا كان، لم تمض السنة الحادية عشر من الهجرة وفي جزيرة العرب إلا من يرى أشرف أحواله بذل نفسه وماله في حبه..."[[791]](#footnote-791)

**رابعاً: الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

نزلت هذه السورة لبيان الخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه لذا افتتحت بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر. والإشعار بأنه شيء عظيم يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبيء صلى الله عليه وسلم كما تقدم في إنا أنزلناه في ليلة القدر. وضمير العظمة مشعر بالامتنان بعطاء عظيم[[792]](#footnote-792).

والكوثر: اسم في اللغة للخير الكثير صيغ على زنة فوعل، والمعنى: أي منحناك الخير الكثير البالغ في الكثرة إلى النهاية أو الغاية، ومنه نهر في الجنة، جعله الله كرامة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأمته.

و كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهر الكوثر، فداوم على صلاتك شكرا لله، وأدها خالصة لوجه ربك، وانحر ذبيحتك وأضحيتك، واجتهد في العبادة والخشوع والتذلل لله وحده فإنه هو الذي تعهدك بالتربية وأسبغ عليك نعمه دون سواه.

ولما أعطاه الخير الكثير طلب منه أن يرغب إليه بالصلاة شكراً له وأن ينفق مما أعطاه على المحتاجين فينحر ما عنده من أنعام لأن النحر أفضل نفقات العرب لأن الجزور الواحد يغني مائة مسكين، وإذا أطلق العرب المال انصرف إلى الإبل.

ثم عاد ليذكر بأنه كما أعطاه الخير الكثير تكفل هو بنفسه للرد على مبغضه في كل زمان، ومعنى الأبتر في الآية الذي لا خير فيه وهو رد لقول العاصي بن وائل أو غيره في حق النبي صلى الله عليه.

فالآية الأخيرة نتيجة للأية الأولى قال البقاعي:" لأن من الكوثر علو أمره وأمر محبيه وأتباعه في ملكوت السماء والأرض ونهر الجنة وسفول شأن عدوه فيهما، فقد التف كما ترى مفصلها بموصلها، وعرف آخرها من أولها"[[793]](#footnote-793).

**المطلب الثاني: المفردات اللفظية ودلالاتها:**

**المفردة الأولى: انحر:**

**أولاً: الدلالة المعجمية:**

أصل النحر في اللغة أعلى الصدر ومنه أُخِذ النحر أي الطعن في المنحر قال في لسان العرب:" النحر: الصدر. والنحور: الصدور. ابن سيده: نحر الصدر أعلاه... ونحر البعير ينحره نحرا: طعنه في منحره حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر..."[[794]](#footnote-794)

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

وأما في التفسير فقد اختلفت أقوال المفسرين إلى عدة أقوال لا يمكن الجمع بينها لوجود اختلاف حقيقي بينها، وهي[[795]](#footnote-795):

1- النحر: هو وضع اليمين على الشمال في الصلاة.

2-وقيل: معناه وانحر البدن، فمنهم من أطلق ذلك، ومنهم من قيده بيوم النحر في الحج.

3- وقيل: أمر بأن ينتصب بنحره بإزاء القبلة وأن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً؛ وقال الفراء: معناه استقبل القبلة بنحرك. وقال ابن الأعرابي: النحرة انتصاب الرجل في الصلاة بإزاء المحراب"[[796]](#footnote-796).

فإذا كانت السورة مكية فالأرجح – فيما أرى- أن النحر هو حالة مقترنة بالصلاة لإظهار التذلل والخشوع لله تعالى وعدم الإلتفات إلى أقوالهم فهي تشمل التوجه إلى القبلة في الصلاة، وتشمل رفع اليدين إلى النحر عند التكبير، ووضع اليدين على الصدر، ورفع اليدين عند الدعاء.

وهو ما أرجحه لأسباب:

الأول: موافقة السياق حيث أمره بالصلاة وهي تتطلب الخشوع والتذلل.

الثاني: موافقة اللغة وهو ما قاله الفراء وابن الأعرابي، على خلاف قليل بينهما.

الثالث: موافقة لأقوال جماعة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم كابن عباس وعلي بن أبي طالب ومحمد بن كعب وعطاء وسليمان التيمي وأبي الأحوص والفراء وابن الأعرابي على خلاف بينهم ولكنهم اتفقوا على أنها حالة مقرونة بالصلاة.

الرابع: أن زمن نزولها كان في بداية الدعوة المكية ولم يكن زمن نحر الهدي و الجزور سواء في الحج أو في الزكاة.

وإذا كانت السورة مدنية نزلت بعد الحديبية فيحتمل أن يكون النحر هو نحر البدن والهدي والمقصود ما هو أعم من ذلك وهو إطعام الفقراء والمحتاجين والتوسعة عليهم.

ولكن يشكل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما استدلوا بهذه السورة عند صلح الحديبية وفتح الفتوحات وما قرنوا النحر في السورة بنحر الهدي والأنعام، ولكنه تفسير متأخر عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

جاءت المفردة على صيغة فعل الأمر وهو يدل على وجوب النحر لله تعالى، وتقدم الجار والمجرور ( لربك ) على الفعل تنبيهاً على ضرورة التوجه إلى الله وحده في الصلاة والنحر وفي كل العبادات. وفي تأخر الفعل فائدة أخرى هي مناسبة الفاصلة.

وقد أظهر اسم الرب مع ( انحر ) لزيادة التعظيم والهيبة وللتذكير بذكر اسم الله على الذبائح.

**المفردة الثانية: الأبتر:**

**أولاً: الدلالة المعجمية:**

أصل البتر في اللغة هو القطع والاستئصال قال ابن منظور:" بتر: البتر: استئصال الشيء قطعا. غيره: البتر قطع الذنب ونحوه إذا استأصله. بترت الشيء بترا: قطعته قبل الإتمام. والانبتار: الانقطاع"[[797]](#footnote-797).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

وأما أهل التفسير فقد ذكروا عدة تفاسير لهذه المفردة وهي تفسيرات متقاربة، وهي[[798]](#footnote-798):

1- الأبتر هو الذي لا عقب له.

2- الأبتر الذي لا ولد له.

3- المنقطع عنه كل خير.

4- الخاسر5- المعدم.

و تدور هذه الأقوال على أن الأبتر هو الأقطع والأخسر والذي لا خير فيه.

قال الراغب الأصفهاني: " البتر يقارب ما تقدم، لكن يستعمل في قطع الذنب، ثم أجري قطع العقب مجراه. فقيل: فلان أبتر: إذا لم يكن له عقب يخلفه.."[[799]](#footnote-799).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب**

1- دلالة تعريف المفردة و أسلوب القصر:

اشتمال الكلام على صيغة قصر وعلى ضمير غائب وعلى لفظ الأبتر-المعرف بأل التعريف- مؤذن بأن

المقصود به رد كلام صادر من معين، وحكاية لفظ مراد بالرد، فحصل القصر في قوله: [ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ] {الكوثر:3} لأن ضمير الفصل يفيد قصر صفة الأبتر على الموصوف وهو شانىء النبيء صلى الله عليه وسلم، قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر قلب، أي هو الأبتر لا أنت[[800]](#footnote-800).

2. الإستعارة:

فالأبتر حقيقته المقطوع بعضه وغلب على المقطوع ذنبه من الدواب ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس تشبيها بالدابة المقطوع ذنبها تشبيه معقول بمحسوس ويقال للذي لا عقب له ذكورا، هو أبتر على الاستعارة تشبيه متخيل بمحسوس شبهوه بالدابة المقطوع ذنبها لأنه قطع أثره في تخيل أهل العرف[[801]](#footnote-801).

-الدلالة الصوتية للمفردة:

تضم الكلمة على همزة قطع وعلى حرف قلقلة ويناسب ذلك معنى القطع والاستئصال. كما أن رويها حرف الراء –وهي فاصلة السورة- وفيها إيقاع صوتي (موسيقي) يوحي بالتسرية عن قلبه الشريف وتبعث فيه الهدوء والسكينة.

**المطلب الثالث: علاقة المفردات بمحور السورة واسمها**

موضوع السورة تبشير النبي صلى الله عليه وسلم بالخير الكثير في الدنيا والآخرة وتبكيت كل شانئ له عليه الصلاة والسلام، وهذا الجو يتطلب مفردات تلائم معنى التبشير والتبكيت فكانت مفردة " انحر " التي فيها نحر الأضاحي والهدي لله وحده، وهي من الخير الكثير له ولأمته، فهو خير في الشريعة لما فيها من أجر وثواب وخير في الأمور الدنيوية. وعلى المعنى الآخر فالنحر حال مقترن بالصلاة دال على وضع اليدين على الصدر أو رفع اليدين عند التكبير أو الدعاء وذلك غاية الخشوع والخضوع لله تعالى، فكأن المراد أن لا تلتفت يا محمد إلى أقوالهم وأن تنتصب لربك وتخشع له فهو مؤيدك وناصرك ومن وجد الله فماذا فقد.

وهذه الصلاة من الخير الكثير وهي منحة عظيمة لهذه الأمة تنسي الإنسان همومه وتعلقه بربه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وتتناسب هذه الكلمة مع اسماء السورة فتتناسب مع اسمها "الكوثر" لأن النحر من الخير الكثير كما وضحت آنفاً، ووتتطابق مع الاسم الآخر وهو سورة النحر، إذ تنفرد السورة بهذه المفردة وتختص بها ولذلك سميت بها عند بعض المفسرين.

وأما المفردة الثانية التي اختصت بهذه السورة فهي كلمة " الأبتر " وتعني الأقطع والأخسر أو الذي لا خير فيه، وعلى جميع هذه المعاني ترتبط المفردة مع محور السورة وجوها حيث نزلت في الرد على من نبز النبي صلى لله عليه وسلم واستهزأ به لأنه لا يعيش له ولد. فجاءت هذه المفردة بصيغة القصر للدلالة على أن شانئ النبي صلى الله عليه وسلم ومتنقصه هو الأخسر حقيقة وهو الذي لا خير فيه. وجاءت متناسبة لموضوع السورة من حيث أنها سلبت الخير عن مبغضيه وأثبتته له صلوات الله وسلامه عليه. وهذا من الخير الكثير الذي أعطيه وهو الرد على شانئيه وتبكيتهم.

وتتناسب هذه المفردة مع اسم السورة " الكوثر" فمن الخير الكثير الذي أعطيه صلى الله عليه وسلم الدفاع عنه والرد على مبغضيه واستئصالهم وقطع ذكرهم. وعلى المعنى الآخر للكوثر وهو نهر في الجنة يتناسب المعنى مع هذه المفردة إذ إن هذا النهر لا يشرب منه شانئ النبي صلى الله عليه وسلم وكاره شريعته وسنته. فمن الكوثر الذي أعطي للنبي صلى الله عليه وسلم هو حرمان مبغضه وشانئه من نهر الكوثر.

كما ظهر لي أن روي المفردتين هو حرف الراء فيه إيقاع موسيقي (صوتي) يوحي بالتسرية عن قلبه الشريف و تمسح عليه بالرّوح والندى.

وهكذا يرى الباحث أن اختصاص سورة الكوثر بهاتين المفردتين فيه فوائد وأسرار عديدة يتجلى فيها مظهر من مظاهر الإعجاز البياني، على الرغم من أنها أقصر سورة في القرآن.

**المبحث السابع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة المسد وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة**

**أولاً: اسمها وعدد آياتها:**

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف «سورة تبت». وسميت في بعض المصاحف وبعض التفاسير «سورة المسد». واقتصر في «الإتقان» على هذين الاسمين[[802]](#footnote-802).

وهي مكية بالاتفاق. وعدد آيها خمس[[803]](#footnote-803).

**ثانياً: وقت نزولها:**

عدت السادسة من السور نزولاً، نزلت بعد سورة الفاتحة وقبل سورة التكوير فقد روي أن نزولها كان في السنة الرابعة من البعثة[[804]](#footnote-804).

**ثالثاً: سبب نزولها:**

وسبب نزولها على ما في الصحيحين عن ابن عباس قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على الصفا فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد أرأيتم لو أني أخبرتكم أن العدو ممسيكم أو مصبحكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: [ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ] {المسد:1}[[805]](#footnote-805).

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

تتناسب هذه السورة مع السور التي قبلها- سورتي الكافرون والنصر- من حيث إن سورة الكافرون فرقت بين طريق المؤمنين وطريق الكافرين فكأنه قيل: إلهنا ما ثواب المطيع، وما عقاب العاصي؟ فقال: ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستيلاء في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى، كما دل عليه سورة: إذا جاء نصر الله وأما عقاب العاصي فهو الخسار في الدنيا والعقاب العظيم في العقبى، كما دلت عليه سورة: تبت ونظيره.

كما يوجد مناسبة أخرى مع سورة النصر من حيث إنَّ سورة النصر بشرت بالنصر والفتح والتمكين، ثم جاءت سورة المسد بالبشارة بإهلاك من عادى دين الله وهو من النصر والتمكين.

أما مناسبتها لسورة الإخلاص فتظهر بينهما في أن سورة المسد لما قصت علينا عداوة عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد وترد على عباد الأوثان القائلين بالثنوية وبالتثليث[[806]](#footnote-806).-

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة المسد**

**أولاً: موضوعها:**

موضوع السورة واحد وهو البت والقطع بخسران الكافر ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين[[807]](#footnote-807).

وفيها وعيد عظيم لأبي لهب وزوجه فلن ينفعه المال والجاه، ولا السلطان.

**ثانياً: مقاصدها وأغراضها:**

بعد قراءتي للتفاسير التي تناولت مقاصد السورة يمكنني أن أستخلص هذه المقاصد وهي:

1- الإنذار بإهلاك من يعادي الدين والدفاع عن سيد المرسلين. قال الفيروزآبادي: "مقصود السورة تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض، وضياع كسبه وأمره، وبيان ابتلائه يوم القيامة، وذمّ زوجه في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان ما هو مدّخر لها من سوء العاقبة"[[808]](#footnote-808).

2- عدم انتفاع الإنسان بقرابته ونسبه وماله وولده إذا كفر بالله.

3- لا فرق بين الذكر والأنثى في التكليف والثواب والعقاب.

4- إظهار وجه من أوجه الإعجاز القرآني وهو الإخبار بالغيب، إذ بشرت السورة بهلاك أبي لهب وعدم انتفاعه بأولاده وماله.

5- السخرية والتوبيخ في مقابلة من حارب الإسلام واستهزأ بالنبي صلى الله عليه وسلم.

6- بعث الناس على الحال الذي كانوا عليه في الدنيا.

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

1- هذه السورة مكية لذا تمتاز بقصر الآيات وتواليها وهو ملائم لجو الإنذار والتخويف.

2- امتازت السورة من حيث المضمون باختصاصها بذكر أبي لهب وامرأته وتحقيرهما.

3- جاءت هذه السورة في آخر المصحف للتذكير بأن من يعادي هذا الكتاب سيكون حاله كحال أبي لهب.

4- قوة الإيقاع الصوتي (الموسيقي) المناسب لقوة الإنذار والتباب والنار والحطب والمسد. قال سيد قطب:" فيلتقي تناسق الجرس الموسيقي، مع حركة العمل الصوتية، بتناسق الصور في جزئياتها المتناسقة، بتناسق الجناس اللفظي ومراعاة النظير في التعبير، ويتسق مع جو السورة وسبب النزول. ويتم هذا كله في خمس فقرات قصار، وفي سورة من أقصر سور القرآن هذا التناسق القوي في التعبير جعل أم جميل تحسب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد هجاها بشعر"[[809]](#footnote-809).

5- لم تفتتح بـ (قل) خلافاً لسورة الكافرون والإخلاص دلالة على أن الذي ينتصر للنبي هو الله تعالى وليكون أقرب إلى التخويف ولما في ذلك من الأدب.

6- ظهر في هذه السورة وجه من أوجه الإعجاز القرآني[[810]](#footnote-810). قال في تكملة أضواء البيان:" فهو ممن حقت عليهم كلمات ربك لييأس صلى الله عليه وسلم، والمسلمون من إسلامه. وتنقطع الملاطفة معه، والله تعالى أعلم. وقد وقع ما أخبر الله به، فهو من إعجاز القرآن أن وقع ما أخبر به كما أخبر ولم يتخلف. وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا "[[811]](#footnote-811).

7- فاصلة السورة حرفا الباء والدال وهما من حروف القلقة وهذا يشعر بالشدة والغلظة.

8- براعة استهلال السورة حيث افتتحت بالتباب وذلك مشعر بأنها نزلت للتوبيخ والوعيد. قال ابن عاشور:" افتتاح السورة بالتباب مشعر بأنها نزلت لتوبيخ ووعيد، فذلك براعة استهلال مثل ما تفتتح أشعار الهجاء بما يؤذن بالذم والشتم"[[812]](#footnote-812).

10- التناسق في اللفظ والصورة مع جو السورة قال سيد قطب:" وفي الأداء التعبيري للسورة تناسق دقيق ملحوظ مع موضوعها وجوها...تناسق في اللفظ، وتناسق في الصورة...وتناسق من لون آخر. في جرس الكلمات، مع الصوت الذي يحدثه شد أحمال الحطب وجذب العنق بحبل من مسد"[[813]](#footnote-813).

11- ظهور أسلوب السخرية والتقبيح قال سيد قطب: "ولكن الصورة الزرية المثيرة للسخرية التي شاعت في آياتها، قد سجلت في الكتاب الخالد..."[[814]](#footnote-814)..

12- وجود أسلوب التوكيد بتكرار اللفظ.

13- تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من أساليب البلاغة نوجزها فيما يلي[[815]](#footnote-815):

1 - المجاز[[816]](#footnote-816) المرسل{يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} أطلق الجزء وأراد الكل أي هلك أبو لهب.

2 - الجناس بين {أَبِي لَهَبٍ} وبين {نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ} فالأول كنية والثاني وصف للنار.

3 - الاستعارة اللطيفة {حَمَّالَةَ الحطب} مستعار للنميمة وهي استعارة مشهورة.

14- تفردت السورة بمفردتين هما: جيدها، مسد. ولذلك دلالات كما سيأتي بإذن الله.

**رابعاً:الترابط المعنوي بين أجزاء السورة:**

يمكنني تقسيم السورة - على صغرها- إلى جزءين فالجزء الأول مختص بذكر أبي لهب والثاني يتحدث عن امرأته ولا يخفى ما بين الجزئين من ارتباط واتصال إذ أنهما اشتركا في محاربة الدعوة.

افتتحت السورة بذكر الهلاك والخسران وجاء بالفعل الماضي "تبت " دلالة على أن الأمر قد قضى بذلك وفرغ منه فلا بد من كونه ولا محيص عنه.

ولما كانت اليد محل قدرة الإنسان، فإذا اختلت اختل أمره، فكيف إذا حصل الخلل في يديه جميعاً، قال مشيراً بالتثنية إلى عموم هلاكه بأن قوته لم تغن عنه شيئاً، وأكد على خسرانه وهلاكه بيديه وبنفسه فأعاد الإخبار "وتبَّ".

ثم عقب بعد ذكر هلاك يديه وأن قوته بنفسه لا تغني عنه شيئاً، بما يدل على أنه لن ينفعه ماله وولده وسلطانه.

وجاء بالكنية وإن كان يؤتى بها غالباً للتشريف لمطابقة اسمه لحاله، ومجانسته الموجبة لعظيم نكاله: {يدا أبي لهب} فلا قدرة له على إعطاء ولا منع[[817]](#footnote-817).

و كني بهذا لإشراق وجهه وتوقد وجنتيه، ولأنها أشهر، فالبيان بها أقوى وأظهر، والتعبير بها - مع كونه أوضح - أقعد في قول التي هي أحسن. لأن اسمه عبد العزى وهو قبيح موجب للعدول عنه غيرة على العبودية أن تضاف إلى غير مستحقها. وجاء بهذه الكنية لمجانسة ذكر النار ذات اللهب[[818]](#footnote-818).

ثم زاد في توبيخه وتخويفه بأنه سيخسر الآخرة كما خسر الدنيا فكما أنه أحرق قلوب أولياء الله عوقب بالنار التي لا تنطفئ.

ثم جاء بالوعيد لامرأته التي شاركته في محاربة الدعوة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرها بما فيه إشهار لها لزيادة التوبيخ والتحقير إذ إن العرب تحرص على ستر حريمها وفي ذلك زيادة تنكيل بزوجها، وذكرٌ لها بما هو أشهر أعمالها في محاربة الدين.

واشتق لها جزاء من جنس عملها في الدنيا فقد كانت تأتي بأغصان الشوك تطرحها بالليل في طريق رسول الله صلّى الله عليه وسلم. وروي عن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل. وعن مجاهد أنها كانت تمشي بالنميمة. وروي عن ابن عباس والسدي[[819]](#footnote-819).

قال الآلوسي:" والظاهر أن الحطب عليه مستعار للخطايا بجامع أن كلّا منهما مبدأ للإحراق... فيقال لمن يمشي بها يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر، فالحطب مستعار للنميمة وهي استعارة مشهورة "[[820]](#footnote-820).

وقد رجع آخرها على أولها، فإن من كانت امرأته مصورة بصورة حطابة على ظهرها حزمة حطب معلق حبلها في جيدها فهو في غاية الحقارة، والتباب والخساسة والخسارة.

وبذلك تتحد أجزاء السورة من أولها إلى آخرها، وتشكل حلقة واحدة متشابكة.

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها**

**المفردة الأولى: جيدها**

**أولاً:الدلالة المعجمية للجذر:**

الجيد العنق قال الزبيدي في تاج العروس:" الجيد، بالكسر: العنق... وهي جيداء: طويلة العنق حسنته، لا ينعت به الرجل"[[821]](#footnote-821).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

قال ابن عاشور:" الجيد: العنق، وغلب في الاستعمال على عنق المرأة وعلى محل القلادة منه فقل أن يذكر العنق في وصف النساء في الشعر العربي إلا إذا كان عنقا موصوفا"[[822]](#footnote-822)..

وقال السهيلي في: "والمعروف أن يذكر العنق إذا ذكر الحلي أو الحسن فإنما حسن هنا ذكر الجيد في حكم البلاغة لأنها امرأة والنساء تحلي أجيادهن وأم جميل لا حلي لها في الآخرة إلا الحبل المجعول في عنقها فلما أقيم لها ذلك مقام الحلي ذكر الجيد معه"[[823]](#footnote-823).اهـ.

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

لماذا قال جيدها ولم يقل عنقها؟

المعروف أن يذكر العنق مع الغل ونحوه مما فيه امتهان والجيد مع الحلي وأما هنا فللتهكم والسخرية أي لا جيد لها فيحلى، ولو كان لكانت حليته هذا المسد[[824]](#footnote-824).

ما دلالة تقديم الخبر "في جيدها" على المبتدأ؟

لعل في ذلك إشارة إلى شدة ما سيلحق بها من عذاب فقدم العضو الذي سيعذب أولاً وهو الرقبة وهو موضع الاستكبار والعلو، وفيه مزيد ترهيب.

**المفردة الثانية: المسد:**

**أولاً: الدلالة المعجمية للجذر:**

المسد مصدر من مسد الحبل يمسده مسدا، وقد ذكر أهل اللغة عدة معان متقاربة للمسد وهي[[825]](#footnote-825):

* المسد حبل من ليف أو خوص أو صوف أو وبر الإبر أو جلود الأبل أو من جريد النخل أو من حديد
* المسد هو اسم للفتل نفسه.
* المسد هو محور البكرة – أي مرود البكرة الذي تدور عليه- اذا كان من حديد

قال ابن منظور:".وقيل: هو الحبل المضفور المحكم الفتل من جميع ذلك"[[826]](#footnote-826)

قال الفيروزآبادي:" ودلَّ قوله تعالى: [ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ] {المسد:5} أَنَّ السلسلة التى ذكرها الله تعالى فُتلت من الحديد فتلاً محكما، كأَنه جُعل فى جِيدها حبل حديد قد لُوى ليًّا شديدًا"[[827]](#footnote-827).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

ولم يخرج المفسرون عن هذه المعاني التي ذكرها أهل اللغة، وأكثرهم جمع بين هذه المعاني[[828]](#footnote-828).

ولكني أرى أن السورة نزلت بأشد أساليب الوعيد والإنذار ولا يناسب ذلك أن يكون الحبل من الجلود أو الصوف بل يناسبه أن يكون من مادة قاسية غليظة كالحديد أو الجريد مثلاً – إذا كان المقصود ذكر حالها في الآخرة - والله أعلم.

**ثالثاً: دلالة الصيغة والأسلوب:**

**ما دلالة هذه الصيغة؟ وما الأساليب البلاغية المتعلقة بهذه الجملة؟**

المجاز في الآية: يحتمل أن يكون المقصود من المسد هو الحبل حقيقة الذي ربطت به الشوك وحطبه وهو ما ذهب إليه ابن عباس والضحاك والسدي وابن زيد[[829]](#footnote-829).

ويحتمل أن يكون في الآية استعارة والمعنى أنها تكون في جهنم على هذه الحالة قال الزمخشري:" يحتمل أن يكون المعنى تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه، وعليه فالحبل مستعار للسلسلة وروي هذا عن عروة بن الزبير ومجاهد وسفيان"[[830]](#footnote-830).

**الدلالة الصوتية لمفردة " مسد ":**

في هذه الكلمة حرف قلقلة وهو حرف فيه شدة وحرف سين يوحي بصوت النَّفَس عند التفاف الحبل حول الرقبة، ويظهر لي في هذه المفردة مشابهة صوتية من كلمة "السد" وكأنها توحي بأنه حبل طويل يسد على المربوط به كل المنافذ وهو مناسب لما كانت تقوم به من سد الطرق والأبواب في وجه الدعوة الإسلامية. وهي كلمة تناسب جو السورة ومحورها أكثر من كلمة الليف أو الحديد أو الجريد.

**المطلب الثالث: علاقة المفردات بمحور السورة واسمها**

إن الناظر في هذه السورة يجد أنها تتحدث عن موضوع واحد وهو الوعيد لأبي لهب وامرأته، والمفردتان اللتان انفردتا في السورة هما:

جيدها، مسد.

وهما يرتبطان بصورة مباشرة بهذا الموضوع، فكلمة " جيدها " يقصد بها عنق زوجة أبي لهب التي تشاركت معه في مناوءة الدعوة وبغض النبي صلى الله عليه وسلم وكانت في سبيل ذلك تحمل الحطب وتربطه بهذا الحبل الذي يكون في عنقها، فجاء وصفها بذلك تحقيراً لها ولأن جزاءها سيكون من جنس عملها.

ولم يأت بكلمة "عنق" امتهاناً وتهكماً بها. و تم تقديم الخبر "في جيدها" للاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عوضت فيها بحبل في جيدها عن العقد الذي كانت تحلي به جيدها في الدنيا فتربط به إذ قد كانت هي وزوجها من أهل الثراء وسادة أهل البطحاء.

وهذه المفردة مناسبة لأحد أسماء السورة:"سورة أبي لهب " لأنها تصف عنق امرأة أبي لهب، ومناسبة لاسمها الآخر" المسد " لأن العنق هي التي يلف حولها المسد.

أما مفردة " مسد " فلم ترد إلا في هذه السورة المشهورة بأقسى أنواع الوعيد والتخويف وهذه الكلمة مناسبة للوعيد والإنذار، فالمسد حبل مفتول فتلاً شديداً من حديد أو جريد أو من أي مادة كانت، يكبل به المحارب للدين جزاء لما عمله في الدنيا. وفي هذه المفردة مشابهة صوتية لكلمة "السد" وكأنها توحي بأنه حبل طويل يسد على المربوط به كل المنافذ وهو مناسب لما كانت تقوم به من سد الطرق والأبواب في وجه الدعوة الإسلامية. وهي كلمة تناسب جو السورة ومحورها أكثر من كلمة الليف أو الحديد أو الجريد.

وتتطابق هذه المفردة تطابقاً كلياً مع اسم السورة، وكأنَّه نُظِرَ في عنوان السورة الى ما اختصت به من مفردات.

وتتناسب أيضاً مع أسمائها الأخرى: تبت، أبي لهب، من حيث إنها مناسبة لجو الوعيد والإنذار والتخويف.

وهكذا نرى أن هاتين المفردتين تناسبتا مع جو السورة وموضوعها واسمها تناسباً قوياً مما زاد موضوع السورة تميزاً، وأعطى لشخصيتها خصوصية.

**المبحث الثامن: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الإخلاص وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: اسمها وعدد آياتها:**

بلغ عدد الأسماء التوقيفية والاجتهادية لهذه السورة ثلاثا وعشرين اسماً و المشهور في تسميتها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تسميتها «سورة قل هو الله أحد»[[831]](#footnote-831).

وسميت في أكثر المصاحف وفي معظم التفاسير وفي «جامع الترمذي»: «سورة الإخلاص»[[832]](#footnote-832) وذكر السيوطي في «الإتقان» أنها تسمى «سورة الأساس» لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الإسلام[[833]](#footnote-833).

ومن أسمائها الاجتهادية التي ذكرها الرازي: الصمد (لأن هذا اللفظ خص بها)، والبراءة (لأنها تبرئ من الشرك)، والنور (لما روي: أن نور القرآن قل هو الله أحد)، والأمان (لأن من اعتقد ما فيها أمن من العذاب) والتوحيد والأساس[[834]](#footnote-834). وعدد آياتها أربع آيات[[835]](#footnote-835).

**ثانياً: وقت نزولها وسببه**

ذهب الجمهور إلى أنها مكية بناء على ما رواه الترمذي عن أبي بن كعب: «أن قريشا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: «انسب لنا ربك» فنزلت قل هو الله أحد إلى آخرها»[[836]](#footnote-836) فتكون مكية. وقال قتادة والضحاك والسدي وأبو العالية والقرظي: هي مدنية[[837]](#footnote-837).

والظاهر أنها مكية لأنها مناسبة للسور المكية في موضوعها وأسلوبها حيث تناولت موضوع التوحيد وهو أساس الدين ومن حيث الأسلوب امتازت بالقصر والجرس الصوتي القوي قال ابن عاشور:"والصحيح أنها مكية فإنها جمعت أصل التوحيد وهو الأكثر فيما نزل من القرآن بمكة "[[838]](#footnote-838).

وفيمن نزلت فيهم ثلاثة أقوال هي: أنها نزلت بسبب المشركين أو اليهود أو النصارى[[839]](#footnote-839).

أما ترتيب نزولها: فهي السورة الثانية والعشرون في عداد نزول السور. وقد نزلت سورة الإخلاص، بعد سورة الناس[[840]](#footnote-840).

**ثالثاً: فضائلها:**

الأحاديث في فضائلها كثيرة وقد صح أنها تعدل ثلث القرآن. وورد أن من أحبَّ القراءةَ بها أحبَّه اللهُ، وأنها صفةُ الرحمن[[841]](#footnote-841).

**رابعاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

- المناسبة بينها وبين سورة المسد:

تظهر المناسبة بينهما في أن سورة المسد لما قصت علينا عداوة عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد وترد على عباد الأوثان القائلين بالثنوية وبالتثليث

- مناسبتها لما بعدها:

لما عُلم أنه بالإخلاص تمام العلم وظهور الدين كان التمام مؤذناً بالنقصان، جاءت المعوذتان لدفع شر ذلك، قال البقاعي:" وفي ذلك لطيفة أخرى عظيمة جداً، وهي أنه لما علم بالإخلاص تمام العلم وظهور الدين على هذا الوجه الأعظم، فحصل بذلك غاية السرور، وكان التمام في هذه الدار مؤذناً بالنقصان، جاءت المعوذتان لدفع شر ذلك"[[842]](#footnote-842).

ويظهر لي مناسبة أخرى بين الإخلاص والمعوذتين وهي أن الإخلاص لما بيَّنت أنه وحدَه الذي تطلب منه الحوائج جاءت المعوذتان لإرشادنا إلى الاستعانة به تعالى عند حلول الشرور كالسحر والحسد والوساوس. وبذلك تكون الإخلاص قد بينت التوحيد العلمي –توحيد الألوهية- وتكون المعوذتان قد جاءتا لبيان التوحيد العملي -توحيد الربوبية- عند نزول الشرور بالإنسان.

- مناسبتها لآخر المصحف:

وجود سورة الإخلاص في هذا الموضع من بديع ترتيب السور في المصحف الشريف، إذ لما انقضت موضوعات القرآن المتعددة عاد ليذكر بصفات الله وتنزيهه عما يجول في عقول بعض البشر، فكانت هذه السورة الوجيزة كخاتمة للقرآن مذكرة بأهم مقاصده وموضوعاته.

**المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة:**

**أولاً: موضوعها:**

إن موضوع السورة واحد وواضح -وذلك لقصرها- ويمكن معرفة ذلك من خلال أسماء السورة: الإخلاص، التوحيد، الصمد، الأساس.

فموضوعها هو التوحيد والتنزيه لإخراج البشر من الشرك والتشبيه، ولهذا ورد في الحديث أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن، لاشتمالها على التوحيد وهو أصل أصول الإسلام[[843]](#footnote-843)

**ثانياً: مقاصد السورة وأغراضها:**

الإخلاص مشتملة على معرفة الله تعالى، فكانت ثلث القرآن[[844]](#footnote-844)، وقد ذكر المفسرون لهذه السورة عدة مقاصد وأغراض منها[[845]](#footnote-845):

1- إثبات وحدانية الله تعالى.

2- أن لا يقصد في الحوائج غير الله

3-تنزيهه عن سمات المحدثات وعن مشابهة المخلوقات.

4- وإبطال أن يكون له ابن.

ومن أغراض هذه السورة أنها نزلت لتكون منهج كامل للحياة قال سيد قطب:" من هنا ينبثق منهج كامل للحياة، قائم على ذلك التفسير وما يشيعه في النفس من تصورات ومشاعر واتجاهات"[[846]](#footnote-846).

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

من خلال قراءتي للتّفاسير استخلصت مميّزات عديدة لهذه السّورة من حيث المضمون والأسلوب:

1. قصرها ووجازتها لتكون أسهل في الحفظ.

2. التّقرير و التّوكيد لتكون أوقع وأبلغ في ذهن السّامع. حيث بدأت بـ "قل" ثمّ جملة اسمية ثمّ بتكرار لفظ الجلالة: "الله الصّمد" ثم بالنفي المتكرر.

3. شمولها على موضوع واحد فقط هو التّوحيد الذي هو أساس الإيمان.

4. معالجة السّورة لهذا الموضوع من كافة جوانبه من حيث النّفي والإثبات والرّدّ على معتقدات المشركين واليهود والنّصارى.

5. فاصلة السّورة حرف الدّال، وهو من حروف القلقلة، وهو حرف فيه قوة وشدّة وهذا يناسب شخصيّة السّورة – صوتياً – حيث تعالج موضوعاً جللاً هو أهمّ موضوعات الدّين ولا يناسبه حروف الرّخاوة واللّين.

6- تتكون السورة من مقطعين قصيرين الأول قائم على الإثبات، والثاني قائم على النفي، لأن التوحيد يقتضي الاثبات والنفي وفي ذلك شبه من كلمة التوحيد.

7- جزالة حروفها ملائمة لموضوعها الهام: حيث نلاحظ أنّ السّورةَ على وجازتها تشتمل على حروف عدة من حروف الاستعلاء والقلقلة والشّدّة كالقاف والصاد والدال المكرّرة في أواخر الايات.

وتشتمل على عدة حروف حلقية كالهمزة والهاء والحاء وهي من حروف الإظهار إشارة إلى أهمية الموضوع وعمقه وظهوره.

كما ظهر للباحث أن لفظة "الصمد" سيقت في سياق إثبات الكمال لله تعالى فناسبها حروف الاستعلاء والقلقلة، ولفظة "كفواً" وضعت في سياق نفي الشريك والمساوي فناسبها حروف فيها استفالة وضعف –وسأتحدث عن ذلك في بحث المفردات-

8- وجود أساليب بلاغيّة تقوّي المحور العام للسّورة، وتزيد شخصيتها تفرّدا وبهاء، ومن هذه الأساليب:

1- أسلوب القصر في: [ﭖ ﭗ ﭘ ] {الإخلاص:2} لقصر معنى الصّمديّة عليه وحده سبحانه فلا تطلب الحوائج من أحد سواه.

2- التّقديم و التأخير في: [ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ] {الإخلاص:4} حيث تقدّم خبر كان ( كفوا ) على اسمها ليكون أقرب إلى النّفي و أبلغ في التّنزيه وتأخر اسمها لمناسبة الفاصلة، ولإبعاده عن النفس، إذ لا يتصور أن يكون له أحد في مساواته ونديته.

3- الانفصال وعدم الاتّصال في: (الله الصمد) حيث لم تعطف على الجملة السّابقة، لزيادة التّوكيد والتّقرير حتى تكون على سبيل التلقين والتعليم.

4- الجمل الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار:: ( هو الله أحد، الله الصمد) حيث يدلّ هذا الأسلوب على ثبوت هذه الأوصاف له سبحانه وتعالى وعدم تجددها أو تغيرها.

5-تكرر النفي الجازم بـ "لم" وهو حرف نفي وجزم وقلب ([ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ] {الإخلاص:3}، [ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ] {الإخلاص:4} دلالة على قوة النفي وقلب المعاني التي يعتقدها المشركون.

6- تكرار لفظ الجلالة ولفظ أحد، على وجازتها لتكون شعاراً للمسلم: الله أحد. أو: أحد أحد. وتكرار لفظ الجلالة وعدم إضماره له حكمة وهي زيادة تعظيمه وإجلاله في النّفوس، بخلاف قوله (وهو الصّمد)

* وآخر ما تميزت به السورة هو تفردها بمفردات لم ترد من حيث الجذر والاشتقاق إلا فيها، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوعها ومقاصدها – وهذا محور بحثي -

**رابعاً: أوجه الترابط المعنوي بين أجزاء السورة**

يتجلى الترابط المعنوي في هذه السورة بصورة كبيرة، حيث تترتب الآيات والكلمات على بعضها ليكتمل المعنى الحقيقي للتوحيد والاخلاص في نفس القارئ[[847]](#footnote-847).

فقد افتتحت السورة بذكر اسم الرب الواجب التوجه إليه فقال:" قل هو الله " فبين اسمه وأنه واحد، ثم أخذ يعدد صفاته المستلزمة لألوهيته فذكر أنه أحد أي غير متركب من أجزاء فكان هذا أهم ما يقتضيه التوحيد بعد إثبات الألوهية.

ثم لما بين أنه واحد وغير مركب بيَّن ما يتم به كمال وحدانيته من حيث إنه المعطي والمفيض على كل الموجودات وأن جميع المخلوقات تصمد إليه وتطلب الحوائج منه وحده وأنه الكامل الذي لا تعتريه الآفات وأنه القاهر فوق عباده وأنه المستغني عن العالمين وكل هذه المعاني متضمنة لكلمة "الصمد" وجاءت بصيغة القصر لقصر معناها عليه وحده.

ولما بين أنه صمد أتبع ذلك نفي لما قد يتبادر إلى الذهن – على أحد معاني الصمد- من أنه لا جوف له، فنفى أن يتولد منه شيء، ونفى أن يكون هو متولداً من شيء وهو ما فيه توكيد للمعنى الثاني للصمدية حيث هو الغني عن الكل، والكل مصمود إليه، فلا يحتاج إلى غيره في إيجاده بل هو السبب في إيجاد الكل والإفاضة عليه فهو القديم الذي لا أول له، وقد "لم يلد " على "لم يولد" لأن اعتقاد أن لله ولد أشهر فقدم في النفي ما هو أهم أكثر ذيوعاً.

فترابط هذه الآية بما سبقها ظاهر وقويّ لأنّه لو تولّد عن غيره لم يصح أن يكون أحدا ولا صمدا، ومن لم يصحّ أن يتولد عن غيره لا يصحّ أن يتولد عنه غيره، ومن كان كذلك لم يكن له مثيل أو شبيه فانتفى أن يساويه شيء في قوته وجوده إفاضته، أو أن يساويه أحد في جنسه ووصفه، وهذا كمال التّوحيد.

فمن أوّل السّورة إلى آخرها في بيان حقيقة التّوحيد ولوازمه الأقرب فالأقرب. قال البقاعي: "فمن أول السورة إلى آخر الأسماء في بيان حقيقته سبحانه وتعالى ولوازمها الأقرب فالأقرب ووحدتها بكل اعتبار "[[848]](#footnote-848).

والسّورة تترتب فيها الآيات ترتيبا متسلسلا. ومن أوجه الترابط في السورة انطباق آخرها على أولها من حيث اللفظ والمعنى، فمن حيث اللفظ فإن مطلعها أحد و آخرها أحد.

ومن حيث المعنى فإن آخر السّورة نتيجة لمطلعها، قال البقاعي:" فقد بين آخر السورة الذي هو نتيجتها ورد مقطعها على مطلعها أنه أحد حاضر في كل زمن لا يغيب أصلاً..."[[849]](#footnote-849)

ومن أوجه الوحدة المضوعية للسورة أن كل آية فيها نفي للاعتقادات الباطلة فيه سبحانه[[850]](#footnote-850).

وعلى ذلك نرى أن ارتباط أجزاء هذه السّورة ببعضها ارتباط جلي وظاهر، ولا نجد كلمة تشذ في معناها أو موضوعها عن مقصود السّورة ومحورها.

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها:**

**المفردة الأولى: الصَّمد:**

**أولاً: الدلالة المعجمية لكلمة "الصمد"**

الصمْد بسكون الميم هو القصد، صمده وصمد إليه قصده. قال الزبيدي في تاج العروس:" و الصَّمَد: السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر. وهو من صفاته تعالى وتقدس، لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره. وقيل: الذي يصمد إليه في الحوائج"[[851]](#footnote-851)

وقال ابن قتيبة في غريب القرآن:" الصَّمَدُ: السّيد الذي قد انتهى سؤدده، لأن الناس يصمدونه في حوائجهم...قال عكرمة ومجاهد: هو الذي لا جوف له. وهو- على هذا التفسير- كأن الدال فيه مبدلة من تاء"[[852]](#footnote-852).

والفرق بين السيد والصمد هو أن الصمد أبلغ من السيد قال أبو هلال العسكري:" أن السيد المالك لتدبير السواد وهو الجمع... وقولنا الصمد يقتضي القوة على الأمور وأصله من الصمد وهو الأرض الصلبة... وكيفما كان فإنه أبلغ من السيد"[[853]](#footnote-853)

**ثانياً: أقوال المفسرين في "الصمد":**

تعددت أقوال المفسرين في تفسير الصمد،والظاهر أنها كلها ترجع إلى معنى واحد وهو إثبات الكمال لله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فليس بينها خلاف حقيقي قال ابن عاشور:" فالصمد من الأسماء التسعة والتسعين في حديث أبي هريرة عند الترمذي. ومعناه: المفتقر إليه كل ما عداه، فالمعدوم مفتقر وجوده إليه والموجود مفتقر في شؤونه إليه. وقد كثرت عبارات المفسرين من السلف في معنى الصمد، وكلها مندرجة تحت هذا المعنى الجامع"[[854]](#footnote-854).

وهذه الأقوال كلها تدور على إثبات الكمال والتنزيه له سبحانه وتعالى ولكن يرى أبو حيان أن بعضها لا تساعد عليه اللغة قال أبو حيان:" وفي كتاب التحرير أقوال غير هذه لا تساعد عليها اللغة "[[855]](#footnote-855)

ثم نقل عن ابن الانباري إجماع أهل اللغة بأن الصمد هو السيد المقصود في الحوائج لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد هو السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم "[[856]](#footnote-856).

وإذا صح أن أجمع هذه الأقوال في قولين معتبرين فيمكن أن يكون القولان هما:

الأول: الصمد هو السَّيِّدُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ، الَّذِي يَصْمِدُ إِلَيْهِ النَّاس فِي أُمُورِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ.

الثاني: هو الذي لا جوف له. وهذان المعنيان جامعان لكل التفاسير كما رأى البقاعي حيث قال:" وهذان التفسيران الأول والثاني جامعان لجميع ما فسر به ولما عسى أن يقال فيه سبحانه من صفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال، فمن كان مصموداً إليه في جميع الحاجات ومتعالياً عن كل سمت حدث وشائبة نقص كان موجداً لكل ما يريد من نفع وضر ونافع وضار قادراً على حفظ ما يريد"[[857]](#footnote-857)

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

لماذا جاءت هذه المفردة على هذا الوزن؟

جاءت هذه المفردة اسماً لا فعلاً للدلالة على ثبوت هذا الوصف له سبحانه دائماً وعدم تجدده وتغيره ولأنه لا يمكن لأحد مضارعته ومشابهته قال البقاعي: "بني على هذا الوزن لأنه لا تلحقه المضارعة ولا تدن منه المشابهة لأنه اسم خاص فهو السيد المصمود إليه"[[858]](#footnote-858).

وهي على وزن فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ صَمَدَ إِلَيْهِ إِذَا قَصَدَهُ[[859]](#footnote-859).

لم جاءت هذه المفردة معرفة؟

جاءت هذه المفردة بصيغة التعريف لأن ذلك معلوم عند أكثر الخلق ولإفادة اختصاص وصف الصمدية لله تعالى قال الرازي:" وأما الصمد فهو الذي يكون مصمودا إليه في الحوائج، وهذا كان معلوما للعرب بل لأكثر الخلق على ما قال: ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله [الزخرف: 87]"[[860]](#footnote-860).

ما الدلالة الصوتية للمفردة؟ وما علاقتها بالجو العام للسورة؟

هذه المفردة احتوت على حرف من حروف الاستعلاء وهو الصاد مشدداً وحرف من حروف القلقلة وهو حرف الدال وهذه حروف من حروف الشدة والقوة وتناسب جو السورة ومحورها الذي يدور حول صفات الله تعالى والرد على المشركين، كما تناسب مقطع الإثبات المبني على الجزالة.

الأساليب البلاغية المتعلقة بالآية، وما دلالة صيغة جملة " الله الصمد "؟

في هذه الجملة عدة أساليب بلاغية فقد جاءت الجملة الثانية مفصولة عن الجملة الأولى لأن كل جملة مستقلة بذاتها مسوقة لتلقين السامعين وتوكيد المعاني قال ابن عاشور:" الله الصمد: جملة ثانية محكية بالقول المحكية به جملة: الله أحد، فهي خبر ثان عن الضمير. والخبر المتعدد يجوز عطفه وفصله، وإنما فصلت عن التي قبلها لأن هذه الجملة مسوقة لتلقين السامعين فكانت جديرة بأن تكون كل جملة مستقلة بذاتها غير ملحقة بالتي قبلها بالعطف، على طريقة إلقاء المسائل على المتعلم "[[861]](#footnote-861)

ما دلالة هذا الأسلوب "الله الصمد"؟ يسمى هذا الأسلوب أسلوب القصر ويفيد قصر صفة الصمدية على الله تعالى وحده فلا يُفزع إلا إليه تعالى.

واقترن لفظ الصمد بلفظ الجلالة ( الله الصمد ) لزيادة التعظيم ولمناسبة التعريف في "الصمد" والتكرار يفيد التعظيم.

**المفردة الثانية: كفواً**

**أولاً: الدلالة المعجمية لكلمة "كفواً":**

الكفء هو المثيل والنظير قال ابن منظور:" كفأ: كافأه على الشيء مكافأة وكفاء: جازاه.... والكفيء: النظير، وكذلك الكفء والكفوء، على فعل وفعول... والكفء: النظير والمساوي."[[862]](#footnote-862)

قال الراغب:" الكفء: في المنزلة والقدر...ومنه:المكافأة. أي: المساواة والمقابلة في الفعل، وفلان كفؤ لك في المضادة.."[[863]](#footnote-863)

**ثانياً: أقوال المفسرين في تفسير "كفوا":**

تعددت أقوال المفسرين في تفسير الكفؤ ولا خلاف حقيقي بينهم فأقوالهم تدور على أن الكفؤ هو المثيل أو المساوي وهو منفي عن الله تعالى.

وللمفسرين فيه أقاويل:

أحدها: قال كعب وعطاء: لم يكن له مثل ولا عديل، ومنه المكافأة في الجزاء لأنه يعطيه ما يساوي ما أعطاه[[864]](#footnote-864).

وثانيها: قال مجاهد: لم يكن له صاحبة كأنه سبحانه وتعالى قال: لم يكن أحد كفؤا له فيصاهره، ردا على من حكى الله عنه قوله: وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا [الصافات: 158] فتفسير هذه الآية كالتأكيد لقوله تعالى: لم يلد[[865]](#footnote-865).

**القراءات في هذه المفردة:**

روي في " كفوا " قراءات متواترة وأخرى شاذة وهي[[866]](#footnote-866):

1- كُفُواً: وهي رواية حفص عن عاصم وابن يزداذ.

2- كُفُؤاً: بضم الكاف وضم الفاء وهمزة في آخره. وبه قرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر، إلا أن الثلاثة الأولين حققوا الهمزة وأبو جعفر سهلها.

3- كُفْؤاً: قرأ حمزة وخلف ويعقوب وإسماعيل عن نافع: «كفؤا» بإسكان الفاء.

وهذه قراءات من المتواتر وهي لغات فصيحة قال ابن عاشور:"وهي لغات ثلاث فصيحة"[[867]](#footnote-867).

4- ومن الشواذ: كفاء: قرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: كفاء بكسرالكاف وفتح الفاء والمد.

وهذه القراءات كلها بمعنى واحد قال أبو عبيدة: "يقال كفو وكفء وكفاء كله بمعنى واحد وهو المثل"[[868]](#footnote-868)

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

لماذا جاءت على هذا الوزن؟ وما دلالة مجيئها منكرة؟

جاءت هذه الكلمة اسماً منكراً لأن النكرة في سياق النفي تعم أي لإفادة عموم نفي المثيل والشبيه له تعالى وهو نفي ثابت لا يتبدل ولا يتغير.

وجاءت منفية بحرف "لم" لإفادة النفي الجازم الذي يقلب المعاني التي يعتقدها المشركون.

\*الدلالة الصوتية للكلمة وعلاقتها بجو السورة:

في هذه المفردة لا نجد حروفاً من حروف الاستعلاء والقلقلة بل كلها حروف فيها رخاوة واستفالة، وكأن الجرس الصوتي للكلمة يوحي بتصغير وتسفيل أي مثيل له يتصور أن يكون له كفواً.

وفي ذلك مناسبة لجو السورة في الإثبات والنفي، إذ عند إثبات صفات الكمال جاء بحروف فيها قوة واستعلاء إشارة إلى علوه وقوته واستغنائه عن الكل، وعند نفي الشبيه والمثيل جاء بحروف الاستفالة إشارة إلى تصغير كل ما يتصور أن يكون نداً أو ضداً له. ونفي ما فيه شبه ومثل ولو بالقليل.

كما أن التعريف والتنكير جاءا في السورة مناسبة لجوها في الإثبات والنفي فعند إثبات صفات الكمال جاء بالصمد معرفاً لإثبات كل معاني الصمدية له وحده وقصرها عليه وعند نفي النقائص والعيوب والآفات جاء بـ"كفواً" منكرة لتعم.

ما دلالة الصيغة التي وردت فيها الكلمة؟ ما الأساليب البلاغية المتعلقة بها؟

من ضرورات بحثي أن أبحث في الدلالة المعجمية والصرفية للمفردة وما يتعلق فيها من أساليب بلاغية لمساعدة الباحث على اكتشاف العلاقة بين السورة وسر تفرد المفردة فيها.

وقد تعلق بهذه الصيغة أسلوبان من أساليب البلاغة هي:

1-التذييل2-التقديم والتأخير

أما الأول فهذه الجملة جاءت تذييلاً للآيات السابقة تأكيداً لمعانيها[[869]](#footnote-869).

أما التقديم والتأخير في الآية فهو تقديم خبر كان "كفوا" على اسمها "أحد" و الأصل – نحوياً- أن يقال: ولم يكن أحد كفواً له. ولكن في النظم القرآني الحكيم تم تقديم " كفوا " على الجار والمجرور وتأخير اسم كان "أحد" على خبرها. وقد ذكر العلماء فوائد هذا التقديم والتأخير هي:

1- أن التقديم حصل لما هو أهم ويراد إقراره في الذهن قال الزمخشري:" قلت هذا الكلام إنما سيق لنفى المكافأة عن ذات الباري سبحانه، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه، وأحقه بالتقدم وأحراه**"**[[870]](#footnote-870).

2- أن تأخير اسم كان حصل لعدة أسباب منها موافقة الفاصلة قال ابن عاشور:"تقديم خبر (كان) على اسمها للرعاية على الفاصلة وللاهتمام بذكر الكفؤ عقب الفعل المنفي ليكون أسبق إلى السمع"[[871]](#footnote-871).

فنلاحظ أن هذه المفردة "كفوا" التي تفردت بها هذه السورة تقدمت على الاسم لتكون أسبق للسمع وأقرب للنفي الذي يقتضيه التنزيه وللاهتمام باستحقاق الله نفي كفاءة أحد له، وهذا من الأساليب البلاغية التي تتجلى في سور القرآن العظيم.

**المطلب الثالث: علاقة المفردات مع المحور العام للسورة ومع اسم السورة**

وجه العلاقة بين المفردتين وبين سورة الإخلاص وجه ظاهر وواضح إذ إن هذه السورة هي سورة التوحيد والأساس التي اختصت بذكر التوحيد الخالص لله والذي هو أساس الإيمان حيث ردت على عقائد المشركين والنصارى واليهود في الله وصفاته وأفعاله.

ولذلك تفردت هذه السورة بمفردتين لم تردا في القرآن كله، وهما لفظتان مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً بالتوحيد والإيمان ولا يصح التوحيد إلا بهما: إثبات الصمدية لله وحده، ونفي الكفؤ والشبيه عنه تبارك وتعالى.

فالتوحيد لا يتم إلا بإثبات صفات الكمال له، وإن من صفات الكمال إثبات الصمدية له وحده، فهو الغني القادر القاهر فوق عباده الذي تطلب منه الحوائج وهو الكامل الذي لا عيب فيه ولا تعتريه الآفات. وكل هذه المعاني يشملها لفظ الصمد ولا يصح التوحيد إلا بإقرار هذه المعاني. وقد جاءت المفردة بأساليب وحروف تناسب جو السورة وتقوي المقصد من وجودها في موضعها فقد جاءت مُعرَّفةً لقصر معنى الصمدية عليه سبحانه وجاءت على وزن الاسم لتفيد معنى الثبوت والاستقرار فلا تجدد في صفاته ولا تغير في كماله. واحتوت على حروف الاستعلاء والقوة لأنها في موضع تقرير عقيدة وبيان وصف من أوصافه تعالى وملاءمة لموضوع السورة الذي هو أهم موضوعات الدين.

والتوحيد لا يصح إلا بإثبات ونفي، إثبات صفات الكمال والجلال له تعالى "الصَّمد"، ونفي المساوي والمثيل والنظير والند والضد وهذه المعاني كلها تشملها لفظة " الكفؤ " ولذلك امتازت هذه السورة التي نزلت لتوضيح أركان التوحيد بهذه المفردة.

كما ظهر للباحث أن لفظة "الصمد" سيقت في سياق إثبات الكمال لله تعالى فناسبها حروف الاستعلاء والقلقلة، ولفظة "كفواً" وضعت في سياق نفي الشريك والمساوي فناسبها حروف فيها استفالة وضعف.

وظهر للباحث أن بين اسم السورة وما تفردت به من مفردات مناسبة حيث إن هذه السورة تسمى بسورة الإخلاص والتوحيد ومفردة الصمد متناسبة مع هذه المعاني فالصمد من أوصاف الله تعالى ولا يصح التوحيد إلا باعتقاد الصمدية له وهذه المفردة تتناسب مع الاسم الثاني وهو الاخلاص حيث إن التوجه إلى الله والصمد إليه يحتاج إلى الإخلاص له.

أما المفردة الأخرى" كفوا" فتتناسب مع الإخلاص إذ إن عبادة الله بإخلاص تقتضي نفي الشبيه والمثيل له تعالى.

كما تتناسب المفردتان فيما بينهما إذ الأولى إثبات صفات الكمال والجمال والثانية جاءت لنفي الشبيه والند وكلاهما لا غنى عنهما في صحة التوحيد.

ولذلك نلاحظ بأن هذه السورة اختصت بهاتين المفردتين لحِكَمٍ عديدة، فإن هذه السورة تتحدث عن التوحيد الذي هو الأساس، والتوحيد لا يصح إلا بإثبات ونفي، إثبات صفات الكمال والجلال له تعالى وهي التي المعاني التي تقدمها كلمةُ الصَّمد، ونفي المساوي والمثيل والنظير والند والضد وهذه المعاني كلها تشملها لفظة " الكفؤ " ولذلك امتازت هذه السورة التي نزلت لتوضيح أركان التوحيد بهاتين المفردتين.

**المبحث التاسع: الألفاظ التي انفردت مادتها في سورة الفلق وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة**

**بين يدي السورة:**

**أولاً: تسميتها وعدد آياتها:**

سميت هذه السورة سورة الفلق، لافتتاحها بقوله تعالى: [ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ] {الفلق:1}.

وذكر السيوطي في الإتقان أنها وسورة الناس تسميان المشقشقتان، أي تبرئان من النفاق[[872]](#footnote-872).

**ثانياً: وقت نزولها:**

هذه السورة وسورة الناس مكية في قول الحسن وعطاء وهو رأيُ الأكثرين ورواه كُريب عن ابن عباس، وقيلَ أنَّها مدنية وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس وقتادة وجماعة[[873]](#footnote-873).

قال ابن عاشور:"والأصح أنها مكية لأن رواية كريب عن ابن عباس مقبولة بخلاف رواية أبي صالح عن ابن عباس ففيها متكلم"[[874]](#footnote-874). ولأن أسلوبها وموضوعها يرجحان مكيتها.

وعدت العشرين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الفيل وقبل سورة الناس[[875]](#footnote-875).

**ثالثاً: سبب نزولها:**

قال ابن عباس وعائشة، رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها. فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال...إلخ[[876]](#footnote-876)

أقول: الظاهر أن نزول المعوذتين لهذا السبب ضعيف فهما مكيتان على أرجح الأقوال وهو ما يناقض ما في الرواية لأن اليهود كانوا في المدينة، ولم أجد صاحب الصحيح المسند من أسباب النزول قد ذكر سبباً لهذه السورة [[877]](#footnote-877).

**رابعاً: فضلها:**

جاء في فضل سورة الفلق وسورة الناس أحاديث عديدة منها:

عن عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:" لقد أنزل علي آيات لم ينزل علي مثلهن: المعوذتين"[[878]](#footnote-878).

**خامساً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها:**

قررت سورة الإخلاص مفهوم الربوبية ونزهت الله تعالى عن الولد والوالد والكفو والشبيه وبينت التصور الصحيح عن الرب عز وجل. ثم جاءت بعد هذا سورتا المعوذتين، « الفلق » و« الناس » تقرران هذه الحقيقة، وتؤكدانها فى مجال التطبيق العملي لآثارها، وذلك بدعوة النبى والناس جميعا أن يعوذوا بربهم، وأن يستظلوا بحمى ربوبيته من كل ما يسوءهم، أو ما يتوقع أن يعرض له بسوء، فذلك هو الإيمان بالله سبحانه[[879]](#footnote-879).

وقدّمت «الفلق» على «الناس»، وإن كانت أقصر منها، لمناسبة مقطعها في الأوزان لفواصل «الإخلاص» مع مقطع «تبّت»[[880]](#footnote-880).

وتتناسب الفلق مع الناس تناسباً كبيراً من حيث أنهما يرشدان إلى الاستعاذة بالله تعالى رب كل شيء من شر كل شيء ظاهر جلي أو مستتر خفي.

**المطلب الاول: الوحدة الموضوعية في السورة**

**أولاً: موضوع السورة:**

موضوع السورة هو تعليم العباد أن يلجؤوا إلى حمى الرحمن، ويستعيذوا بجلاله وسلطانه، من شر مخلوقاته، ومن شر الليل إذا أظلم، لما يصيب النفوس فيه من الوحشة، ولإنتشار الأشرار والفجار فيه، ومن شر كل حاسد وساحر أو ساعٍ بالإفساد بين الناس.

فالسورتان اهتمتا ببث السكينة والطمأنينة في النفس وتعليم اللجوء إلى الله تعالى وحده والاستعاذة به في ظروف المخاوف والأزمات النفسية المتنوعة من الحكمة المنطوية في الأحاديث، وهي حكمة مستمرة الفائدة لاستمرار دواعيها[[881]](#footnote-881).

**ثانياً: مقاصد السورة وأغراضها:**

1- الالتجاء إلى الله، والتحصّن بقدرته من شرّ الخلق، ومن شرّ الظلام إذا انتشر ومن شرّ النساء الكيّادات، ومن شرّ أهل الفتنة والنميمة ومن شرّ الحسود إذا وجّه كيده للحسد قال البقاعي:" مقصودها الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن، واسمها ظاهر الدلالة على ذلك"[[882]](#footnote-882)

2 - وجوب التعوذ بالله والالتجاء إلى الله من كل مخوف لا يقدر المرء على رده لخفائه أو لعدم القدرة عليه.

3– إثبات أن للسحر تأثيراً.

4- إرشادنا وتعليمنا الاستعاذة من أصناف ثلاثة وذمها: هي أولا: الليل إذا عظم ظلامه لأن في الليل يقل فيه الغوث، وينبعث أهل الشر على الفساد.

وثانيا: الساحرات اللائي ينفثن (ينفخن) في عقد الخيط حين يرقين عليها. وثالثا: الحاسد الذي يحسد غيره، أي يتمنى زوال نعمة المحسود وهذا مذموم [[883]](#footnote-883).

**ثالثاً: مميزات السورة من حيث المضمون والأسلوب:**

1-بدأت السورة بـ "قل" وفي ذلك إرشاد وإيجاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته ولم يشترك معها بالافتتاح بـ"قل" إلا الكافرون والإخلاص والناس.

2- يشيع فيها جو الغموض والرهبة و التعويذة قال سيد قطب في التصوير الفني:

" ما الجو المراد إطلاقه هنا؟ إنه جو التعويذة بما فيه من خفاء وهيمنة، وغموض وإبهام... فما الفلق الذى يستعيذ بربه؟ نختار من معانيه الكثيرة معنى الفجر لأنه أنسب فى الاستعاذة من ظلام ما سيأتى، ممّا خلق، ومن الغاسق، ومن النفاثات فى العقد، ومن شر حاسد إذا حسد، ولأن فيه إبهاما خاصا ستعلم حكمته بعد قليل... فالجوّ كله رهبة وغموض، وهو يستعيذ من هذا الظلام بالله، والله رب كل شىء، فلماذا خصصه بالفلق، لينسجم مع جو الصورة كلها، ويشترك فيه، وكان المتبادر للذهن أن يعوذ من الظلام برب النور.."[[884]](#footnote-884).

3-اتساق الإيقاع الصوتي مع جو السورة، حيث تتابع الآيات القصيرة وتتوإلى، ويكتنف ألفاظها الغموض في اللفظ والمعنى، وتتنوع فواصلها من القاف إلى الباء إلى الدال وكلها حروف قلقلة وقوة. وكل ذلك مناسباً لجو الرهبة والتعويذة.

4- تنوع الأساليب البلاغية فيها ومنها[[885]](#footnote-885):

1 - الجناس الناقص بين {فَلَقِ} و {خَلَقَ}.

2 - الإِطناب بتكرار الاسم {شَرِّ} مراتٍ في السورة {مِن شَرِّ مَا خَلَقَ} {وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ} {وَمِن شَرِّ النفاثات} الخ تنبيهاً على شناعة هذه الأوصاف، ولأنه دعاء و ابتهال ناسبه الإطناب.

3 - ذكر الخاص بعد العام للاعتناء بالذكور {[ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ] {الفلق:2} فإِنه عموم يدخل تحته شر الغاسق، وشر النفاثات، وشر الحاسد.

4 - توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات.

-ومن مميزاتها تفردها بمفردات لم ترد بجذرها واشتقاقها إلا فيها وهي: وقب، النفاثات. ولذلك ارتباط كبير بمحورها وجوها واسمها.

**رابعاً: أوجه الترابط المعنوي بين أجزاء السورة**[[886]](#footnote-886)**:**

هذه السورة من قصار السور وموضوعوعها واحد وترابط الآيات فيها واضح و جلي، فقد افتتحت السورة بإيجاب الاستعاذة بالله تعالى واللجوء إليه وهو الذي فلق الفلق، والفلق هو الصبح[[887]](#footnote-887) الذي ينتشر معه النور ويبدد الظلمة، أو هو ما انفلق عن جميع ما خلق الله من صبح وحب ونبات وحيوان وكل شيء كقوله تعالى في سورة الأنعام: «[ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ] {الأنعام:95}.. وكما قال: «[ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ] {الأنعام:96}..

وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبىء عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق وعد بإعاذة العائذ مما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه تعالى. وفيه إشارة بأن القادر على إزالة الظلمة من هذا العالم قادر على دفع ظلمة الشرور والآفات عن العبد.

وبعد أن عمم الاستعاذة من جميع المخلوقات خصص بالذكر ثلاثة أصناف تنبيهاً على أنها أعظم الشرور وهي:

-الأول: الليل إذا أقبل ودخل ظلامه في كل شيء[[888]](#footnote-888): وبدأ بذكر الليل لأن الظلام أصل كل فساد وضلال، ولأن في الليل يكثر المخاوف والمخاطر وينتشر أهل الشر من الإنس والجن.

-الثاني: النفاثات في العقد: وهي النساء السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن[[889]](#footnote-889)، وقيل هي النفوس الخبيثة من الذكور والإناث التي تسعى بالفتنة والإفساد.

-الثالث: الحاسد إذا حسد: وهو الذي يسعى يتمنى زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود.

وجمع هذه الثلاثة شرور لأن ضررها عظيم ولأنها غالباً ما تكون خفية غير ظاهرة، كالسحر والحسد كالسحر والحسد فإنهمايكونان في الخفاء والسر وضررهما مستطر، فناسب أن يستعاذ منها برب الإصباح المنتشر. ومن أعيذ من هذه المذكورات انفلق قلبه عن نور المعرفة وزالت عنه الظلمة والجهل.

**المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية ودلالاتها:**

**المفردة الأولى: وقب:**

**أولاً: الدلالة المعجمية:**

الإيقاب هو الإدخال، والوقبة الكوة أو النقرة قال ابن منظور في لسان العرب:" الأوقاب: الكوى، واحدها وقب. والوقب في الجبل: نقرة يجتمع فيها الماء...و الإيقاب إدخال الشيء في الوقبة. "[[890]](#footnote-890).

قال الراغب في مفردات القرآن:" وقبت الشمس: غابت. قال تعالى: [ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ] {الفلق:3} والإيقاب: تغييبه"[[891]](#footnote-891)

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

أقوال المفسرين في تفسير [ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ] {الفلق:3}:

الراجح من الآية أن المقصود هو الليل[[892]](#footnote-892) إذا أقبل ودخل ظلامه في كل شيء.

قال مجاهد: غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس. وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخصيف، والحسن، وقتادة قالوا: إنه الليل إذا أقبل بظلامه، وفسره ابن شهاب بأنه الشمس إذا غربت[[893]](#footnote-893).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الغاسق هو القمر[[894]](#footnote-894)، ولا تعارض حقيقي بين هذه الأقوال بل يمكن الجمع بينها بالقول: إن المقصود بالغاسق هو الليل شديد الظلمة، وابتداء الليل يكون بغروب الشمس، وأشد ما تكون ظلمة الليل عند انمحاق القمر أو كسوفه. قال الشوكاني في الجمع بين هذه الأقوال:" وهذا لا ينافي قول الجمهور، لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وهكذا يقال في جواب من قال: إنه الثريا"[[895]](#footnote-895).

**ثالثاً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

تتنوع الأساليب البيانية في هذه الآية من تكرار وظرفية وتنكير واستعارة ولكلٍّ دلالة فقد تكررت كلمة "من شر" في هذه السورة ثلاث مرات. مع أن حرف العطف مغن عن إعادة العامل قصدا لتأكيد الدعاء، تعرضا للإجابة، وهذا من الابتهال فيناسبه الإطناب[[896]](#footnote-896).

ولم يكن الاستعاذة من الليل مطلقاً ولكن قيده بظرف "إذا وقب" وتقييد ذلك بظرف "إذا وقب" أي إذا اشتدت ظلمته لأن ذلك وقت يتحينه الشطار وأصحاب الدعارة والعيث، لتحقق غلبة الغفلة والنوم على الناس فيه[[897]](#footnote-897). ونكّر "غاسق" إشارة إلى أنه ليس كل غاسق مذموم[[898]](#footnote-898).

وفي الآية [ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ] {الفلق:3} استعارة، فالمراد بالغاسق هنا الليل، وقيل إنّه في الأصل اسم لكل وارد، بما يستضرّ به، ويخاف منه فسمّي الليل غاسقا، لأنه يرد بالمخاوف، ويطرق بالدواهي، في الأغلب والأكثر، ومعنى «وقب» أي دخل بما يدخل به[[899]](#footnote-899).

قال د. ابراهيم السامرائي:" وهذه الجملة " غاسق إذا وقب" من مبتكرات القرآن ومن كلمه"[[900]](#footnote-900).

**المفردة الثانية: النفاثات:**

**أولاً: الدلالة المعجمية:**

النفث أقل من التفل، لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق[[901]](#footnote-901). قال الزبيدي:" ونقل شيخنا عن بعضهم: النفث: فوق النفخ أو شبهه ودون التفل، وقد يكون بلا ريق، بخلاف التفل، وقد يكون بريق خفيف، بخلاف النفخ"[[902]](#footnote-902).

قال الراغب الأصفهاني:" النفث: قذف الريق القليل، وهو أقل من التفل، ونفث الراقي والساحر أن ينفث في عقده "[[903]](#footnote-903).

**ثانياً: أقوال المفسرين:**

أما أهل التفسير فقد اختلفوا في تفسير هذه الآية على قولين:

الأول: أن المقصود هن النساء السواحر أو النفوس التي تشتغل بالسحر من الذكور و الإناث، وهذا ما رجحه أكثر المفسرين لسببين: لمناسبة سبب النزول وجو السورة. والثاني لموافقة الأحاديث في ذلك.

فقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال فيها: الساحرات[[904]](#footnote-904). وهذا المفهوم كان وارداً عندهم فقد أخرج النسائي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه)[[905]](#footnote-905).

والمعنى كما قال الشوكاني:" أي: ومن شر النفوس النفاثات، أو النساء النفاثات"[[906]](#footnote-906)

الثاني: النفاثات هي النفوس الخبيثة، والأرواح الفاسدة. سواء تعلقت بالرجال أو بالنساء. والنفث في العقد هو السعي في توهين ما بين الناس من روابط وإفسادها بالنميمة والكلام السوء[[907]](#footnote-907).

**ثانياً: دلالات الصيغة والأسلوب:**

في تعريف هذه المفردة وجمعها وتأنيثها دلالات ذكرها البقاعي فقال:" ولما كان كل ساحر شريراً بخلاف الغاسق والحاسد، وكان السحر أضر من الغسق والحسد من جهة أنه شر كله، ومن جهة أنه أخفى من غيره، وكان ما هو منه من النساء أعظم... وكان ما وجد منه من جمع وعلى وجه المبالغة أعظم من غيره عرف وبالغ[[908]](#footnote-908) وجمع وأنث ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى: {النفّاثات} أي النفوس الساحرة سواء كانت نفوس الرجال أو نفوس النساء "[[909]](#footnote-909).

فإن قيل: لم عرّف سبحانه النّفّاثات[[910]](#footnote-910)، ونكّر ما قبلها وما بعدها؟

لأن كلّ نفّاثة لها شرّ، وليس كل غاسق وهو الليل له شرّ، وكذا ليس كل حاسد له شرّ، بل رب حسد كان محمودا وهو الحسد في الخيرات، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين)[[911]](#footnote-911) الحديث[[912]](#footnote-912).

ويرى عبدالكريم الخطيب أن هذا التعبير-على معناه الثاني- فيه إعجاز من إعجاز النظم القرآني، أحببت نقل كلامه ففيه تجلية لدلالة سامية لهذه المفردة حيث قال:" والذي يتأمل هذا اللفظ المعجز يجد:

أولا: أن كلمة النفث تشير إلى هذا الشبه بين فم هذا الذي يسعى بين الناس بالكلمة الآثمة الفاجرة، وبين الحية التي تنفث سمومها فتصيب بها من الناس مقتلا...ثم ذكر ثانياً ثم قال:

وثالثا: أن كلمة « العقد » وهى الروابط القائمة بين الناس، هى حياة لهم أشبه بتلك الحياة السارية فى أبدانهم، وأن حلها يفسد هذه الحياة، كما يفسد حياتهم نفث الأفاعى فيهم..

ورابعا: ان النفث فى العقد المادية، من حبال ونحوها، من شأنه أن يلين من صلابتها، وأن يعين على حلها، وكذلك الشأن فى العقد المعنوية، من روابط الأخوة والمودة بين الناس، فإن النفث فيها بالنميمة موهن لها، وممهد لحلها"[[913]](#footnote-913).

**المطلب الثالث: العلاقة بين الانفرادات اللفظية ومحور السورة واسمها:**

موضوع السورة هو تعليم العباد الاستعاذة برب الخلق من الشرور، ويتناسب هذا اللفظ (وقب) مع الموضوع بأن إيقاب الليل هو دخوله واشتداد ظلمته هو أولى ما يستعاذ منه لانتشار الظلمة والفساد فيه، وتمكن فسقة الجن والإنس من العمل فيه وإيصال ضررهم للعباد، مع قلة المغيثين فيه، فجاءت الاستعاذة بالله الموجود في كل زمان ومكان –وجود معية وقدرة وعلم-

ويتناسب لفظ (وقب) مع اسم السورة (الفلق) الذي هو الإصباح والنور- على أرجح الأقوال- بأن المقصود من الآية هو إقبال الليل ودخول ظلمته في كل شيء، والفلق هو نهاية الليل وزوال ظلمته بالإصباح الذي يفلقه الله تعالى جلت قدرته.

ويتناسب لفظ "النفاثات" مع محور السورة واسمها بأن الفلق هو النور الذي يفلقه الله ويرسله ليبدد كل ظلام ظاهر أو مستتر، ومنه ذلك السحر الذي يُعمل في خفاء وكتمان للإضرار بالناس[[914]](#footnote-914).

كما يظهر لي بأن بين اللفظين جامعاً وهو خروج شيء من شيء[[915]](#footnote-915) فالنفث هو إخراج تفل خفيف من الفم ونفخه على عقد السحر، والفلق كذلك خروج الصباح والنور من الليل والظلمة. ولكن في ذلك ازدراء وتوهين لعمل السحرة الذين يجتهدون[[916]](#footnote-916) بالنفث والعقد والسحر ولكنهم لا يستطيعون مضاهاة صنع الله في الخلق والفلق. وكأن الآية تشير إلى أن هؤلاء وإن كانوا قد يتمكنون من إيذاء بعض العباد بنفثهم إلا أن ذلك أقصى ما يقدرون عليه، ولن يقدروا أبداً من بلوغ رتبة الربوبية القادرة على إخراج الصبح والحب والنوى والجنين والحيوان، فعليكم أن تتوجهوا إليه وتحتموا بحماه ولن يضركم هذه الشرور. فكما أن ظلمة الليل يفلقها الله بالنور والإصباح، فإن ما عُقد من سحر يفلقه الله بقدرته وجبروته.

وكما أن الله قادر على إزالة ظلمة الليل عن الأرض كلها فهو قادر على دفع ظلمة الشرور والآفات عن العبد إذا تحصن بحصنه واستعاذ به[[917]](#footnote-917)، والله أعلم.

ولهذه الفوائد البيانية والدقائق البلاغية اختصت هذه السورة بهاتين المفردتين اللتين ترتبطان ارتباطاً قوياً بهذا الموضوع.

**الخاتمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبفضل الله تعالى انتهيت من رسالتي هذه عن علاقة الانفرادات اللفظية بالوحدة الموضوعية لسور الجزء الثلاثين، وقد كانت دراسة ممتعة مفيدة استفدت منها الكثير، وقد توصلت بعد هذه الدراسة إلى نتائج هي:

- إن معرفة المقدمات التي تتعلق بالسورة – كأسمائها وفضائلها ووقت نزولها – يعين الباحث في تحديد محور السورة وموضوعها العام.

* إنَّ سورَ الجزء الثلاثين بينها اشتراك كبير في المقاصد والأساليب والموضوعات.
* كلُ سُورة في هذا الجزء مترابطة ترابطاً معنوياً.
* اختص هذا الجزء بانفرادات لفظية بلغ عددها إحدى وستين –حيث أضفتُ ثلاث مفردات لم يذكرها معجم الفرائد وأسقطت مفردة من عنده تكرر جذرها-
* بلغ عدد السور التي اختصت بمفردات لفظية لم تتكرر في غيرها من السور عشرين سورة.
* في كل سورة من هذه السور العشرين انفرادات لفظية تتناسب مع محور السورة وجوها ومقصودها، وتتناسب مع عنوان السورة. ومفردات القرآن تتناسق مع مقاصد السورة ومعانيها.
* كل كلمة انفردت فيها هذه السور جاءت لبنة أساسية في النسيج القرآني، بحيث لا تسد لفظة أخرى مسدها حتى لا يذهب الرونق ويفسد المعنى.
* يوجد علاقة بين المفردات اللفظية في كل سورة مع بعضها.
* تساعد دراسة دلالات الانفرادات اللفظية على استجلاء الوحدة الموضوعية للسورة. فالانفرادات اللفظية ترسم للسورة ملامح عامة تخبر عن مضمونها باختصار وتضفي على شخصيتها لوناً خاصاً لا يُرى في سورة أخرى.
* من إعجاز القرآن أن تجمع المفردة أكثر من معنى محتمل موافق للسياق[[918]](#footnote-918).
* تفرد السورة بموضوع ما يقتضي-غالباً- تفردها ببعض المفردات اللفظية.
* تتناسب الفريدة مع جو السورة والمعنى الدالة عليه فقد تجد اللفظ متلائماً مع ذات الشيء -الدال عليه- من حيث غرابته وتكراره.
* قد يتناسب رسم الكلمة الفريد مع جو السورة كما في كلمة "لنسفعاً" فقد ظهر لي بأنه دال برسمه على التمكن والسرعة من إيقاع العذاب.
* من إعجاز القرآن في المفردات أنه يشير إلى الحقائق الكونية العلمية بلغة سهلة جزلة بأسلوب لا يفزغ العقلية البدوية في صحراء الجزيرة العربية وقت تنزله.
* من إعجاز القرآن أنه يبتكر مفردات ومصطلحات من نفس الحروف والمادة المعروفة لدى العرب، وفي ذلك مناسبة لأسلوب الترغيب والتشويق أو الترهيب والتخويف.
* تتجلى شخصية السورة بأساليبها ومقاصدها وتتفرد بمضمونها ومفرداتها، وهذا من بديع القرآن [[919]](#footnote-919).
* لا بد أن ننظر في دراستنا الموضوعية الدلالية إلى ما ترسمه الفرائد اللفظية من وحدة موضوعية للسورة، فلا شك أن نسيج السورة المعنوي يتشكل بناء على لبناتها اللفظية.

ويمكنني بعد هذه الدراسة استنتاج بعض القواعد الضابطة في هذا الفن ومنها:

1. من تناسب المفردات مع جو السورة أن تجد اللفظ متلائماً مع ذات الشيء -الدال عليه- من حيث غرابته وتكراره، فإن الشيء إن كان معهوداً لدى العرب وجدت لفظه-غالباً- معهوداً متكرراً متنوعاً في اشتقاقاته. وإن كان غريباً غير معهود لهم وجدت لفظه غريباً مستوحشاً –سواء من حيث اللفظ أو المعنى-

فإن كلمة الأبابيل دالة على غرابة تلك الطيور حيث لم تُر إلا مرة واحدة كما أن هذه المفردة لم تعهد في القرآن إلا مرة واحدة. كذلك كلمة "زبانية" فإن غرابة اللفظ تشي بغرابة هيئة ملائكة العذاب وفي ذلك زيادة تخويف لهم.

2. الانفرادات اللفظية لها أثر في تشكيل الوحدة الموضوعية للسورة. وهي تتناسب مع موضوعات السور وأسمائها ومقاصدها وأجواء نزولها –أو حدوثها- وإيقاعها الصوتي.

3. من تناسب المفردات مع السورة تسمية السورة بأشهر الانفرادات اللفظية الواردة فيها وفي ذلك إشارة إلى محور السورة.

4. تتناسب كل مفردة مع السياق الذي سيقت فيه فإن الموضع الذي يكون للترغيب يأتي بمفردات تتناسق- من حيث اللفظ والمعنى والإيقاع- مع جو الرغبة والتحبب، والموضع الذي يتحدث عن الترهيب يأتي بمفردات تتناسق مع جو التخويف والتهديد.

5. يبتكر القرآن ألفاظاً من نفس مادة الحروف العربية للدلالة على ما لا يمكن تصوره في الدنيا تشويقاً للسامع كما في كلمة " تسنيم" وتخويفاً للعاصي كما في كلمة " سجين " فهما من مبتكرات القرآن وهذا وجه من أوجه الإعجاز.

6. يستعمل القرآن المفردة بما يناسب محور السور من حيث التعريف والتنكير والجمع والإفراد والتصغير...

7. تتناسق فاصلة السورة أو المقطع مع جوها ومقصودها.

\* ولذلك أوصي بعد هذه الدراسة بتوسيع البحث في هذا الفن –العلم-، فهنالك مشاريع مبتكرة كثيرة اقترح منها:

- الانفرادات من حيث الاشتقاق ودلالتها مع موضوع السورة ومقاصدها –أي أن المفردة لم تتكرر ولكن تكرر جذرها-

- دلالة تعريف مفردة في سورة وتنكيرها في سورة أخرى.

- دلالة مجيء المفردة على صيغة في سورة ومجيئها في سور أخرى على صيغة أخرى.

- أولية وخاتمية ورود المفردة في المصحف ودلالة ذلك.

- تكرر المفردة أو المصطلح في السورة الواحدة ودلالة ذلك.

- تفرد السورة بالحروف المقطعة أو اشتراك السور بالحروف المقطعة ودلالة ذلك.

- تفرد العهد المكي أو المدني بمفردات ومصطلحات ودلالة ذلك.

- تكرر المفردة في القرآن بصيغة واحدة ودلالة ذلك.

- اشتراك السور بمصطلحات معينة ودلالة ذلك.

- دلالة تفرد السورة بفاصلتها ورويها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية.

- علاقة السورة باسم السورة.

- تفرد السورة بأسلوب بلاغي معين ودلالة ذلك. وعلاقتها بالوحدة الموضوعية.

- دلالة تفرد السورة بالحروف القوية أو الرخوة (اللينة) وعلاقتها بالوحدة الموضوعية.

- تفرد السورة بظواهر صوتية معينة كالمدود والاخفاء والادغام والامالة وعلاقتها بالوحدة الموضوعية.

- ألفاظ الجموع المتفردة في السور ودلالاتها: أبابيل، زبانية.

- دلالة تفرد اللفظ في رسمه وأثره على جو السورة.

والحمد لله تعالى أولاً وآخراً، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيد السادات محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

**قائمة المراجع**

1. الأخفش، أبو الحسن المجاشعي البلخي ثم البصري (ت 215هـ)، **معاني القرآن**، ط 1، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة. 1411هـ.
2. الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي (ت 370هـ)، **تهذيب اللغة**، ط 1، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
3. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط1، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية. بيروت (1415 هـ).
4. الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب (ت403 هـ)، **إعجاز القرآن،** ط5، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر. 1997م
5. الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (ت403 هـ)، **الانتصار للقرآن**، ط1، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت. 1422 هـ
6. الباوَرْدي ، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد (ت 375هـ)، **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، ط1، تحقيق: حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية. 1423ه
7. البسومي، باسم البسومي، **معجم الفرائد القرآنية**، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية.
8. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون طبعة وتاريخ.
9. البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت 885هـ)، **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ**، ط1، مكتبة المعارف،الرياض. 1987 م
10. البغوي، محمد الحسين بن مسعود (ت516هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط1، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. 1420 هـ
11. البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد (ت 685هـ) ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط1، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. 1418 هـ
12. شرف الدين، جعفر شرف الدين(1420 هـ)، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، ط1، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بيروت.
13. الثعالبي ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت 875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ط1، تحقيق: محمد علي معوض، عادل أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ
14. الثعلبي ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت 427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ط1، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. 1422 هـ
15. الجرجاني ، أبو الحسن علي بن عبد العزير(ت 392هـ)، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
16. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف(ت833هـ)، **شرح طيبة النشر في القراءات**، ط2، ضبط وتعليق عليه: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – بيروت. 1420 هـ.
17. ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف(ت833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
18. ابن جزي ، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي(ت 741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ط1، المحقق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416 هـ
19. ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني(ت 392هـ)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، وزارة الأوقاف،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 1420هـ.
20. ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط1، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ( 1422 هـ)
21. ابن أبي حاتم ، محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي  
    (ت 327هـ)، **التفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، ط3، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار - مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، 1419 هـ.
22. الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (ت405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، ط1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، 1411 – 1990.
23. الحجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح**، ط10، دار الجيل الجديد – بيروت. 1413هـ.
24. حوى، سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، 1985.
25. الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا (ت 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار**)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م
26. أبو حيان ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان(ت 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، المحقق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر. 1420 هـ
27. الخالدي صلاح الخالدي، (2001)، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ط2، عمان: دار النفائس.
28. الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم (388هـ)، **البيان في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، لمحمد بن خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.
29. الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة: دار الفكر العربي.
30. دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم**، دار القلم، الكويت، 1984م.
31. الدمياطيّ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين الشهير بالبناء  
    (ت 1117هـ)، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ط3، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، 1427هـ
32. الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين(ت 606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي،  
    1420 هـ
33. الراغب (403هـ) الحسين بن محمد الأصفهاني، **المفردات**، ط3، دار الفكر بيروت، 2006م.
34. الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط8، دار الكتاب العربي – بيروت. 1425 هـ،
35. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
36. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (1418 هـ) ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط2، دمشق: دار الفكر المعاصر.
37. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(ت 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط1، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1957م.
38. الزمخشري، محمود بن عمر (538هـ)، **الكشاف**، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
39. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (538هـ)، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، ط2 المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان.
40. الزنداني، عبدالمجيد الزنادني، **علم الإيمان**، المكتبة الشاملة. الإصدار الثاني.
41. الزنداني، عبدالمجيد الزنداني، **توحيد الخالق**، المكتبة الشاملة. الإصدار الثاني.
42. الزنداني، عبدالمجيد الزنداني، **إعجاز الكون**، المكتبة الشاملة. الإصدار الثاني.
43. السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي، **أسرار البيان في التعبير القرآني**.
44. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق،مؤسسة الرسالة. 1420هـ.
45. سعيد، عبدالستار سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، دار الطباعة والنشر الإسلامية.
46. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى(ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
47. السمين شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت 756هـ)، ، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، المحقق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
48. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء(180هـ)، **الكتاب**، ط3، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة، 1408 هـ - 1988 م
49. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين(ت 911هـ)، **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**،ط1، قرأه وتممه: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - 1426 هـ
50. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ)، **الدر المنثور**، دار الفكر – بيروت.
51. السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر(ت 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب. (1974)
52. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت 911هـ)، **أسرار ترتيب القرآن**، دارُ الفضيلةِ للنَّشرِ والتوزيعِ.
53. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين(ت 911هـ)، ، **لباب النقول في أسباب النزول**، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
54. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، 1415 هـ.
55. أبو شوفة أحمد عمر(2003)، **المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة**، ليبيا: دار الكتب الوطنية.
56. الصابوني (1997م)، محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، ط1، القاهرة، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

فرج، صبحي رمضان، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، موقع على شبكة الإنترنت، الرابط: [**http://m.quran-m.com**](http://m.quran-m.com)، بتصرف.

1. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر(ت 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط1، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة. 2000 م.
2. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك، **أحكام القرآن الكريم**، ط1، تحقيق: الدكتور سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، اسطنبول.
3. الطَّيَّار ، مساعد بن سليمان بن ناصر(1430 هـ)، **تفسير جزء عم،** ط8، دار ابن الجوزي.
4. ابن عادل ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي(ت 775 هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، ط1، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ
5. ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
6. أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي البصري (ت 209هـ)، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة. 1381 هـ
7. العثيمين ، محمد بن صالح بن محمد (1423 هـ)، **تفسير جزء عم**، ط2، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع.
8. ابن عجيبة ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني(ت 1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي، القاهرة، 1419 هـ
9. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت 852 هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة - بيروت، 1379.
10. العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري(ت 395هـ) ، **الفروق اللغوية**، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
11. ابن عطية ، أبو محمد بن عبد الحق الأندلسي(ت 541هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2002م.
12. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا(ت 395هـ)، **معجم المقاييس في اللغة**، حققه: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وتاريخ.
13. الفراهيدي، الخليل بن أحمد(175هـ)، **العين**، ط2، دار إحياء التراث العربي. 2005م.
14. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
15. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ) ، **غريب الحديث،ط1،** المحقق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1397.
16. الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت 817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
17. الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، **القاموس المحيط**، ط8، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1426 هـ - 2005 م
18. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، **محاسن التأويل**، ط1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، 1418 هـ.
19. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن(ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، ط1، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية – القاهرة. 1384هـ
20. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك،**لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، ط3، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.
21. قطب، سيد قطب (ت 1966)، **في ظلال القرآن**، ط10، دار الشروق (1982م).
22. قطب، سيد قطب إبراهيم حسين(ت 1966)، **التصوير الفني في القرآن**، ط17، دار الشروق.
23. الكتاني ، أبو عبد الله محمد بن الحسن الكتاني الطبيب (ت 420هـ)، **كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، ط1، المحقق: إحسان عباس، دار الشروق، القاهرة، 1981 م.
24. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (1999).
25. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي(ت 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
26. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
27. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب(ت 450هـ)، **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت.
28. مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ( 1423 هـ )، **الموسوعة القرآنية المتخصصة**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.
29. مجموعة من الأساتذة والباحثين، **موسوعة الشارقة للتفسير الموضوعي**. الشارقة.
30. المحجري ، يحيى المحجري (1991)، **آيات قرآنية في مشكاة العلم**، القاهرة: دار النصر للطباعة الاسلامية.
31. المراغي ، أحمد مصطفى المراغي(ت 1371هـ)،  **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
32. مسلم ، مصطفى مسلم(2009)، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ط9، دمشق: دار القلم.
33. مصطفى، إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة.
34. ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (319هـ)، **تفسير القرآن**، ط1، تحقيق وتعليق: سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية، 1423 هـ.
35. ابن منظور ، جمال الدين بن مكرم(ت711هـ)، **لسان العرب**، ط4، دار صادر بيروت، 2005م.
36. ابن نبي مالك، بن الحاج عمر بن الخضر(1420 هـ)، **الظاهرة القرآنية**، ط4، تحقيق: إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق.
37. النحاس ، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد(ت 338هـ)، **معاني القرآن**، ط1، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، 1409.
38. النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين(ت 710هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ط1، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت. 1419 هـ
39. النعيمي، قسطاس بن إبراهيم، بحث بعنوان " أصل الماء"، على موقع جامعة الإيمان، على الرابط، [**www.jameataleman.org**](http://www.jameataleman.org)، بتاريخ: 22 يناير 2013
40. النُّوَيْري، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم (ت 857هـ)، **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، ط1، تحقيق: مجدي محمد سرور، دار الكتب العلمية – بيروت، 1424 هـ.
41. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ط1، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت**.** 1416 هـ.
42. الهيثمي ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (807هـ)، **مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ**، حققه: حسين سليم أسد الدّاراني، دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاثِ.
43. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي،النيسابوري(468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط3، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت. 1415 هـ
44. الوادعِيُّ ، مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني (1408هـ)، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، ط4، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
45. ياسين ، حكمت بن بشير (1420هـ)، **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، ط1، المدينة النبوية، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة.

**THE PARTICULARITY OF WORDS IN CERTAIN QURANIC CHAPTERS AND ITS CONNECTION TO ITS MAIN THEME OF THE QURANIC SURAH, AN APPLIED STUDY ON THE PART THIRTY**

**By**

**Mustsfa Hamdo Elyan**

**Supervisor**

**Dr.Sulyman Al-Doggor**

**ABSTRACT**

This thesis deals with the study of the relationship between thematic unity in the chapters of the thirtieth part of the Qur'an and singled out its Anfradat verbal, where I studied the subject of every sura, its purposes, its advantages and interdependence of the moral, and then I studied semantics Alanfradat verbal lexical and morphological and sound rhetorical, then worked on creating relationships between these Alanfredat verbal and object and what it understood faces and the relationship between Sura and vocabulary and the relationship between the vocabulary of each title.

This thesis has been divided into a prelude to the single Quranic unity substantive Surat. Then reboot in Amma properties. Then the practical side railings on the Qur'an in Amma, where he was in the four seasons of twenty Mbgesa, each party in a half season.

And divided all the demands of the Study are: First requirement: Substantive unity in Sura. The second requirement: the terms that article is alone in this Sura and their implications. Third requirement: the relationship between these words and Joe Sura theme.

The total number of fence examined twenty Surat, the number of verbal Lafraid 61.

In Conclusion: According to the main findings and recommendations.

1. من منشورات مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية. [↑](#footnote-ref-1)
2. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، 1974، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب 3/ 376 [↑](#footnote-ref-2)
3. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وتاريخ، 1/ 11. [↑](#footnote-ref-3)
4. دراز، النبأ العظيم 153 [↑](#footnote-ref-4)
5. انظر: سعيد، د. عبدالستار سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، 20- 23 [↑](#footnote-ref-5)
6. انظر: مسلم، د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ص 23 – 29 [↑](#footnote-ref-6)
7. الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم، البيان في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، لمحمد خلف الله ومحمد زغلول، القاهرة، دار المعارف، بدون طبعة وتاريخ، ص26. [↑](#footnote-ref-7)
8. الفراهي، عبد الحميد بن عبدالكريم، مفردات القرآن، دار ومكتبة الهلال 5 [↑](#footnote-ref-8)
9. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، 1957 م، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، 1/35. [↑](#footnote-ref-9)
10. الخالدي، د. صلاح الخالدي، التفسير الموضعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، عمان، ط 2 / 2001، ص 48. [↑](#footnote-ref-10)
11. قطب (1982م)، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط 10. 6/ 3800. [↑](#footnote-ref-11)
12. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3801. [↑](#footnote-ref-12)
13. رواه الامام أحمد في المسند 8/ 424، برقم 4806، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. [↑](#footnote-ref-13)
14. الترمذي، في السنن 5/ 165، برقم 2893، حكم الألباني: حسن دون فضل زلزلت. [↑](#footnote-ref-14)
15. ابن حبان، صحيح ابن حبان 3/ 74 برقم 794. تعليق الألباني: صحيح. [↑](#footnote-ref-15)
16. أخرجه أحمد 4/151 برقم: 17408، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. ومسلم برقم (814) و (264). واللفظ للأول. [↑](#footnote-ref-16)
17. من ذلك ما قاله سيد قطب:" هذه السورة- سورة النبأ- كلها نموذج كامل لهذا التركيز على هذه الحقائق والمشاهد. ومثلها سورة «النَّازِعاتِ» وسورة «عبس» تحتوي مقدمتها إشارة إلى حادث معين من حوادث الدعوة.. وبقيتها كلها حديث عن نشأة الحياة الإنسانية والحياة النباتية.." قطب، في ظلال القرآن 6/ 3801. [↑](#footnote-ref-17)
18. وسيأتي تفصيل ذلك في السور. [↑](#footnote-ref-18)
19. سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-19)
20. ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، 15 /200، برقم 9345 تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن. [↑](#footnote-ref-20)
21. ابن جزي، 1416 هـ، محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل،المحقق: عبد الله الخالدي، بيروت، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،الطبعة: الأولى 2/ 530 [↑](#footnote-ref-21)
22. المقصود به هو الشيخ الشنقيطي. [↑](#footnote-ref-22)
23. الشنقيطي، أضواء البيان 9/ 178 [↑](#footnote-ref-23)
24. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 1/ 196 [↑](#footnote-ref-24)
25. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، 1984 التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس، الدار التونسية للنشر، 5/ 30 [↑](#footnote-ref-25)
26. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 287، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 302، الآلوسي، روح المعاني 15/ 201 [↑](#footnote-ref-26)
27. الزمخشري، الكشاف 4/ 683، ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 5 [↑](#footnote-ref-27)
28. الترمذي، سنن الترمذي (2 / 225)، وهو صحيح انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة 2/ 639 [↑](#footnote-ref-28)
29. انظر هذه الأوجه: عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (2 / 415)، الزحيلي، التفسير المنير 30/ 5 [↑](#footnote-ref-29)
30. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (3 / 450)، دروزة، التفسير الحديث (1 / 3302)، حوَّى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1985. 11/6336، علي بن نايف الشحود، المهَذَّبُ في تفسيرِ جزء عَمَّ، 1/ 72. [↑](#footnote-ref-30)
31. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 581، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 302 [↑](#footnote-ref-31)
32. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 10 [↑](#footnote-ref-32)
33. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 6، مصاعد النظر 3/ 157 [↑](#footnote-ref-33)
34. الزحيلي، التفسير المنير 30 / 10 بتصرف [↑](#footnote-ref-34)
35. سيد قطب، في ظلال القرآن (7 / 432) [↑](#footnote-ref-35)
36. سيد قطب، في ظلال القرآن 6/ 2804 [↑](#footnote-ref-36)
37. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3 / 486. [↑](#footnote-ref-37)
38. يرى سيد قطب رحمه الله أن المقطع الثالث يبدأ من قوله تعالى: (إن للمتقين مفازا) وأنا أرى أن الحديث عن المتقين يقترن دائماً بالحديث عن الكافرين جمعاً بين الترغيب والترهيب وهذا كله يشمله مقطع واحد هو بيان حساب الناس يوم القيامة وبيان ما أعده الله لكل فريق، فهذا فيما أرى مقطع واحد. [↑](#footnote-ref-38)
39. المراغي، تفسير المراغي ( 30 / 11) [↑](#footnote-ref-39)
40. اعتبر الزحيلي في تفسيره المنير هذا المقطع مقطعاً مستقلاً 30/ 26 [↑](#footnote-ref-40)
41. الزحيلي، التفسير المنير 30 /26 [↑](#footnote-ref-41)
42. حوى، الأساس في التفسير، 11/6336 [↑](#footnote-ref-42)
43. الفراهيدي، العين، مادة "وهج" 4/ 66 [↑](#footnote-ref-43)
44. ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة" وهج" 6/ 146 [↑](#footnote-ref-44)
45. انظر: الأزهري، تهذيب اللغة 6/ 188، ابن منظور، لسان العرب 2/ 401، الزبيدي، تاج العروس 6/ 266 [↑](#footnote-ref-45)
46. انظر: البغوي، تفسير البغوي 5/ 200، ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 388، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 7/ 467. [↑](#footnote-ref-46)
47. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 384. وقال ابن عاشور:" والسراج: حقيقته المصباح الذي يستضاء به...ويطلق الوهاج على المتلألئ المضيء وهو المراد هنا لأن وصف وهاج أجري على سراج، أي سراجا شديد الإضاءة...فإذن يكون التعبير عن الشمس بالسراج في هذه الآية هو موقع التشبيه" التحرير والتنوير 30/ 24. [↑](#footnote-ref-47)
48. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 10 [↑](#footnote-ref-48)
49. انظر: صبحي رمضان فرج، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، موقع على شبكة الإنترنت، الرابط: <http://m.quran-m.com>، بتصرف. [↑](#footnote-ref-49)
50. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/8 23. [↑](#footnote-ref-50)
51. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 23 [↑](#footnote-ref-51)
52. انظر: د المحجري، 1991، آيات قرآنية في مشكاة العلم، القاهرة، دار النصر للطباعة الاسلامية، صفحة 146، ومن هنا يتضح لنا عدم الدقة العلمية في قول الامام ابن عاشور- رحمه الله -:" وقوله: سراجا اسم جنس فقد يراد به الواحد من ذلك الجنس فيحتمل أن يراد الشمس أو القمر" ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 24. [↑](#footnote-ref-52)
53. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 24، بتصرف [↑](#footnote-ref-53)
54. الفراهيدي، العين، مادة "ثج" 6/ 13 [↑](#footnote-ref-54)
55. ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة "ثج" 1/ 367 [↑](#footnote-ref-55)
56. الترمذي، سنن الترمذي (2998) حكم الألباني: صحيح. [↑](#footnote-ref-56)
57. الأزهري، الأزهري، تهذيب اللغة 10/ 254 [↑](#footnote-ref-57)
58. السمين الحلبي، الدر المصون 10/ 650 [↑](#footnote-ref-58)
59. انظر هذه الأقوال: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 388، الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 11، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 303، الآلوسي، روح المعاني 15/ 209 [↑](#footnote-ref-59)
60. انظر هذه الأقوال: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 388، الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 11، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 303، الآلوسي، روح المعاني 15/ 209 [↑](#footnote-ref-60)
61. وقرأ الأعرج: ثجاحا بالحاء: آخرا، ومساجح الماء: مصابه. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 385، السمين الحلبي، الدر المصون 10/ 652 [↑](#footnote-ref-61)
62. ابن الجوزي، زاد المسير 4/388، الآلوسي، روح المعاني 15/ 109، القاسمي، محاسن التأويل 9/ 390 [↑](#footnote-ref-62)
63. انظر: الطبري، تفسير الطبري 24/ 155. وأخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (المعصرات): السحاب، (ثجاجا): منصبا. انظر: الصحيح المسبور 11/ 582 [↑](#footnote-ref-63)
64. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 26، بتصرف [↑](#footnote-ref-64)
65. انظر: النعيمي، قسطاس بن إبراهيم، بحث بعنوان " أصل الماء"، على موقع جامعة الإيمان، على الرابط، [www.jameataleman.org](http://www.jameataleman.org)، بتاريخ: 22 يناير 2013 [↑](#footnote-ref-65)
66. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 25 [↑](#footnote-ref-66)
67. الفراهيدي، العين 3/ 364 [↑](#footnote-ref-67)
68. الأزهري، الأزهري، تهذيب اللغة 5/ 257 [↑](#footnote-ref-68)
69. ابن فارس، مقاييس اللغة 2/ 307 [↑](#footnote-ref-69)
70. انظر هذه الأقوال: الطبري، تفسير الطبري 24/ 173، ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 390، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 308، السيوطي، الدر المنثور 8/ 399 [↑](#footnote-ref-70)
71. ابن جزي، التسهيل 2/ 446 [↑](#footnote-ref-71)
72. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 382، وقال الرازي:" وهو قول أكثر أهل اللغة كأبي عبيدة والزجاج والكسائي والمبرد، ودهاقا أي ممتلئة، دعا ابن عباس غلاما له فقال: اسقنا دهاقا، فجاء الغلام بها ملأى، فقال ابن عباس: هذا هو الدهاق..." الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 22. [↑](#footnote-ref-72)
73. د. حكمت ياسين، الصحيح المسبور 4/ 584 [↑](#footnote-ref-73)
74. قال الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز:" دهق الكاس يدهقها: ملأها. ودهق الماء: أفرغه إفراغا شديدا، فهو من الأضداد".2/ 612 [↑](#footnote-ref-74)
75. قال ابن عاشور:" ووصف الكأس بالدهق من إطلاق المصدر على المفعول كالخلق بمعنى المخلوق فإن الكأس مدهقة لا داهقة". ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 45 [↑](#footnote-ref-75)
76. كما سيأتي في دراسة سور أخرى في رسالتي بإذن الله تعالى. [↑](#footnote-ref-76)
77. وقد بينتُ سابقاً أن الكأس هنا هو الشراب نفسه – فبينهما علاقة تلازم- فالشراب نفسه يتدفق إليهم باستمرار بلا انقطاع كأن يجري إليهم بالأنهار أو يصب إليهم من الهواء، وهذا ما يناسب ذكر الحدائق والمفاز والأعناب. [↑](#footnote-ref-77)
78. وبين أشعة الشمس ومياه الأمطار ترابط فالشمس هي السبب في تبخير المياه وتشكّل السحاب. [↑](#footnote-ref-78)
79. واسمع لسيد قطب حين يحدثك عن هذا الترابط بين الآيتين واللفظين:" فاختيار كلمة « سراج » دقيق كل الدقة ومختار.. ومن السراج الوهاج وما يسكبه من أشعة فيها ضوء وحرارة، ومن المعصرات وما يعتصر منها من ماء ثجاج، ينصب دفعة بعد دفعة كلما وقع التفريغ الكهربائي مرة بعد مرة، وهو الثجاج، من هذا الماء مع هذا الإشعاع يخرج الحب والنبات الذي يؤكل هو ذاته " قطب، في ظلال القرآن 6/ 3806. [↑](#footnote-ref-79)
80. جاءت بعض الآيات بوصف القرآن بالنور وبوصف النبي بالسراج المنير. [↑](#footnote-ref-80)
81. الخفاجي، حاشية الخفاجي على البيضاوي 8/ 311 [↑](#footnote-ref-81)
82. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 59 [↑](#footnote-ref-82)
83. انظر: الزمخشري، الكشاف 4/ 692، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 19/ 190. [↑](#footnote-ref-83)
84. انظر: الزحيلي، المنير 30/ 30، السيوطي، أسرار ترتيب القرآن 1/ 153، الخطيب، التفسير القرآني للقرآن 168/ 1446 [↑](#footnote-ref-84)
85. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (3 / 454)، دروزة، التفسير الحديث (5 / 410)، الزحيلي، المنير 30/ 32، بتصرف [↑](#footnote-ref-85)
86. قال ابن الجوزي:" وَالنَّازِعاتِ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تَنْزِعُ أرْواح الكفَّار والثاني: أنه الموت يَنْزِع النفوسَ، قاله مجاهد. والثالث: أنها النفس حين تُنْزَعُ، قاله السدي. والرابع: أنها النجوم والخامس: أنها القِسِيّ تَنْزِع بالسَّهم، قاله عطاء وعكرمة. والسادس: أنها الوحوش تنزع وتنفر، حكاه الماوردي. والسابع: أنها الرّماة". ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 393، بتصرف [↑](#footnote-ref-86)
87. حوى، الأساس في التفسير 11/ 6355 [↑](#footnote-ref-87)
88. انظر هذه المقاصد: البقاعي، نظم الدرر (8 / 308)، مصاعد النظر 3/ 154، التحرير والتنوير (30 / 59)، [↑](#footnote-ref-88)
89. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3812 [↑](#footnote-ref-89)
90. السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع 78 [↑](#footnote-ref-90)
91. قطب، في ظلال القرآن 6 / 3811 [↑](#footnote-ref-91)
92. أظن أنه يقصد إذا جُمعت حروفها. [↑](#footnote-ref-92)
93. البقاعي، مصاعد النظر 3/ 153 [↑](#footnote-ref-93)
94. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 492 [↑](#footnote-ref-94)
95. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 393، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 19/ 190، الآلوسي، روح المعاني 15/ 224 [↑](#footnote-ref-95)
96. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 32 [↑](#footnote-ref-96)
97. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3812 [↑](#footnote-ref-97)
98. انظر: الزحيلي، المنير 30/ 39 [↑](#footnote-ref-98)
99. الفراهيدي، العين 4/ 251، وانظر: القاموس المحيط: 1/ 480، ابن منظور، لسان العرب 10/ 444 [↑](#footnote-ref-99)
100. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/ 405 [↑](#footnote-ref-100)
101. انظر: الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر 570 [↑](#footnote-ref-101)
102. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 395، الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 35. وقال أبوحيان:" الناخرة: المصوتة بالريح المجوفة، والنخرة بمعناها، كطامع وطمع، وحاذر وحذر، قاله الفراء وأبو عبيد وأبو حاتم وجماعة.

     وقيل: النخرة: البالية المتعفنة الصائرة رميما. نخر العود والعظم: بلي وتفتت، فمعناه مغاير للناخرة، وهو قول الأكثرين. وقال أبو عمرو بن العلاء: الناخرة: التي لم تنخر بعد، والنخرة: التي قد بليت"أبو حيان، البحر المحيط 10/ 393 [↑](#footnote-ref-102)
103. الزمخشري، الكشاف 4/ 694 [↑](#footnote-ref-103)
104. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 69، بتصرف [↑](#footnote-ref-104)
105. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 69، بتصرف [↑](#footnote-ref-105)
106. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 71، بتصرف [↑](#footnote-ref-106)
107. انظر: العين 4/ 7 [↑](#footnote-ref-107)
108. القاموس المحيط 1/ 412 [↑](#footnote-ref-108)
109. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 109 [↑](#footnote-ref-109)
110. انظر: الطبري، جامع البيان 24/ 196، ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 395، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 314 [↑](#footnote-ref-110)
111. انظر: المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-111)
112. انظر: المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-112)
113. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 314 [↑](#footnote-ref-113)
114. وقال الرازي:" الفاء في قوله: فإذا هم متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة، يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فإنها سهلة هينة في قدرته"31/ 37 [↑](#footnote-ref-114)
115. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 73، بتصرف [↑](#footnote-ref-115)
116. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 37، بتصرف [↑](#footnote-ref-116)
117. الفراهيدي، العين5/ 318 [↑](#footnote-ref-117)
118. القاموس المحيط 1/ 943 [↑](#footnote-ref-118)
119. الأزهري، تهذيب اللغة 10/ 51، ابن منظور، لسان العرب 10/ 444 [↑](#footnote-ref-119)
120. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 102 [↑](#footnote-ref-120)
121. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 45، [↑](#footnote-ref-121)
122. الدر المصون 10/ 678 [↑](#footnote-ref-122)
123. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 85 وقال الزنداني:"لم يعرف الإنسان مقدار ارتفاع السماء إلا بعد كشف العلم عن مواقع بعض النجوم فعرفنا أن السماء مرتفعة وليست قريبة كما يظن النظر المجرد". توحيد الخالق 280 [↑](#footnote-ref-123)
124. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 85، بتصرف [↑](#footnote-ref-124)
125. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 83، [↑](#footnote-ref-125)
126. ابن منظور، لسان العرب 6/ 324 [↑](#footnote-ref-126)
127. الفراهيدي، العين 4/ 358 [↑](#footnote-ref-127)
128. الأزهري، تهذيب اللغة 8/ 40 [↑](#footnote-ref-128)
129. ابن منظور، لسان العرب 6/ 324 [↑](#footnote-ref-129)
130. ابن فارس، مقاييس اللغة 4/ 429 [↑](#footnote-ref-130)
131. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 400 [↑](#footnote-ref-131)
132. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 85 [↑](#footnote-ref-132)
133. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 45 [↑](#footnote-ref-133)
134. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 46 [↑](#footnote-ref-134)
135. الزنداني، علم الإيمان 237 [↑](#footnote-ref-135)
136. انظر: ابن منظور، لسان العرب 14/ 251 [↑](#footnote-ref-136)
137. الأزهري، تهذيب اللغة 5/ 124، وانظر: القاموس المحيط 1/ 1282 [↑](#footnote-ref-137)
138. ابن فارس، مقاييس اللغة 2/ 333 [↑](#footnote-ref-138)
139. الدر المصون 10/ 379 [↑](#footnote-ref-139)
140. الزنداني، توحيد الخالق 281 [↑](#footnote-ref-140)
141. ومن هنا ندرك عدم دقة العلامة ابن عاشور في كلامه:" والبعدية ظاهرها تأخر زمان حصول الفعل، وهذه الآية أظهر في الدلالة على أن الأرض خلقت بعد السماوات وهو قول قتادة ومقاتل والسدي، وهو الذي تؤيده أدلة علم الهيئة. وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات في سورة البقرة [29]، وما ورد من الآيات مما ظاهره كظاهر آية سورة البقرة تأويله واضح. ويجوز أن تكون البعدية مجازا في نزول رتبة ما أضيف إليه بعد عن رتبة ما ذكر قبله كقوله تعالى: عتل بعد ذلك زنيم [القلم: 13] ". [↑](#footnote-ref-141)
142. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 1/ 213 [↑](#footnote-ref-142)
143. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 1/ 215، وصحيح البخاري 6/127 [↑](#footnote-ref-143)
144. انظر: النجار، د. زغلول، الاشارات الكونية في القران الكريم، مجلة قضايا وآراء، العدد 126. السنة 2002/ 4/مارس. [↑](#footnote-ref-144)
145. الأزهري، تهذيب اللغة 13/ 209، القاموس المحيط 1/ 1133، ابن منظور، لسان العرب 12/ 370 [↑](#footnote-ref-145)
146. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 406 [↑](#footnote-ref-146)
147. انظر هذه الأقوال: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 397، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 401، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 19/ 206 [↑](#footnote-ref-147)
148. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-148)
149. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 90 بتصرف [↑](#footnote-ref-149)
150. انظر: ابن منظور، لسان العرب 12/ 370 [↑](#footnote-ref-150)
151. وفي هذا وعيد شديد للكفار الذين يسهرون على الكفر ومحاربة الله ورسوله. [↑](#footnote-ref-151)
152. النجار، د. زغلول النجار، مجلة قضايا وآراء، العدد 126، السنة: 29/أكتوبر/ 2001. [↑](#footnote-ref-152)
153. وبين لفظتي "الساهرة" و "دحاها" تناسب إذ كلتاهما تدل على الارض المستوية. [↑](#footnote-ref-153)
154. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 101 [↑](#footnote-ref-154)
155. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 101 [↑](#footnote-ref-155)
156. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 399، تفسير ابن كثير8/ 319 [↑](#footnote-ref-156)
157. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 101 [↑](#footnote-ref-157)
158. المستدرك على الصحيحين للحاكم (3857 ) صحيح، صحيح ابن حبان (536 ). [↑](#footnote-ref-158)
159. انظر: الخطيب، التفسير القرآني 16/ 1446، الخطيب، التفسير المنير 30/ 56 [↑](#footnote-ref-159)
160. ابن عاشور، التحرير والتنوير (30 / 101)، الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 496، الزحيلي، المنير 30/ 57، المهذب1/ 167 [↑](#footnote-ref-160)
161. مسلم، صحيح مسلم، 1/ 159 برقم 287 [↑](#footnote-ref-161)
162. انظر: البقاعي، نظم الدرر (8 / 323)، الصابوني، صفوة التفاسير (3 / 458)، [↑](#footnote-ref-162)
163. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3821 [↑](#footnote-ref-163)
164. دروزة، التفسير الحديث 2/ 122 [↑](#footnote-ref-164)
165. الصابوني، صفوة التفاسير 3/497 [↑](#footnote-ref-165)
166. قال الرازي:" أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى، هو الرسول عليه الصلاة والسلام، وأجمعوا [على] أن الأعمى هو ابن أم مكتوم"31/ 53 [↑](#footnote-ref-166)
167. ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب 20/170 [↑](#footnote-ref-167)
168. الفراهيدي، العين 5/ 52 [↑](#footnote-ref-168)
169. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/ 100، بتصرف [↑](#footnote-ref-169)
170. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 403، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 324 [↑](#footnote-ref-170)
171. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 403، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 324 [↑](#footnote-ref-171)
172. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 131، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب31/ 60 [↑](#footnote-ref-172)
173. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3833 [↑](#footnote-ref-173)
174. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 131 [↑](#footnote-ref-174)
175. الرازي، مفاتيح الغيب31/ 59 [↑](#footnote-ref-175)
176. ابن فارس، مقاييس اللغة 1/ 6، بتصرف [↑](#footnote-ref-176)
177. انظر: الأزهري، تهذيب اللغة 15/ 430، ابن منظور، لسان العرب1/ 402 [↑](#footnote-ref-177)
178. انظرهذه الأقوال: السيوطي، الدر المنثور 8/ 421، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 324 [↑](#footnote-ref-178)
179. انظرهذه الأقوال: السيوطي، الدر المنثور 8/ 421، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 324 [↑](#footnote-ref-179)
180. السيوطي، الدر المنثور 8/ 421، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 324، وقد نقل ابن كثير قول أبي بكر الصديق في تفسير الأب:" أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم". وقال:"وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق" [↑](#footnote-ref-180)
181. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3833 [↑](#footnote-ref-181)
182. الطبري، جامع البيان 24/ 229 [↑](#footnote-ref-182)
183. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 325 [↑](#footnote-ref-183)
184. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 133 بتصرف [↑](#footnote-ref-184)
185. الزمخشري، الكشاف4/ 705 [↑](#footnote-ref-185)
186. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 131 [↑](#footnote-ref-186)
187. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 134 [↑](#footnote-ref-187)
188. الفراهيدي، العين4/ 135 [↑](#footnote-ref-188)
189. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 282، بتصرف [↑](#footnote-ref-189)
190. انظر: الأزهري، تهذيب اللغة 6/ 293، ابن منظور، لسان العرب 3/ 33 [↑](#footnote-ref-190)
191. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 325 [↑](#footnote-ref-191)
192. الطبري، جامع البيان 4/ 231 [↑](#footnote-ref-192)
193. الطبري، جامع البيان 24/ 232 [↑](#footnote-ref-193)
194. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 135 [↑](#footnote-ref-194)
195. قال الرازي:" فمعنى الصاخة الصاكة بشدة صوتها للآذان، وذكر صاحب «الكشاف» وجها آخر فقال: يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له، فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها أي يستمعون". تفسير الرازي 31/ 61 [↑](#footnote-ref-195)
196. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 454 [↑](#footnote-ref-196)
197. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 135 [↑](#footnote-ref-197)
198. السيوطي، الاتقان 1/ 223 [↑](#footnote-ref-198)
199. الزمخشري، الكشاف 4/ 706 [↑](#footnote-ref-199)
200. انظر: الزمخشري، الكشاف 4/ 706، ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 139 [↑](#footnote-ref-200)
201. الترمذي، سنن الترمذي، 5/ 433 برقم 3333، قال الألباني في تعليقه عليه: صحيح. [↑](#footnote-ref-201)
202. انظر: السيوطي، أسرار ترتيب القرآن 1/ 153، الخطيب، التفسير القرآني للقرآن 16/ 1466، والمنير 30/ 79 [↑](#footnote-ref-202)
203. انظر: قطب، في ظلال القرآن 6/ 3836، دروزة، التفسير الحديث (1 / 499) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (15 / 1466)، صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 462). [↑](#footnote-ref-203)
204. البقاعي، نظم الدرر (8 / 335) [↑](#footnote-ref-204)
205. انظر: قطب، في ظلال القرآن 6/ 3837، [↑](#footnote-ref-205)
206. انظر:قطب، في ظلال القرآن 6/ 3837، [↑](#footnote-ref-206)
207. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 150 [↑](#footnote-ref-207)
208. البقاعي، مصاعد النظر 3/ 160 [↑](#footnote-ref-208)
209. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 501، الزحيلي، المنير 30/ 88. [↑](#footnote-ref-209)
210. ابن فارس، مقاييس اللغة 6/ 78 [↑](#footnote-ref-210)
211. الزمخشري، الكشاف 4/ 708 [↑](#footnote-ref-211)
212. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/ 164 [↑](#footnote-ref-212)
213. انظر: الأزهري، تهذيب اللغة 10/ 63، ابن منظور، لسان العرب 5/ 135 [↑](#footnote-ref-213)
214. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 406، الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 63، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 413 [↑](#footnote-ref-214)
215. قال ابن عاشور:" وصيغة الماضي في الجمل الثنتي عشرة الواردة شروطا ل إذا مستعملة في معنى الاستقبال تنبيها على تحقق وقوع الشرط" ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 141 [↑](#footnote-ref-215)
216. الأزهري، تهذيب اللغة 5/ 94 [↑](#footnote-ref-216)
217. ابن منظور، لسان العرب 6/ 368 [↑](#footnote-ref-217)
218. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 337، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 412، الآلوسي، روح المعاني 15/ 262 [↑](#footnote-ref-218)
219. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-219)
220. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-220)
221. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 143 [↑](#footnote-ref-221)
222. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 143 [↑](#footnote-ref-222)
223. الفراهيدي، العين 5/ 289 [↑](#footnote-ref-223)
224. الأزهري، تهذيب اللغة 10/ 7، ابن منظور، لسان العرب 7/ 387 [↑](#footnote-ref-224)
225. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/ 184 [↑](#footnote-ref-225)
226. انظر هذه الأقوال: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 407، الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 66، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 335، الشوكاني، فتح القدير 5/ 471 [↑](#footnote-ref-226)
227. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 417 [↑](#footnote-ref-227)
228. الفراهيدي، العين 5/ 312 [↑](#footnote-ref-228)
229. الأزهري، تهذيب اللغة 10/ 39 [↑](#footnote-ref-229)
230. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/ 141 [↑](#footnote-ref-230)
231. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 68، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 337، الزمخشري، الكشاف 4/ 710 [↑](#footnote-ref-231)
232. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 68 [↑](#footnote-ref-232)
233. الزمخشري، الكشاف 4/ 711 [↑](#footnote-ref-233)
234. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 408، الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 68، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 337، الزمخشري، الكشاف 4/ 710 [↑](#footnote-ref-234)
235. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 4/ 407 [↑](#footnote-ref-235)
236. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 152 [↑](#footnote-ref-236)
237. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 153، وقد حصل من مجموع الأوصاف الثلاث ما يشبه اللغز يحسب به أن الموصوفات ظباء أو وحوش لأن تلك الصفات حقائقها من أحوال الوحوش، والألغاز طريقة مستملحة عند بلغاء العرب وهي عزيزة في كلامهم. [↑](#footnote-ref-237)
238. انظر: النجارـ مجلة قضايا وآراء، الإشارات الكونية في القرآن الكريم، السنة: 6/اغسطس/ 2001. وقال:" يعرف الثقب الاسود بأنه أحد أجرام السماء التي تتميز بكثافتها الفائقة وجاذبيتها الشديدة بحيث لا يمكن للمادة ولا لمختلف صور الطاقة ومنها الضوء أن تفلت من أسرها" [↑](#footnote-ref-238)
239. ابن فارس، مقاييس اللغة 4/ 42 [↑](#footnote-ref-239)
240. أساس البلاغة 652 [↑](#footnote-ref-240)
241. الأزهري، تهذيب اللغة 1/ 62 [↑](#footnote-ref-241)
242. ابن فارس، مقاييس اللغة 4/ 43 [↑](#footnote-ref-242)
243. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 4/ 479 [↑](#footnote-ref-243)
244. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 408، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 4/ 394 [↑](#footnote-ref-244)
245. قال المبرد والخليل: هو من الأضداد يقال: عسعس، إذا أقبل ظلامه، وعسعس، إذا أدبر ظلامه. انظر: ابن منظور، لسان العرب 6/ 139 [↑](#footnote-ref-245)
246. ابن عطية، المحرر الوجيز 5/ 444 [↑](#footnote-ref-246)
247. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 154 [↑](#footnote-ref-247)
248. الأزهري، تهذيب اللغة 1/ 321 [↑](#footnote-ref-248)
249. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 357 [↑](#footnote-ref-249)
250. ابن منظور، لسان العرب 13/ 261 [↑](#footnote-ref-250)
251. القاسمي، محاسن التأويل 9/420 [↑](#footnote-ref-251)
252. انظر: إتحاف فضلاء البشر 573، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 419 [↑](#footnote-ref-252)
253. انظر: القاسمي، محاسن التأويل 9/420 [↑](#footnote-ref-253)
254. لكن قال الزمخشري: "هو في مصحف أُبيّ بالضاد وفي مصحف ابن مسعود بالظاء" الزمخشري، الكشاف 4/713. وقد تفرد الزمخشري في هذا الأمر. [↑](#footnote-ref-254)
255. الطبري، جامع البيان 24/ 262 [↑](#footnote-ref-255)
256. انظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن 2/ 288 [↑](#footnote-ref-256)
257. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 339 [↑](#footnote-ref-257)
258. الزجاج، معاني القرآن 5/ 293 [↑](#footnote-ref-258)
259. وقال ابن عاشور:" ويتعلق على الغيب بقوله: بضنين وحرف (على) على هذا الوجه بمعنى الباء مثل قوله تعالى: (حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق) [الأعراف: 105] أي حقيق بي، أو لتضمين «ضنين» معنى حريص، والحرص: شدة البخل وما محمد بكاتم شيئا من الغيب فما أخبركم به فهو عين ما أوحيناه إليه".ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 162 [↑](#footnote-ref-259)
260. الإتقان 1/ 51 [↑](#footnote-ref-260)
261. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 187 [↑](#footnote-ref-261)
262. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 187 [↑](#footnote-ref-262)
263. الواحدي، أسباب النزول 1/ 452، وانظر: المستدرك للحاكم 2/ 38 وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح**.** [↑](#footnote-ref-263)
264. انظر: السيوطي، أسرار ترتيب القرآن 1/ 156، الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (15 / 1486) الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 509، الزحيلي، المنير 30/ 109 [↑](#footnote-ref-264)
265. انظر الصابوني، صفوة التفاسير (3 / 467)، دروزة، التفسير الحديث (5 / 507) المهذب 1/ 306 [↑](#footnote-ref-265)
266. دروزة، التفسير الحديث ج5، ص: 508 [↑](#footnote-ref-266)
267. انظر: قطب، في ظلال القرآن 6/ 3854 [↑](#footnote-ref-267)
268. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 189 [↑](#footnote-ref-268)
269. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 85 [↑](#footnote-ref-269)
270. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 509 [↑](#footnote-ref-270)
271. قطب، فى ظلال القرآن (6 / 3854) بتصرف [↑](#footnote-ref-271)
272. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 405 [↑](#footnote-ref-272)
273. الأزهري، تهذيب اللغة 13/ 206 [↑](#footnote-ref-273)
274. انظر: الزمخشري، الكشاف 4/ 719، ابن عطية، المحرر الوجيز 5/ 449 [↑](#footnote-ref-274)
275. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 460 [↑](#footnote-ref-275)
276. قال الرازي:" الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فأحدهما يدل على الآخر".تفسير الرازي 31/83 [↑](#footnote-ref-276)
277. الطبراني، المعجم الكبير 11/ 25، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف الجامع 1/ 306 [↑](#footnote-ref-277)
278. انظر: الذهبي، الكبائر 1/ 156 [↑](#footnote-ref-278)
279. قطب، في ظلال القرآن 6/3855 [↑](#footnote-ref-279)
280. النيسابوري، تفسير النيسابوري 6/ 464 [↑](#footnote-ref-280)
281. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 189 [↑](#footnote-ref-281)
282. من المفردات التي لم يذكرها صاحب معجم الفرائد لأنه اعتبر أن جذره "سجن" وقد تكرر في القرآن، وأنا ذكرته للخلاف في اشتقاقه. [↑](#footnote-ref-282)
283. ابن منظور، لسان العرب 30/ 302، بتصرف [↑](#footnote-ref-283)
284. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 137 [↑](#footnote-ref-284)
285. الأزهري، تهذيب اللغة 10/ 314 [↑](#footnote-ref-285)
286. انظر هذه الأقوال: ابن منظور، لسان العرب 30/ 203 [↑](#footnote-ref-286)
287. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 195 [↑](#footnote-ref-287)
288. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 415. [↑](#footnote-ref-288)
289. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 415. [↑](#footnote-ref-289)
290. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 415. [↑](#footnote-ref-290)
291. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 415. [↑](#footnote-ref-291)
292. ابن منظور، لسان العرب 11/ 327 [↑](#footnote-ref-292)
293. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 87 [↑](#footnote-ref-293)
294. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 461 [↑](#footnote-ref-294)
295. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 195 [↑](#footnote-ref-295)
296. ابن عاشور، التحرير والتنوير وقال:" إن كان على ظاهر الظرفية كان المعنى أن كتب أعمال الفجار مودعة في مكان اسمه سجين أو وصفه سجين وذلك يؤذن بتحقيره، أي تحقير ما احتوى عليه من أعمالهم المكتوبة فيه، وعلى هذا حمله كثير من المتقدمين".30/ 195 [↑](#footnote-ref-296)
297. انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة 2/ 470 [↑](#footnote-ref-297)
298. انظر هذه الأقوال: الأزهري، تهذيب اللغة 15/ 163، ابن منظور، لسان العرب 13/ 193 [↑](#footnote-ref-298)
299. انظر هذه الأقوال: الأزهري، تهذيب اللغة 15/ 163، ابن منظور، لسان العرب 13/ 193 [↑](#footnote-ref-299)
300. الترمذي، سنن الترمذي 5/ 434 [↑](#footnote-ref-300)
301. الرازي، مفاتيح الغيب، 31/ 88 [↑](#footnote-ref-301)
302. انظر هذه الأقوال: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 350، السيوطي، الدر المنثور 8/ 447 [↑](#footnote-ref-302)
303. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 88 [↑](#footnote-ref-303)
304. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 199 [↑](#footnote-ref-304)
305. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 200 [↑](#footnote-ref-305)
306. ابن فارس، مقاييس اللغة 2/ 497 [↑](#footnote-ref-306)
307. ابن منظور، لسان العرب 10/ 114 [↑](#footnote-ref-307)
308. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 417 [↑](#footnote-ref-308)
309. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 417 [↑](#footnote-ref-309)
310. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 417 [↑](#footnote-ref-310)
311. الرازي، مفاتيح الغيب 13/ 93، بتصرف [↑](#footnote-ref-311)
312. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 207 [↑](#footnote-ref-312)
313. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 206 [↑](#footnote-ref-313)
314. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل2/ 462 وقال ابن عاشور:" وكانوا يمزجون الخمر لئلا تغلبهم سورتها فيسرع إليهم مغيب العقول لأنهم يقصدون تطويل حصة النشوة للالتذاذ بدبيب السكر في العقل".30/ 207 [↑](#footnote-ref-314)
315. ابن منظور، لسان العرب 12/ 306 [↑](#footnote-ref-315)
316. انظر: السيوطي، الدر المنثور 8/ 452، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 353 [↑](#footnote-ref-316)
317. انظر: المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-317)
318. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 208 [↑](#footnote-ref-318)
319. أو للتبعيض انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 208 [↑](#footnote-ref-319)
320. ابن منظور، لسان العرب 12/ 307 [↑](#footnote-ref-320)
321. انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة 4/ 394، بتصرف [↑](#footnote-ref-321)
322. ابن منظور، لسان العرب 5/ 388 [↑](#footnote-ref-322)
323. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 211 بتصرف [↑](#footnote-ref-323)
324. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 463 [↑](#footnote-ref-324)
325. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 94 [↑](#footnote-ref-325)
326. دروزة، التفسير الحديث 5 / 512 [↑](#footnote-ref-326)
327. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/428 الشوكاني، فتح القدير 5/ 507، ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 358 [↑](#footnote-ref-327)
328. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 257، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 7/ 469 [↑](#footnote-ref-328)
329. الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 520، السيوطي، أسرار ترتيب القرآن 1/ 157 [↑](#footnote-ref-329)
330. المراغي، تفسير المراغي (30 / 109) [↑](#footnote-ref-330)
331. الصابوني، صفوة التفاسير (3 / 477) [↑](#footnote-ref-331)
332. دروزة، التفسير الحديث 2 / 267، و المهذَّب 1/ 437 [↑](#footnote-ref-332)
333. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 258 [↑](#footnote-ref-333)
334. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3877 [↑](#footnote-ref-334)
335. قطب، في ظلال القرآن 6/3878 [↑](#footnote-ref-335)
336. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 117 [↑](#footnote-ref-336)
337. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 258 [↑](#footnote-ref-337)
338. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/259 [↑](#footnote-ref-338)
339. الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 520 [↑](#footnote-ref-339)
340. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 258 [↑](#footnote-ref-340)
341. الذي يثقب الظلام بشعاعه النافذ. وهذا الوصف ينطبق على جنس النجم. ولا سبيل إلى تحديد نجم بذاته من هذا النص، ولا ضرورة لهذا التحديد. بل إن الإطلاق أولى. [↑](#footnote-ref-341)
342. ولم تبين الآية من هو الحافظ، فقال بعض المفسرين: إن ذلك الحافظ هو الله تعالى، وقال آخرون: إن ذلك الحافظ هم الملائكة. [↑](#footnote-ref-342)
343. ويحتمل ذلك وله توجيه قوي كما سيأتي. [↑](#footnote-ref-343)
344. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3880 [↑](#footnote-ref-344)
345. الفراهيدي، العين 5/ 120 [↑](#footnote-ref-345)
346. ابن فارس، مقاييس اللغة 2/ 286 [↑](#footnote-ref-346)
347. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 451 [↑](#footnote-ref-347)
348. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 429، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 451، ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 262 [↑](#footnote-ref-348)
349. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 262 [↑](#footnote-ref-349)
350. ابن عطية، المحرر الوجيز 5/ 465 [↑](#footnote-ref-350)
351. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 451 [↑](#footnote-ref-351)
352. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 119، الآلوسي، روح المعاني 15/ 308 [↑](#footnote-ref-352)
353. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 262 [↑](#footnote-ref-353)
354. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 263 [↑](#footnote-ref-354)
355. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 6/ 360، الشوكاني، فتح القدير 5/ 509 [↑](#footnote-ref-355)
356. ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، 41/ 156، برقم 24610، تعليق شعيب الأرنؤوط: حسن. [↑](#footnote-ref-356)
357. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 121 [↑](#footnote-ref-357)
358. الفراهيدي، العين 4/ 14 [↑](#footnote-ref-358)
359. ابن فارس، مقاييس اللغة 6/ 51 [↑](#footnote-ref-359)
360. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 430 [↑](#footnote-ref-360)
361. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 123 [↑](#footnote-ref-361)
362. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 266 [↑](#footnote-ref-362)
363. الزحيلي، المنير 30 / 183 [↑](#footnote-ref-363)
364. البخاري، الصحيح الجامع 1/ 27، برقم 79. [↑](#footnote-ref-364)
365. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 266، بتصرف ثم قال ابن عاشور:" والصدع: الشق، وهو مصدر بمعنى المفعول، أي المصدوع عنه، وهو النبات الذي يخرج من شقوق الأرض...ولأن في هذين الحالين إيماء إلى دليل آخر من دلائل إحياء الناس للبعث فكان في هذا القسم دليلان" 30/ 266 [↑](#footnote-ref-365)
366. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3880 [↑](#footnote-ref-366)
367. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 293 [↑](#footnote-ref-367)
368. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 293 [↑](#footnote-ref-368)
369. مصنف ابن أبي شيبة (14 / 264) (37627)، وأحمد في المسند 18/ 146 برقم 18433 قال شعيب الأرناؤوط: تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير حبيب بن سالم فمن رجال مسلم. [↑](#footnote-ref-369)
370. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (3 / 482)، [↑](#footnote-ref-370)
371. دروزة، التفسير الحديث، ج 5، ص: 45 [↑](#footnote-ref-371)
372. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 293، [↑](#footnote-ref-372)
373. قطب، فى ظلال القرآن ـ (6 / 3895) [↑](#footnote-ref-373)
374. قطب، في ظلال القرآن 6 / 3895 [↑](#footnote-ref-374)
375. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 527 [↑](#footnote-ref-375)
376. ابن منظور، لسان العرب 10/361 [↑](#footnote-ref-376)
377. ابن منظور، لسان العرب 10/361 بتصرف [↑](#footnote-ref-377)
378. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 143، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 386 [↑](#footnote-ref-378)
379. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 302 [↑](#footnote-ref-379)
380. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 303 [↑](#footnote-ref-380)
381. الفراهيدي، العين 7/ 362 [↑](#footnote-ref-381)
382. ابن منظور، لسان العرب 1/447 [↑](#footnote-ref-382)
383. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 143 [↑](#footnote-ref-383)
384. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 477 [↑](#footnote-ref-384)
385. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 435 [↑](#footnote-ref-385)
386. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 302 [↑](#footnote-ref-386)
387. و فيه ستة أقوال: أحدها: أنه نبت ذو شوك لاطئ بالأرض، وتسميه قريش «الشِّبْرِق» فإذا هاج سموه: ضريعاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنه شجر من نار، رواه الوالبي عن ابن عباس. والثالث: أنها الحجارة، قاله ابن جبير. والرابع: أنه السَّلَم، قاله أبو الجوزاء. والخامس: أنه في الدنيا: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار، قاله ابن زيد. والسادس: أنه طعام يضرعون إلى الله تعالى منه، قاله ابن كيسان. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 435 [↑](#footnote-ref-387)
388. انظر مثلاً كلمات حروفها قريبة صوتاً من هاتين الكلمتين: النمرة وهي بردة مخططة، الأزهري، تهذيب اللغة 15/158، والنمير من الماء: العذب 15/157. أما الزراب فقريب منه صوتاً كلمة الزراح: وهو النشيط الحركة 4/209. و الزراز: الوقَّاد 13/112. والصرب: الصمغ الأحمر 12/126. فهي تعطي معاني ذات بهجة. [↑](#footnote-ref-388)
389. الفراهيدي، العين 3/ 129 [↑](#footnote-ref-389)
390. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 72 [↑](#footnote-ref-390)
391. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 306 [↑](#footnote-ref-391)
392. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 145 [↑](#footnote-ref-392)
393. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3899 [↑](#footnote-ref-393)
394. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 461 [↑](#footnote-ref-394)
395. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 304 [↑](#footnote-ref-395)
396. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير بتصرف 30/ 305 [↑](#footnote-ref-396)
397. انظر: البقاعي، نظم الدرر 22/ 16 [↑](#footnote-ref-397)
398. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 311، بتصرف [↑](#footnote-ref-398)
399. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 311 [↑](#footnote-ref-399)
400. الصابوني، صفوة التفاسير (3 / 485)، دروزة، التفسير الحديث (1 / 531)، المهذب 1/ 539، بتصرف [↑](#footnote-ref-400)
401. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 313، بتصرف [↑](#footnote-ref-401)
402. سيد قطب، فى ظلال القرآن (6 / 3902) [↑](#footnote-ref-402)
403. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3903 [↑](#footnote-ref-403)
404. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 323 [↑](#footnote-ref-404)
405. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 532، الزحيلي، المنير 27/ 26 [↑](#footnote-ref-405)
406. قال سيد قطب:" أطلقها النص القرآني ووردت فيها روايات شتى. قيل هي العشر من ذي الحجة، وقيل هي العشر من المحرم. وقيل هي العشر من رمضان. وإطلاقها هكذا أوقع وأندى. فهي ليال عشر يعلمها الله. ولها عنده شأن. تلقي في السياق ظل الليلات ذات الشخصية الخاصة. وكأنها خلائق حية معينة ذوات أرواح، تعاطفنا ونعاطفها من خلال التعبير القرآني الرفاف!". 6/ 3902 [↑](#footnote-ref-406)
407. تعددت أقوال المفسرين في ذلك وأحسنها أن الشفع والوتر أي: الزوج والفرد من كل الأشياء، ومنها هذه الليالي، أي بما حوته من زوج وفرد. [↑](#footnote-ref-407)
408. قال سيد قطب:" أما المقسم عليه بذلك القسم، فقد طواه السياق، ليفسره ما بعده، فهو موضوع الطغيان والفساد، وأخذ ربك لأهل الطغيان والفساد، فهو حق واقع يقسم عليه بذلك القسم في تلميح يناسب لمسات السورة الخفيفة على وجه الإجمال". قطب، في ظلال القرآن 6/ 3903 [↑](#footnote-ref-408)
409. ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، 10/ 3429 [↑](#footnote-ref-409)
410. ابن فارس، مقاييس اللغة 1/ 86، بتصرف [↑](#footnote-ref-410)
411. انظر هذه الأقوال: الأزهري، تهذيب اللغة 15/ 216، ابن منظور، لسان العرب 12/ 14 [↑](#footnote-ref-411)
412. قال الرازي:" عاد هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، ثم إنهم جعلوا لفظة عاد اسما للقبيلة كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني تميم تميم، ثم قالوا للمتقدمين من هذه القبيلة عاد الأولى قال تعالى: وأنه أهلك عادا الأولى [النجم: 50] وللمتأخرين عاد الأخيرة... وكانت منازلها بين عُمان إلى حضر موت وهي بلاد الرمال والأحقاف" 31/ 152 [↑](#footnote-ref-412)
413. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 471 [↑](#footnote-ref-413)
414. وهذا مثال على أن السياق قد يرجح المعنى المحتمل للمفردة. [↑](#footnote-ref-414)
415. قال الرازي:" وأما إرم فهو اسم لجد عاد، وفي المراد منه في هذه الآية أقوال: أحدها: أن المتقدمين من قبيلة عاد كانوا يسمون بعاد الأولى فلذلك يسمون بإرم تسمية لهم باسم جدهم والثاني: أن إرم اسم لبلدتهم التي كانوا فيها...والثالث: أن إرم أعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئة المنارة وعلى هيئة القبور" 13/ 152. وقال مجاهد أيضا:" إرم معناه القديمة". أبو حيان، البحر المحيط 10/ 471 [↑](#footnote-ref-415)
416. التحرير والتنوير 30/ 319، بتصرف [↑](#footnote-ref-416)
417. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 320 [↑](#footnote-ref-417)
418. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 153، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 468 [↑](#footnote-ref-418)
419. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 472 [↑](#footnote-ref-419)
420. قال ابن عاشور:" والرؤية في ألم تر يجوز أن تكون رؤية علمية تشبيها للعلم اليقيني بالرؤية في الوضوح والانكشاف لأن أخبار هذه الأمم شائعة مضروبة بها المثل فكأنها مشاهدة. ويجوز أن تكون الرؤية بصرية والمعنى: ألم تر آثار ما فعل ربك بعاد" 30/ 318 [↑](#footnote-ref-420)
421. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 318، بتصرف [↑](#footnote-ref-421)
422. أبو حيان، البحر المحيط 31/ 153، بتصرف [↑](#footnote-ref-422)
423. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/116، بتصرف [↑](#footnote-ref-423)
424. انظر: الأزهري، تهذيب اللغة 13/ 19، ابن منظور، لسان العرب [↑](#footnote-ref-424)
425. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 468 [↑](#footnote-ref-425)
426. قال ابن عاشور:" والسوط: آلة ضرب تتخذ من جلود مضفورة تضرب بها الخيل للتأديب ولتحملها على المزيد في الجري".30/ 322 [↑](#footnote-ref-426)
427. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 154 [↑](#footnote-ref-427)
428. ابن عاشور، التحرير والتنوير30/ 322، بتصرف [↑](#footnote-ref-428)
429. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 322، بتصرف [↑](#footnote-ref-429)
430. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 473 [↑](#footnote-ref-430)
431. الزمخشري، الكشاف 4/ 748 [↑](#footnote-ref-431)
432. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 323، [↑](#footnote-ref-432)
433. مقا ييس اللغة 1/ 420، بتصرف [↑](#footnote-ref-433)
434. انظر: الأزهري، تهذيب اللغة 10/ 275 [↑](#footnote-ref-434)
435. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 158 [↑](#footnote-ref-435)
436. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 468 [↑](#footnote-ref-436)
437. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 334 [↑](#footnote-ref-437)
438. معنى اللم الجمع.انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 157 [↑](#footnote-ref-438)
439. وهذا خارج عن شرط البحث. [↑](#footnote-ref-439)
440. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 334 [↑](#footnote-ref-440)
441. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 345 [↑](#footnote-ref-441)
442. انظر: الزمخشري، الكشاف 4/ 753، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/ 59، ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 345 [↑](#footnote-ref-442)
443. انظر: التفسير المنير 30/ 241، المراغي، تفسير المراغي 30/ 155 [↑](#footnote-ref-443)
444. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، التفسير المنير 30/ 255، المهذب 1/ 600 [↑](#footnote-ref-444)
445. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30 / 345 بتصرف [↑](#footnote-ref-445)
446. دروزة، التفسير الحديث (2 / 253). حجازي، التفسير الواضح (3 / 864) [↑](#footnote-ref-446)
447. قطب، فى ظلال القرآن 6 / 3908 [↑](#footnote-ref-447)
448. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3/537، التفسير المنير 30/ 243 [↑](#footnote-ref-448)
449. قوله عزّ وجلّ: لا أُقْسِمُ قال الزجاج: المعنى: أقسم. و «لا» دخلت توكيدا. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 446 [↑](#footnote-ref-449)
450. في تفسير الوالد وما ولد أقوال أحسنها أن الوالد هو إبراهيم والولد ذريته ومنهم إسماعيل ومحمد وهذا المناسب لجو السورة قال ابن الجوزي:" فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه آدم. والثاني: إنّ الوالد إبراهيم، وما ولد: والثالث: أنه عامٌّ في كل والدٍ وما ولد". انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 446، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 4/ 607 ورجح ابن كثير الأول حيث قال:"لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده". وما قاله ابن كثير بعيد لأنه غير مناسب لجو السورة. [↑](#footnote-ref-450)
451. وهنا ندرك عدم دقة الاستاذ دروزة حين قال في التفسير الحديث (2 / 254):"وهنا ندرك بعض السر فى نفى القسم بالبلد الحرام.. لقد جعله المشركون بلدا غير حرام، وغيروا صفته التي له، حتى لقد صار هذا البلد غير أهل لأن يقسم به من الله سبحانه...." فالله لم ينف القسم بالبلد الحرام. [↑](#footnote-ref-451)
452. قال الآلوسي:" أي يقول فخراً ومباهاة على المؤمنين: أنفقت مالاً كثيراً، وأراد بذلك ما أنفقه رياءً وسمعةً" الآلوسي، روح المعاني 15/ 352 [↑](#footnote-ref-452)
453. قال المراغي:" بعد توبيخ الإنسان وذمه على طبائع غريبة وعجيبة، أقام الله تعالى الدليل على كمال قدرته بخلق الأعين واللسان والشفتين والعقل المميز بين الخير والشر... وأدى اختيار الإنسان بالتالي إلى أن يكون من أحد الفريقين". تفسير الشيخ المراغي (30 / 161) [↑](#footnote-ref-453)
454. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 482 [↑](#footnote-ref-454)
455. الفراهيدي، العين 5/ 333 [↑](#footnote-ref-455)
456. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/ 153 [↑](#footnote-ref-456)
457. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 447، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 481 [↑](#footnote-ref-457)
458. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 447، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 481 [↑](#footnote-ref-458)
459. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-459)
460. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 481 [↑](#footnote-ref-460)
461. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 484 [↑](#footnote-ref-461)
462. ابن عطية، المحرر الوجيز 5/ 484 [↑](#footnote-ref-462)
463. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 352، بتصرف [↑](#footnote-ref-463)
464. قال أبوحيان في البحر المحيط:" والجمهور: على أن الإنسان اسم جنس" 10/ 481 [↑](#footnote-ref-464)
465. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 166 [↑](#footnote-ref-465)
466. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 352 [↑](#footnote-ref-466)
467. ابن منظور، لسان العرب 3/ 375 [↑](#footnote-ref-467)
468. انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 170، بتصرف [↑](#footnote-ref-468)
469. ابن منظور، لسان العرب 9/ 180 [↑](#footnote-ref-469)
470. المعجم الوسيط 1/ 488 [↑](#footnote-ref-470)
471. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 482. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآيات جاءت للتهديد والوعيد فهذه الجوارح أوجدها الله في الإنسان لتشهد على أفعاله كما في آية سورة النور: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (24)) وأرى أنَّ هذا المعنى بعيد عن سياق السورة. [↑](#footnote-ref-471)
472. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3910، وقال الرازي:"وعجائب هذه الأعضاء مذكورة في كتب التشريح" نفسير الرازي 31/ 167. [↑](#footnote-ref-472)
473. البقاعي، نظم الدرر 22/ 56 [↑](#footnote-ref-473)
474. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 354، بتصرف [↑](#footnote-ref-474)
475. الفراهيدي، العين 6/ 84 [↑](#footnote-ref-475)
476. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/ 391 [↑](#footnote-ref-476)
477. وانظر: ابن منظور، لسان العرب 3/ 415 [↑](#footnote-ref-477)
478. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 448، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 482 [↑](#footnote-ref-478)
479. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 448، ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 355، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 482 [↑](#footnote-ref-479)
480. ابن عطية، المحرر الوجيز 5/ 484 [↑](#footnote-ref-480)
481. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 448، ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 355، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 482 [↑](#footnote-ref-481)
482. الطبري، جامع البيان 24/ 438 [↑](#footnote-ref-482)
483. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3911 [↑](#footnote-ref-483)
484. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 355، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 482 [↑](#footnote-ref-484)
485. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 355، بتصرف [↑](#footnote-ref-485)
486. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 78 [↑](#footnote-ref-486)
487. انظر: ابن منظور، لسان العرب 1/ 468، بتصرف [↑](#footnote-ref-487)
488. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 408 [↑](#footnote-ref-488)
489. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 479 [↑](#footnote-ref-489)
490. ابن عطية، المحرر الوجيز 5/ 485 [↑](#footnote-ref-490)
491. ابن عطية، المحرر الوجيز 5/ 485، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 483 [↑](#footnote-ref-491)
492. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 483 [↑](#footnote-ref-492)
493. ما عدا الشفتين إلا اذا اعتبرناهما سبباً في إهلاك الإنسان بسبب كلامه. [↑](#footnote-ref-493)
494. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 365 [↑](#footnote-ref-494)
495. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 450، ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 486، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/ 72، ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 365 [↑](#footnote-ref-495)
496. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-496)
497. أبو حيان، البحر المحيط 16/ 299، السيوطي، أسرار ترتيب القرآن 1/ 159، التفسير القرآني للقرآن 16/ 1511، الزحيلي، المنير 27/ 142 [↑](#footnote-ref-497)
498. انظر: المهذب 1/ 633، بتصرف [↑](#footnote-ref-498)
499. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3915 [↑](#footnote-ref-499)
500. الصابوني، صفوة التفاسير 3/539 [↑](#footnote-ref-500)
501. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 445 [↑](#footnote-ref-501)
502. انظر: ابن منظور، لسان العرب 15/ 4 [↑](#footnote-ref-502)
503. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 484 [↑](#footnote-ref-503)
504. الحلبي، الدر المصون 11/21 [↑](#footnote-ref-504)
505. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 176 [↑](#footnote-ref-505)
506. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 368 [↑](#footnote-ref-506)
507. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 171 [↑](#footnote-ref-507)
508. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 176 [↑](#footnote-ref-508)
509. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 176 [↑](#footnote-ref-509)
510. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/217 [↑](#footnote-ref-510)
511. الزبيدي، تاج العروس 33/ 461 [↑](#footnote-ref-511)
512. ابن حبان، صحيح ابن حبان، 3/ 278 برقم 997. حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف الجامع الصغير 11/ 220 برقم 4773. [↑](#footnote-ref-512)
513. الأصفهاني، مفردات القرآن 748 [↑](#footnote-ref-513)
514. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 489 [↑](#footnote-ref-514)
515. الزمخشري، الكشاف 4/ 759 [↑](#footnote-ref-515)
516. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 369 [↑](#footnote-ref-516)
517. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 371 [↑](#footnote-ref-517)
518. ابن فارس، مقاييس اللغة 2/ 260 [↑](#footnote-ref-518)
519. انظر: الأزهري، تهذيب اللغة 14/ 58 [↑](#footnote-ref-519)
520. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 451 [↑](#footnote-ref-520)
521. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 375 [↑](#footnote-ref-521)
522. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 490 [↑](#footnote-ref-522)
523. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3919 [↑](#footnote-ref-523)
524. البخاري، الصحيح الجامع 4/ 107، برقم 3199 [↑](#footnote-ref-524)
525. الآلوسي، روح المعاني 15/ 372 [↑](#footnote-ref-525)
526. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/394 [↑](#footnote-ref-526)
527. البخاري، الصحيح الجامع، 6/ 182، برقم 4983 [↑](#footnote-ref-527)
528. الآلوسي، روح المعاني 15/ 377 [↑](#footnote-ref-528)
529. الشنقيطي، أضواء البيان 8/ 571، وانظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (15 / 1598) [↑](#footnote-ref-529)
530. انظر: المهذب 1/ 689 [↑](#footnote-ref-530)
531. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 193 [↑](#footnote-ref-531)
532. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3925 [↑](#footnote-ref-532)
533. الصابوني، صفوة التفاسير 3/546 [↑](#footnote-ref-533)
534. الفراهيدي، العين 6/162 [↑](#footnote-ref-534)
535. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/173 [↑](#footnote-ref-535)
536. ابن منظور، لسان العرب 14/ 371 [↑](#footnote-ref-536)
537. انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 490، ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 457، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 425، الآلوسي، روح المعاني 15/ 376 [↑](#footnote-ref-537)
538. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 191 [↑](#footnote-ref-538)
539. البيهقي، السنن الكبرى، 9/ 443، برقم 19031. حكم الألباني: ضعيف 20/ 221 برقم 9649 [↑](#footnote-ref-539)
540. انظر: البقاعي، نظم الدرر 22/ 101 [↑](#footnote-ref-540)
541. الرازي، مفاتيح الغيب 31/ 191 [↑](#footnote-ref-541)
542. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/394 [↑](#footnote-ref-542)
543. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3962 [↑](#footnote-ref-543)
544. فهي مناسبة للفاصلة لتعطي جواً من الهمس والهدوء والحنان. [↑](#footnote-ref-544)
545. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3962 وقد يعطي ذلك دلالة موسيقية هادئة تناسب ذكر الليل وسكونه. [↑](#footnote-ref-545)
546. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 420 [↑](#footnote-ref-546)
547. الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز 527 [↑](#footnote-ref-547)
548. قال الشوكاني:" ويخالف هذه الرواية ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: أنزلت سورة التين بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله". الشوكاني، فتح القدير5/ 566 [↑](#footnote-ref-548)
549. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 420 [↑](#footnote-ref-549)
550. الآلوسي، روح المعاني 15/ 393 [↑](#footnote-ref-550)
551. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 419 [↑](#footnote-ref-551)
552. الخطيب، التفسير القرآني للقرآن ـ (15 / 1612) [↑](#footnote-ref-552)
553. قال سيد قطب:" الحقيقة الرئيسية التي تعرضها هذه السورة هي حقيقة الفطرة القويمة التي فطر الله الإنسان عليها، واستقامة طبيعتها مع طبيعة الإيمان، والوصول بها معه إلى كمالها المقدور لها. وهبوط الإنسان وسفوله حين ينحرف عن سواء الفطرة واستقامة الإيمان..." في ظلاال القران 6/ 3932 [↑](#footnote-ref-553)
554. القسم بالتين هو قسم بأرض التين لا حقيقة التين ولكن فيه إشارة خفية بأن هذه الشجرة شجرة مباركة لأن الله أنبتها في الأراضي المباركة أرض الوحي والنبوة، وجعلها دليلاً على قدرته وحكمته. [↑](#footnote-ref-554)
555. البقاعي، نظم الدرر 22/ 130 [↑](#footnote-ref-555)
556. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/422 [↑](#footnote-ref-556)
557. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 552، المنير للزحيلي4/ 184 [↑](#footnote-ref-557)
558. قال أبوحيان:" ومعنى القسم بهذه الأشياء إبانة شرفها وما ظهر فيها من الخير بسكنى الأنبياء والصالحين ".أبو حيان، البحر المحيط 10/ 503 [↑](#footnote-ref-558)
559. قال ابن عاشور:"ابتداء الكلام بالقسم المؤكد يؤذن بأهمية الغرض المسوق له الكلام، وإطالة القسم تشويق إلى المقسم عليه. ".ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 420 [↑](#footnote-ref-559)
560. سأذكرها في الدلالات. [↑](#footnote-ref-560)
561. أقسم الله سبحانه بهذه المواضع الثلاثة لأنها مهابط وحي الله على أولي العزم من الرسل، ومنها أضاءت الهداية للبشر. [↑](#footnote-ref-561)
562. واذا قُصِدَ من الآيات الأديان الثلاث: النصرانية واليهودية والاسلام فيكون ترتبهم في السورة من حيث الأشرف فالأشرف. [↑](#footnote-ref-562)
563. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/423 [↑](#footnote-ref-563)
564. قال أبو بكر بن طاهر: «تقويم الإنسان عقله وإدراكه اللذان زيناه بالتمييز». التحرير والتنوير 30/423 [↑](#footnote-ref-564)
565. قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والنخعي أي رددناه إلى أرذل العمر، وعلى هذا يكون الاستثناء التالي منقطعاً، وهذا معنى متكلف لأنه غير مناسب لوحدة السورة. قال الألوسي: "والمتبادرُ من السياقِ الإِشارة إلى حالة الكافر يوم القيامة، وأنه يكون على أقبح صورة وأبشعها، بعد أن كان على أحسن صورة وأبدعها". انظر: الآلوسي، روح المعاني 15/ 396 [↑](#footnote-ref-565)
566. قال ابن عاشور: "فالمرضي عند الله هو تقويم إدراك الإنسان ونظره العقلي"التحرير والتنوير 30/ 425 [↑](#footnote-ref-566)
567. الزمخشري، أساس البلاغة1/ 100 [↑](#footnote-ref-567)
568. ابن منظور، لسان العرب 13/ 75 [↑](#footnote-ref-568)
569. المعجم الوسيط 1/ 92 [↑](#footnote-ref-569)
570. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/424 [↑](#footnote-ref-570)
571. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 463، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 434، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/ 112 [↑](#footnote-ref-571)
572. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 463، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 434، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/ 112 [↑](#footnote-ref-572)
573. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-573)
574. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-574)
575. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-575)
576. والحديث فيه ضعف ولكن لم يوصله المحدثون إلى درجة الوضع انظر: صحيح وضعيف الجامع للألباني 3/337 وعزاه إلى ابن السني وأبي نعيم. [↑](#footnote-ref-576)
577. النسفي، تفسير النسفي 3/ 659 [↑](#footnote-ref-577)
578. الشوكاني، فتح القدير 5/ 566. [↑](#footnote-ref-578)
579. الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 210 [↑](#footnote-ref-579)
580. رواه أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس 5/1582، وروى الحاكم برقم 3245 عنه قال: "كان لباس آدم وحواء مثل الظفر، فلما ذاقا الشجرة، جعلا يخصفان عليهما، من ورق الجنة". قال: هو ورق التين.قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح. [↑](#footnote-ref-580)
581. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 421 [↑](#footnote-ref-581)
582. ولكن إذا أخذنا بالقول بأن التين والزيتون هما هاتان الثمرتان ـ لا نجد جامعة بين التين والزيتون، وبين طور سينين والبلد الأمين.. [↑](#footnote-ref-582)
583. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 422 [↑](#footnote-ref-583)
584. الباقلاني، الانتصار 2/799 [↑](#footnote-ref-584)
585. الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 211 [↑](#footnote-ref-585)
586. أي أن التين والزيتون إشارة إلى مواطن نزول الوحي وظهور الدين [↑](#footnote-ref-586)
587. انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز 5/ 345، ابن العربي، أحكام القرآن 4/ 304، [↑](#footnote-ref-587)
588. ابن عاشور، التحرير والتنوير 6/ 118 [↑](#footnote-ref-588)
589. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 1/12 [↑](#footnote-ref-589)
590. مسلم، صحيح الإمام مسلم، 4/ 2154 برقم 2797. [↑](#footnote-ref-590)
591. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 434 [↑](#footnote-ref-591)
592. السيوطي، الدر المنثور 8/ 242 [↑](#footnote-ref-592)
593. الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 9 [↑](#footnote-ref-593)
594. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3938 [↑](#footnote-ref-594)
595. دروزة، التفسير الحديث (1 / 315) [↑](#footnote-ref-595)
596. القاسمي، محاسن التأويل 9/ 513 [↑](#footnote-ref-596)
597. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3938 [↑](#footnote-ref-597)
598. الصابوني، صفوة التفاسير 3/556 [↑](#footnote-ref-598)
599. لم يأت بلفظ الجلالة، لما في لفظ الرب من معنى الذي رباك، ونظر في مصلحتك، وجاء الخطاب ليدل على التأنيس والاختصاص، أي ليس لك رب غيره. [↑](#footnote-ref-599)
600. قرن القراءة بالكتابة، فهو نعمة عظيمة من الله عز وجل، وواسطة للتفاهم بين الناس كالتعبير باللسان ولولا الكتابة لزالت العلوم قال أنس بن مالك: "قيدوا العلم بالكتابة". رواه الطبراني في الكبير قال الهيثمي في مجمع الزوائد681: ورجاله رجال الصحيح. حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الجامع الصغير 17/ 31 [↑](#footnote-ref-600)
601. بعض المفسرين يقسم هذا المقطع إلى مقطعين والذي أراه أنه مقطع واحد. [↑](#footnote-ref-601)
602. تم تخريجه سابقاً. [↑](#footnote-ref-602)
603. قطب، في ظلال القرآن 6/3943 قال السعدي كذلك:" وهذا عام لكل ناه عن الخير ومنهي عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة" تفسير السعدي المسمى تيسير الرحمن 930 [↑](#footnote-ref-603)
604. الشنقيطي، أضواء البيان 9/ 28 [↑](#footnote-ref-604)
605. الفراهيدي، العين 1/ 341 [↑](#footnote-ref-605)
606. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 83، وانظر: ابن منظور، لسان العرب 8/ 156، تاج العروس 21/ 200 [↑](#footnote-ref-606)
607. ابن منظور، لسان العرب 8/ 156 [↑](#footnote-ref-607)
608. الأزهري، تهذيب اللغة 2/ 65 [↑](#footnote-ref-608)
609. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 505 [↑](#footnote-ref-609)
610. مسلم، صحيح مسلم، 4/2145 برقم 2797 [↑](#footnote-ref-610)
611. قال الآلوسي:" واللام في قوله تعالى لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ موطئة للقسم أي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ". الآلوسي، روح المعاني 15/ 408 [↑](#footnote-ref-611)
612. الآلوسي، روح المعاني 15/ 409 [↑](#footnote-ref-612)
613. قال الشنقيطي في أضواء البيان 9/28:" أطلق الناصية وأراد صاحبها على أسلوب لإطلاق البعض وإيراد الكل، وذكر الشواهد عليه القرآن كقوله تعالى: تبت يدا أبي لهب وتب ". [↑](#footnote-ref-613)
614. انظر: القاسمي، محاسن التأويل 9/ 514 [↑](#footnote-ref-614)
615. البقاعي، نظم الدرر 22/170 [↑](#footnote-ref-615)
616. انظر: القاسمي، محاسن التأويل 9/ 514 [↑](#footnote-ref-616)
617. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3943 [↑](#footnote-ref-617)
618. قال ابن منظور:" الوقوف على لنسفعا وعلى وليكونا بالألف، وهذه الألف خلف من النون، والنون الخفيفة أصلها الثقيلة إلا أنها خففت.." ابن منظور، لسان العرب 40/363، قال النويري في شرح الطيبة:" من أحكام الوقف المتفق عليه في القرآن إبدال التنوين من بعد فتح غير هاء التأنيث ألفا، وحذفه بعد ضم وكسر، ومنه إبدال نون التوكيد الخفيفة بعد فتح، وهي: ليكونا [يوسف: 32] ولنسفعا [العلق: 15] ونون إذا [يس: 24] ألفا". النويري، شرح طيبة النشر 2/56 [↑](#footnote-ref-618)
619. الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر 1/22 [↑](#footnote-ref-619)
620. السمين الحلبي، الدر المصون 11/ 60 [↑](#footnote-ref-620)
621. الفراهيدي، العين، 7/ 373 [↑](#footnote-ref-621)
622. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 46 [↑](#footnote-ref-622)
623. الأزهري، تهذيب اللغة 13/ 155 [↑](#footnote-ref-623)
624. الزمخشري، الكشاف 4/779 [↑](#footnote-ref-624)
625. الآلوسي، روح المعاني 15/ 410، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 32/ 226، أبو حيان، البحر المحيط 10 /505 [↑](#footnote-ref-625)
626. قال البقاعي:" إن الحذف دالٌ على تشبيه الفعل بالأمر ليدل على أن هذا الدعاء أمر لا بد من إيقاع مضمونه، ومن إجابة المدعوين إلى ما دعوا إليه، وأن ذلك كله يكون على غاية الإحكام، والاتساق بين خطه ومعناه والانتظام، لا سيما مع التأكيد بالسين، الدال على تحتم الاتحاد والتمكين "البقاعي، نظم الدرر 22/ 172 [↑](#footnote-ref-626)
627. قال الرازي في تفسيره 32/226:".. فلما لم يجترئ الكافر على ذلك دل على ظهور معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم". [↑](#footnote-ref-627)
628. السيوطي، الدر المنثور 8/ 564 [↑](#footnote-ref-628)
629. قال ابن جزي:" ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجرّ إلى القليب" ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 498 [↑](#footnote-ref-629)
630. و حذفت كذلك من الفعل السابق "فليدع" وكأنه يستعجل ما سيفعله تصغيراً له وتحقيراً لناديه. [↑](#footnote-ref-630)
631. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 497 [↑](#footnote-ref-631)
632. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 480، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 465، قال السيوطي في الاتقان 1/54:" سورة العاديات: فيها قولان". [↑](#footnote-ref-632)
633. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 497 [↑](#footnote-ref-633)
634. السيوطي، لباب النقول 215 [↑](#footnote-ref-634)
635. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 19 / 284 قال الهيثمي في مجمع الزوائد (11515 ):" رواه البزار، وفيه حفص بن جميع وهو ضعيف". [↑](#footnote-ref-635)
636. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 497 [↑](#footnote-ref-636)
637. السيوطي، أسرار ترتيب القرآن 1/ 463، الزحيلي، المنير 30/ 366 [↑](#footnote-ref-637)
638. الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (15 / 1653) [↑](#footnote-ref-638)
639. المهذب 1/ 917 [↑](#footnote-ref-639)
640. البخاري، الصحيح الجامع (2849) [↑](#footnote-ref-640)
641. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 498، الزحيلي، المنير 30/ 366، [↑](#footnote-ref-641)
642. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3957 [↑](#footnote-ref-642)
643. انظر: الزحيلي، المنير 30/ 366 [↑](#footnote-ref-643)
644. انظر: البقاعي، نظم الدرر بتصرف كبير 22/ 210 [↑](#footnote-ref-644)
645. الفراهيدي، العين 3/ 110 [↑](#footnote-ref-645)
646. ابن فارس، مقاييس اللغة 3/ 385 [↑](#footnote-ref-646)
647. العاديات هي الجاريات بسرعة. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 527 [↑](#footnote-ref-647)
648. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 480، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 465 [↑](#footnote-ref-648)
649. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 480، ابن كثير 8/ 465 [↑](#footnote-ref-649)
650. السيوطي، الدر المنثور 8/ 601 [↑](#footnote-ref-650)
651. انظر: الصحيح المسبور 4/ 662 [↑](#footnote-ref-651)
652. قال الفراء: الضبح: أصوات أنفاس الخيل إذا عَدَوْنَ. وقال ابن قتيبة: الضبح: صوت حلوقها إذا عَدَتْ. وقال الزجاج: ضبحها: صوت أجوافها إذا عدت. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 481 [↑](#footnote-ref-652)
653. انظر: السيوطي، الدر المنثور 8/ 601 [↑](#footnote-ref-653)
654. قال أبو حيان:" والظاهر أنها الخيل التي يجاهد عليها العدو من الكفار، ولا يستدل على أنها الإبل بوقعة بدر... ثم بعد ذلك لا يكاد يوجد أن الإبل جوهد عليها في سبيل الله " أبو حيان، البحر المحيط 10/ 528. ولكن اقتصاره على الخيل مخلٌّ لعموم اللفظ لاسيما أن لفظ العاديات يحتمل الاثنين كما أن الإبل مما يمكن أن يجاهد عليها ولو بنقل المتاع والسلاح. [↑](#footnote-ref-654)
655. السيوطي، الدر المنثور 8/ 602 قال الحاكم في المستدرك: صحيح على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي في مختصره فقال: لم يحتج البخاري بأبي صخر وأما معاوية البجلي فلا ذكر له في الكتب الستة. [↑](#footnote-ref-655)
656. قال أبو حيان:" وقال أبو عبيدة: الضبح والضبع بمعنى العدو الشديد". أبو حيان، البحر المحيط 10/ 528. [↑](#footnote-ref-656)
657. وجاء في تاج العروس: الضبح نفس الخيل والإبل إذا أعيت. تاج العروس 6/ 562 [↑](#footnote-ref-657)
658. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 499 [↑](#footnote-ref-658)
659. انظر: تغني العرب بالخيل والإبل في كتاب الزهرة للأصبهاني [↑](#footnote-ref-659)
660. انظر: الزمخشري، الكشاف 4/ 786، أبو حيان، البحر المحيط 10/ 528، [↑](#footnote-ref-660)
661. البخاري، الصحيح الجامع (2849) [↑](#footnote-ref-661)
662. الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزير، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي. ص 378. ولم أجده في ديوانه. [↑](#footnote-ref-662)
663. الكتاني، أبو عبد الله محمد بن الحسن الكتاني الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، المحقق: إحسان عباس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة: 2، 1981 م، صفحة 188. [↑](#footnote-ref-663)
664. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/67 [↑](#footnote-ref-664)
665. الأزهري، تهذيب اللغة 4/21 [↑](#footnote-ref-665)
666. والإيراء: إخراج النار، أي تقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار لصك بعض الحجارة بعضا. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 481 [↑](#footnote-ref-666)
667. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 481، السيوطي، الدر المنثور 8/ 600 [↑](#footnote-ref-667)
668. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 481، السيوطي، الدر المنثور 8/ 600 [↑](#footnote-ref-668)
669. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-669)
670. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-670)
671. الطبري، جامع البيان 12/ 669 [↑](#footnote-ref-671)
672. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/ 471 [↑](#footnote-ref-672)
673. انظر: تاج العروس 22/ 271 [↑](#footnote-ref-673)
674. الرازي، مفاتيح الغيب 32/260 [↑](#footnote-ref-674)
675. الزمخشري، الكشاف 4/ 787 [↑](#footnote-ref-675)
676. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 501 [↑](#footnote-ref-676)
677. أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 505 [↑](#footnote-ref-677)
678. ابن فارس، مقاييس اللغة 5/ 140 [↑](#footnote-ref-678)
679. ابن منظور، لسان العرب 3/ 159 [↑](#footnote-ref-679)
680. معجم اللغة العربية المعاصرة 3/1962 [↑](#footnote-ref-680)
681. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 467 [↑](#footnote-ref-681)
682. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 467 [↑](#footnote-ref-682)
683. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 502 [↑](#footnote-ref-683)
684. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/ 161 [↑](#footnote-ref-684)
685. الفراهيدي، العين 3/ 116 [↑](#footnote-ref-685)
686. ابن فارس، مقاييس اللغة 2/ 68 [↑](#footnote-ref-686)
687. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم / 467 [↑](#footnote-ref-687)
688. البيضاوي، تفسير البيضاوي 5/ 331 [↑](#footnote-ref-688)
689. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 530، الحلبي، الدر المصون 11/ 91 [↑](#footnote-ref-689)
690. الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 264 [↑](#footnote-ref-690)
691. لا بد أن أسجل نقطة هنا وهي أن الفرائد اللفظية في السور الأخرى ليست كلها متعددة المعاني بل أكثرها معناها واضح لا يحتمل معنى آخر إلا بوجه ضعيف، بخلاف الفرائد في هذه السورة إذ تحديد معناها لا بد أن يأتي من سياق السورة، وهي في الوقت نفسه تؤثر في تشكيل الوحدة الكلية للسورة فالعلاقة تبادلية بين المفردات ومحور السورة، ولذلك أطلت النفس في إيجاد العلاقات في هذه السورة بالذات. [↑](#footnote-ref-691)
692. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/ 187 [↑](#footnote-ref-692)
693. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 543 [↑](#footnote-ref-693)
694. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 543 [↑](#footnote-ref-694)
695. انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن 16/ 1675 [↑](#footnote-ref-695)
696. الآلوسي، روح المعاني 14/ 464. [↑](#footnote-ref-696)
697. التعريف بسور المصحف 8/1 [↑](#footnote-ref-697)
698. السعدي، تيسير الرحمن 934 [↑](#footnote-ref-698)
699. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/483 [↑](#footnote-ref-699)
700. انظر: البقاعي، نظم الدرر 22/249، ابن عاشور، التحرير والتنوير (30 / 543)، التفسير المنير 30/410 [↑](#footnote-ref-700)
701. النيسابوري، غرائب القرآن 6/566 [↑](#footnote-ref-701)
702. افتتحت سورة الشرح بـاستفهام كذلك (ألم نشرح).. [↑](#footnote-ref-702)
703. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 544 [↑](#footnote-ref-703)
704. الماوردي، أعلام النبوة 207، قال الرازي:" واعلم أن قصة الفيل واقعة على الملحدين جدا، لأنهم ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق وسائر الأشياء التي عذب الله تعالى بها الأمم أعذارا ضعيفة، أما هذه الواقعة فلا تجري فيها تلك الأعذار، لأنها ليس في شيء من الطبائع والحيل أن يقبل طير معها حجارة.. " الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 289 [↑](#footnote-ref-704)
705. انظر: الصابوني، صفوة التفسير 3/ 579 [↑](#footnote-ref-705)
706. تفسير أبي السعود 9/ 200 [↑](#footnote-ref-706)
707. قال البقاعي:" وفي تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالخطاب والتعبير بالرب مع التشريف له والإشارة بذكره التعريض بحقارة الأصنام التي سموها أربابا لهم"البقاعي، نظم الدرر 22/ 251 [↑](#footnote-ref-707)
708. وقد ناقش سيد قطب قضية طرحها الاستاذ محمد عبده وهي: هل الطيور كانت طيوراً حقيقة تحمل الحجارة أم هي حشرات تحمل الجراثيم والميكروبات؟ فرأى أن كليهما محتمل وأن ليس أحدهما بأدل على قدرة الله من الآخر فلله جند من كل شيء. ولكنه مال بعد ذلك إلى التفسير المشهور.انظر: فى ظلال القرآن (6 / 3974) [↑](#footnote-ref-708)
709. أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة (حجارة من سجيل) قال: هي من الطين.جامع البيان24/ 608 [↑](#footnote-ref-709)
710. أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة (كعصف مأكول) قال: هو التبن. جامع البيان 24/ 615 [↑](#footnote-ref-710)
711. أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قال:... فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله عز وجل كعصف مأكول، قال: فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة، فجعل كلما قدم أرضا تساقط بعض لحمه، حتى أتى قومه. فأخبرهم الخبر ثم هلك". وله شاهد ذكره الحافظ ابن حجر عن ابن مردويه بسند حسن عن عكرمة عن ابن عباس نحوه مختصراً. انظر: فتح الباري 12/207 [↑](#footnote-ref-711)
712. قطب، في ظلال القرآن 6/ 3980 [↑](#footnote-ref-712)
713. وقد يظن بأن كلمة "أبابيل" مما لم تتكرر اشتقافاتها في القرآن، ولكن أصلها من (أبل)، وقد تكلمت عن ذلك سابقاً. ولكني مع ذلك قمت بإيجاد العلاقة بينها وجو السورة. [↑](#footnote-ref-713)
714. الفراهيدي، العين 8/335، ابن منظور، لسان العرب 11/534 [↑](#footnote-ref-714)
715. الزمخشري، أساس البلاغة 2/ 44 [↑](#footnote-ref-715)
716. المعجم الوسيط 2/709 [↑](#footnote-ref-716)
717. انظر: مفردات القرآن 1/649 [↑](#footnote-ref-717)
718. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 547 قال ابو حيان 10/543: "الفيل أكبر ما رأيناه من وحوش البر يجلب إلى ملك مصر، ولم تره بالأندلس بلادنا" [↑](#footnote-ref-718)
719. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 547 بتصرف [↑](#footnote-ref-719)
720. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/544 بتصرف [↑](#footnote-ref-720)
721. انظر: مفاتيح الغيب 32/ 289 [↑](#footnote-ref-721)
722. الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 290 [↑](#footnote-ref-722)
723. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 290 [↑](#footnote-ref-723)
724. انظر: ابن منظور، لسان العرب 11/ 5-8، وانظر: مفردات القرآن للراغب 1/60 [↑](#footnote-ref-724)
725. انظر: ابن منظور، لسان العرب 11/ 5-8، وانظر: مفردات القرآن للراغب 1/60 [↑](#footnote-ref-725)
726. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/550 [↑](#footnote-ref-726)
727. قال الحافظ ابن حجر: وعند الطبري بسند صحيح عن عكرمة أنها كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع، انظر: فتح الباري 12/207. [↑](#footnote-ref-727)
728. فتناسب غرابة لفظ الفيل ولفظ" الطير الأبابيل" وغرابة كل منهما وعدم المعرفة به. [↑](#footnote-ref-728)
729. خاصة أنها مقترنة بكلمة ( طيراً ) المنكرة. [↑](#footnote-ref-729)
730. فتناسب غرابة لفظ الفيل ولفظ" الطير الأبابيل" وغرابة كل منهما وعدم المعرفة به. [↑](#footnote-ref-730)
731. الزحيلي، المنير 30/ 412 [↑](#footnote-ref-731)
732. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 553 [↑](#footnote-ref-732)
733. البقاعي، مصاعد النظر 3/ 250 [↑](#footnote-ref-733)
734. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 493 [↑](#footnote-ref-734)
735. ابن عطية، المحرر الوجيز 5/ 525 [↑](#footnote-ref-735)
736. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 493 [↑](#footnote-ref-736)
737. دروزة، التفسير الحديث (2 / 167) [↑](#footnote-ref-737)
738. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 553 [↑](#footnote-ref-738)
739. الطبراني، المعجم الكبير (18 / 145) (20432 ) قال ابن كثير: وهو حديث غريب. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 491. حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الجامع الصغير 16/ 304 برقم 7657 [↑](#footnote-ref-739)
740. انظر: السيوطي، أسرار ترتيب القرآن 1/ 168، الخطيب، الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (15 / 1680)، المنير في التفسير 30/ 412 [↑](#footnote-ref-740)
741. انظر: المراغي، تفسير المراغي (30 / 244) [↑](#footnote-ref-741)
742. انظر: حجازي، التفسير الواضح 3 / 907. بتصرف. [↑](#footnote-ref-742)
743. الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز 1/ 545 [↑](#footnote-ref-743)
744. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 554، الجزائري، أيسر التفاسير 5/ 619 [↑](#footnote-ref-744)
745. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 554 [↑](#footnote-ref-745)
746. انظر: البقاعي، نظم الدرر 22/ 269 [↑](#footnote-ref-746)
747. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 581، الزحيلي، المنير 30/ 414، بتصرف [↑](#footnote-ref-747)
748. قال الخليل بن أحمد فمعنى الآية: لأن فعل الله بقريش هذا ومكنهم من الفهم هذه النعمة لْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ. ابن عطية، المحرر الوجيز 5/525 [↑](#footnote-ref-748)
749. أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة (لإيلاف قريش) قال: عادة قريش عادتهم رحلة الشتاء والصيف. وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) قال: إيلافهم ذلك فلا يشقّ عليهم رحلة شتاء ولا صيف. انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور 4/ 671 [↑](#footnote-ref-749)
750. أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الذي أطعمهم من جوع) قال: يعني: قريشا أهل مكة بدعوة إبراهيم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيث قال (وارزقهم من الثمرات). وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد [ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ] {قريش:4} قال: آمنهم من كل عدوّ في حرمهم. انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور 4/ 671 [↑](#footnote-ref-750)
751. الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 298 [↑](#footnote-ref-751)
752. انظر: الزمخشري، أساس البلاغة 2/ 68. [↑](#footnote-ref-752)
753. انظر: ابن منظور، لسان العرب 6/ 335 [↑](#footnote-ref-753)
754. انظر: ابن جزي، التسهيل 2/ 514. [↑](#footnote-ref-754)
755. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 494، التسهيل لابن جزي 2/ 514، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/ 203، الآلوسي، روح المعاني 15/ 471 [↑](#footnote-ref-755)
756. قال ابن عاشور:" وقريش: لقب الجد الذي يجمع بطونا كثيرة وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. هذا قول جمهور النسابين وما فوق فهر فهم من كنانة" ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 556. [↑](#footnote-ref-756)
757. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 494، التسهيل لابن جزي 2/ 514، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/ 203، الآلوسي، روح المعاني 15/ 471 [↑](#footnote-ref-757)
758. المراجع نفسها [↑](#footnote-ref-758)
759. الهيثمي، مجمع الزوائد 9/159 [↑](#footnote-ref-759)
760. باستثناء المعنى الرابع لغرابته، وليس فيه مدح لهم. [↑](#footnote-ref-760)
761. انظر: البقاعي، نظم الدرر 22/ 259 [↑](#footnote-ref-761)
762. قال ابراهيم السامرائي:" الإيلاف بهذه الخصوصية من الكلم الخاص ذات الفائدة التاريخية، لصلتها بأحداث خاصّة في حقبة معينة". من بديع لغة التنزيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 244. [↑](#footnote-ref-762)
763. انظر: الزمخشري، الكشاف 4/ 802 [↑](#footnote-ref-763)
764. انظر: البقاعي، نظم الدرر 22/ 262 [↑](#footnote-ref-764)
765. انظر: البقاعي، نظم الدرر 22/ 263 [↑](#footnote-ref-765)
766. ابن منظور، لسان العرب 14/ 421 [↑](#footnote-ref-766)
767. ابن منظور، لسان العرب 14/ 421 [↑](#footnote-ref-767)
768. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 491 [↑](#footnote-ref-768)
769. ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 491 [↑](#footnote-ref-769)
770. ابن عطية، المحرر الوجيز 5/525 [↑](#footnote-ref-770)
771. انظر: البقاعي، نظم الدرر 22/ 265 بتصرف [↑](#footnote-ref-771)
772. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 557 [↑](#footnote-ref-772)
773. ابن منظور، لسان العرب 9/ 201، تاج العروس 24/ 45 [↑](#footnote-ref-773)
774. ممكن أن أقعد قاعدة هنا فأقول: يتناسب تفرد الموضوع –واقعياً- بأمر ما مع تفرد السورة بالمصطلح الخاص به. وكأنَّ جو السورة يحاكي الواقع بألفاظه وأصواته وتفرداته. [↑](#footnote-ref-774)
775. المقصود أن لفظي الشتاء والصيف فيهما دلالة على الزمان وعلى المكان. [↑](#footnote-ref-775)
776. قد يكون بعض المسائل الفرعية كجمع الصلاتين بسبب المطر أو عدم رؤية الهلال بسبب الغيم، لها علاقة ضعيفة. [↑](#footnote-ref-776)
777. ابن عاشور، التحرير والتنوير )571/30) [↑](#footnote-ref-777)
778. انظر: الكشاف (807/4)، التحرير والتنوير (572/30) [↑](#footnote-ref-778)
779. التفسير الحديث 2/ 11 [↑](#footnote-ref-779)
780. انظر: الكشاف (807/4)، التحرير والتنوير (572/30) [↑](#footnote-ref-780)
781. وانظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (8953)، تفسير ابن أبي حاتم (5479 )، تفسير القرآن العظيم ج4 ص559 [↑](#footnote-ref-781)
782. مصنف ابن أبي شيبة (11 / 508) (32456). واسناده حسن مرسل. [↑](#footnote-ref-782)
783. انظر: "مفاتيح الغيب"، للرازي "8/ 700، وانظر: "نظم الدرر 8/ 547" وما بعده، التفسير القرآني للقرآن ـ - (15 / 1689) [↑](#footnote-ref-783)
784. انظر: السيوطي، أسرار ترتيب القرآن (169/1) [↑](#footnote-ref-784)
785. انظر: صفوة التفاسير بتصرف (169/1) [↑](#footnote-ref-785)
786. انظر: تفسير ابن عثيمين 335 [↑](#footnote-ref-786)
787. انظر: نظم الدرر(287/22)، مصاعد النظر (255/3)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (572/30)، بصائر ذوي التمييز (547/1). [↑](#footnote-ref-787)
788. و قال البقاعي: "مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون، واسمها الكوثر واضح في ذلك وكذا النحر لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب" نظم الدرر (238/1) [↑](#footnote-ref-788)
789. قطب، في ظلال القرآن 6/3987 [↑](#footnote-ref-789)
790. قطب، في ظلال القرآن 6/3987 [↑](#footnote-ref-790)
791. نظم الدرر 22/ 288 [↑](#footnote-ref-791)
792. الفرق بين أعطيناك وآتيناك أن أعطيناك أي خولناك مع التمكين العظيم، أما آتيناك، فهي من الإيتاء وأصله الإحضار وقد لا يكون مع التمليك. انظر: نظم الدرر 22/ 288 [↑](#footnote-ref-792)
793. انظر: نظم الدرر (292/22)، بتصرف [↑](#footnote-ref-793)
794. لسان العرب 5/195، تاج العروس (184/14) [↑](#footnote-ref-794)
795. انظر هذه الأقوال: تفسير الرازي 28/ 194، تفسير القرآن العظيم 8/504 [↑](#footnote-ref-795)
796. انظر: لسان العرب 5/195 [↑](#footnote-ref-796)
797. انظر: لسان العرب 4/37، تاج العروس(99/10) [↑](#footnote-ref-797)
798. انظر: تفسير الطبري (131/5)، تفسير القرآن العظيم (504/ 8)، تفسير القرطبي (222/20)، روح المعاني (63/1) [↑](#footnote-ref-798)
799. الأصفهاني، مفردات القرآن،(1117/1) [↑](#footnote-ref-799)
800. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (575/30)، بتصرف [↑](#footnote-ref-800)
801. ابن عاشور، التحرير والتنوير (576/30)، بتصرف [↑](#footnote-ref-801)
802. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 599، السيوطي، الإتقان 1/ 196، [↑](#footnote-ref-802)
803. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 599 [↑](#footnote-ref-803)
804. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 599 [↑](#footnote-ref-804)
805. البخاري، صحيح البخاري 4770، مسلم، صحيح مسلم 2927 [↑](#footnote-ref-805)
806. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 10/ 570 [↑](#footnote-ref-806)
807. البقاعي، نظم الدرر 22/ 327 [↑](#footnote-ref-807)
808. الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز 1/ 552 [↑](#footnote-ref-808)
809. قطب، في ظلال القرآن 6/ 4001 [↑](#footnote-ref-809)
810. قال الرازي:" هذه الآيات تضمنت الإخبار عن الغيب من ثلاثة أوجه أحدها: الإخبار عنه بالتباب والخسار، وقد كان كذلك وثانيها: الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده، وقد كان كذلك..."الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 352 [↑](#footnote-ref-810)
811. الشنقيطي، أضواء البيان 9/ 145 [↑](#footnote-ref-811)
812. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 600 [↑](#footnote-ref-812)
813. قطب، في ظلال القرآن 6/ 4001 [↑](#footnote-ref-813)
814. قطب، في ظلال القرآن 6/4001 [↑](#footnote-ref-814)
815. الصابوني، صفوة التفاسير 3/593 [↑](#footnote-ref-815)
816. في كتاب صفوة التفاسير مكتوب:"جناس مرسل" وأظنه سبق قلم فالصحيح مجاز مرسل، وهو يكرر هذا المصلح" المجاز المرسل" كثيراً وهنا سبق قلم. [↑](#footnote-ref-816)
817. البقاعي، نظم الدرر 22/ 329، بتصرف [↑](#footnote-ref-817)
818. قال الآلوسي:" أو لأنه كما روي عن مقاتل كان يكنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما فذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك، أو لتجانس ذات لهب ويوافقه لفظا ومعنى". الآلوسي، روح المعاني 15/ 497 [↑](#footnote-ref-818)
819. انظر هذه الروايات: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/ 240، الآلوسي، روح المعاني 15/ 500 [↑](#footnote-ref-819)
820. الآلوسي، روح المعاني 15/500 [↑](#footnote-ref-820)
821. الزبيدي، تاج العروس 7/ 539 [↑](#footnote-ref-821)
822. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 606 [↑](#footnote-ref-822)
823. السهيلي، الروض الأنف 3/ 185 [↑](#footnote-ref-823)
824. انظر: روح المعاني 15/ 501 [↑](#footnote-ref-824)
825. انظر: مفردات القرآن 1/ 768، بصائر ذوي التمييز 4/ 507، ابن منظور، لسان العرب 3/ 403، تاج العروس 2/ 292، الزمخشري، الفائق في غريب الحديث 3/ 366. [↑](#footnote-ref-825)
826. ابن منظور، لسان العرب 3/ 403 [↑](#footnote-ref-826)
827. بصائر ذوي التمييز 4/ 507 [↑](#footnote-ref-827)
828. انظر: تفسير الطبري 24/ 681، الزمخشري، الكشاف 4/ 815، تفسير القرآن العظيم 8/ 516، تفسير القرطبي 20/ 243، الآلوسي، روح المعاني 15/ 500 [↑](#footnote-ref-828)
829. انظر: الزمخشري، الكشاف 4/ 817، الآلوسي، روح المعاني 15/ 501 [↑](#footnote-ref-829)
830. انظر: الزمخشري، الكشاف 4/ 817، الآلوسي، روح المعاني 15/ 501 [↑](#footnote-ref-830)
831. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 609 [↑](#footnote-ref-831)
832. الترمذي، سنن الترمذي 5 /167، بَابُ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ [↑](#footnote-ref-832)
833. السيوطي، الإتقان 4/ 819 [↑](#footnote-ref-833)
834. الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 358 [↑](#footnote-ref-834)
835. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 609 [↑](#footnote-ref-835)
836. الترمذي، السنن 5/ 451 برقم 3364، حكم الألباني: حسن [↑](#footnote-ref-836)
837. انظر: الطبري، جامع البيان 24/ 695، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 518 [↑](#footnote-ref-837)
838. ولم يذكر الوادعي لها سبب نزول كذلك في الصحيح المسند [↑](#footnote-ref-838)
839. الرازي، مفاتيح الغيب 32 / 357 [↑](#footnote-ref-839)
840. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية 12/ 305، تفسير ابن عاشور 30/ 611 [↑](#footnote-ref-840)
841. الأحاديث الثابتة في فضائل سور وآيات القرآن 49 [↑](#footnote-ref-841)
842. البقاعي، نظم الدرر 22/ 394 [↑](#footnote-ref-842)
843. شرف الدين، الموسوعة القرآنية 12/ 305. [↑](#footnote-ref-843)
844. قال الإمام الغزالي في جواهر القرآن: "مقاصد القرآن ستة: ثلاثة مهمة، وثلاثة متمة. فالمهمة: معرفة الله تعالى، ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم". جواهر القرآن 1/ 78 [↑](#footnote-ref-844)
845. انظر: حوى، الأساس في التفسير 11/ 6750 [↑](#footnote-ref-845)
846. قطب، في ظلال القرآن 6/ 4003 [↑](#footnote-ref-846)
847. استخلصت هذه الأفكار من التفاسير وعبرت عنها بعباراتي [↑](#footnote-ref-847)
848. البقاعي، نظم الدرر 22/ 383 [↑](#footnote-ref-848)
849. البقاعي، نظم الدرر 22/ 390 [↑](#footnote-ref-849)
850. \* انظر الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 366 [↑](#footnote-ref-850)
851. تاج العروس 8/ 295، ابن منظور، لسان العرب 12/ 543 [↑](#footnote-ref-851)
852. ابن قتيبة، غريب القرآن 542 [↑](#footnote-ref-852)
853. العسكري، الفروق اللغوية 181 [↑](#footnote-ref-853)
854. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 617 [↑](#footnote-ref-854)
855. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 571 [↑](#footnote-ref-855)
856. أبو حيان، البحر المحيط 10/ 571 [↑](#footnote-ref-856)
857. البقاعي، نظم الدرر 22/ 378 [↑](#footnote-ref-857)
858. البقاعي، نظم الدرر 22/ 375 [↑](#footnote-ref-858)
859. الزمخشري، الكشاف 4/ 818 [↑](#footnote-ref-859)
860. الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 363 [↑](#footnote-ref-860)
861. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 617 [↑](#footnote-ref-861)
862. ابن منظور، لسان العرب 1/ 139 [↑](#footnote-ref-862)
863. الأصفهاني، مفردات القرآن 718 [↑](#footnote-ref-863)
864. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 365 [↑](#footnote-ref-864)
865. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 365 [↑](#footnote-ref-865)
866. انظر: الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر 607، الكنز في القراءات العشر 2/726، وانظر: النويري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر 1/526 [↑](#footnote-ref-866)
867. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 620 [↑](#footnote-ref-867)
868. الرازي، مفاتيح الغيب 32/ 365 [↑](#footnote-ref-868)
869. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 620 [↑](#footnote-ref-869)
870. الزمخشري، الكشاف 4/ 418 [↑](#footnote-ref-870)
871. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 620 [↑](#footnote-ref-871)
872. انظر: الاتقان 1/297، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 20/251 [↑](#footnote-ref-872)
873. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير 4/ 507 [↑](#footnote-ref-873)
874. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 624 [↑](#footnote-ref-874)
875. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 624 [↑](#footnote-ref-875)
876. انظر: تفسير البغوي 5/ 333 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 538، و الطبقات الكبرى لابن سعد (1792)، الآلوسي، روح المعاني 15/ 521. وأصل حديث سحر النبي عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري. [↑](#footnote-ref-876)
877. انظر الصحيح المسند من أسباب النزول ص 239 [↑](#footnote-ref-877)
878. مسلم، صحيح مسلم 1/558 برقم 265 [↑](#footnote-ref-878)
879. انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 16/ 1716بتصرف [↑](#footnote-ref-879)
880. انظر: السيوطي، أسرار ترتيب القرآن 1/ 173 [↑](#footnote-ref-880)
881. انظر: دروزة، التفسير الحديث (2 / 45)، حوى، الأساس في التفسير 11/ 6760 [↑](#footnote-ref-881)
882. البقاعي، نظم الدرر 22/ 406 [↑](#footnote-ref-882)
883. انظر: الزحيلي، المنير 30/ 475، بتصرف [↑](#footnote-ref-883)
884. قطب، التصوير الفني ص 44 [↑](#footnote-ref-884)
885. انظر: الصابوني، صفوة التفاسير 3/ 598، التفسير المنير للزحيلي 30/ 473 [↑](#footnote-ref-885)
886. انظر: البقاعي، نظم الدرر 2/ 85، تفسير أبي السعود 10/ 214، حجازي، التفسير الواضح 3/ 921 [↑](#footnote-ref-886)
887. عن ابن عباس: {الفلق} الصبح. وروي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعن ابن عباس: {الفلق} الخلق. وكذا قال الضحاك. قال ابن كثير:" قال ابن جرير: والصواب القول الأول، أنه فلق الصبح. وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري، رحمه الله، في صحيحه" ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 535 [↑](#footnote-ref-887)
888. قال مجاهد: غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس. وعن الحسن، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 535 [↑](#footnote-ref-888)
889. قال ابن جرير الطبري:" أي: ومن شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها، وبه قال أهل التأويل، فعن مجاهد: الرقي في عقد الخيط. وعن طاوس: ما من شيء أقرب إلى الشرك من رقية المجانين، ومثله عن قتادة والحسن". الطبري، جامع البيان 24/ 704 [↑](#footnote-ref-889)
890. ابن منظور، لسان العرب 1/ 801، تاج العروس 4/ 356، بصائر ذوي التمييز 4/ 132 [↑](#footnote-ref-890)
891. الأصفهاني، مفردات القرآن 879 [↑](#footnote-ref-891)
892. قال ابن عاشور:" والغاسق: وصف الليل إذا اشتدت ظلمته...وتنكير غاسق للجنس لأن المراد جنس الليل. وتنكير غاسق في مقام الدعاء يراد به العموم لأن مقام الدعاء يناسب التعميم" ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 627 [↑](#footnote-ref-892)
893. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 8/ 535 [↑](#footnote-ref-893)
894. رواه الترمذي عن عائشة، رضي الله عنها قالت: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، فأراني القمر حين يطلع، وقال: "تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب". سنن الترمذي 5/ 452 برقم 3366. حكم الألباني: حسن صحيح [↑](#footnote-ref-894)
895. الشوكاني، فتح القدير 5/ 640 [↑](#footnote-ref-895)
896. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/ 627، بتصرف [↑](#footnote-ref-896)
897. ابن عاشور، التحرير والتنوير 30/627 [↑](#footnote-ref-897)
898. البقاعي، نظم الدرر 22/ 410، [↑](#footnote-ref-898)
899. انظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 478 بتصرف [↑](#footnote-ref-899)
900. انظر: ابراهيم السامرائي، «من بديع لغة التنزيل»، مؤسسة الرسالة، بيروت. ص 348 [↑](#footnote-ref-900)
901. انظر: ابن منظور، لسان العرب 2/ 195 [↑](#footnote-ref-901)
902. الزبيدي، تاج العروس 5/ 373 [↑](#footnote-ref-902)
903. الأصفهاني، مفردات القرآن 819 [↑](#footnote-ref-903)
904. السيوطي، الدر المنثور 8/ 690 [↑](#footnote-ref-904)
905. النسائي، السنن الكبرى، 3/ 449 برقم 3528، حكم الألباني: ضعيف [↑](#footnote-ref-905)
906. الشوكاني، فتح القدير 5/ 640 [↑](#footnote-ref-906)
907. انظر: عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 16/ 1724 [↑](#footnote-ref-907)
908. قال السمين الحلبي في الدر المصون:" النفاثات: جمع نَفَّاثَة مثالُ مبالغةٍ من نَفَثَ" الدر المصون 11/ 159 [↑](#footnote-ref-908)
909. البقاعي، نظم الدرر 22/ 411 [↑](#footnote-ref-909)
910. ذكر أبو حيان في البحر المحيط في هذه المفردة عدة قراءات: حيث قرأ الحسن «النُّفَّاثات» بضم النون، وهي اسم كالنفاخة. ويعقوب وعبد الله بن القاسم «النافثات» وهي محتملة لقراءة العامة، والحسن أيضاً وأبو الربيع «النفثات» دون ألف. البحر المحيط 10/ 576 [↑](#footnote-ref-910)
911. البخاري، الصحيح الجامع، 1/ 25 برقم 73. [↑](#footnote-ref-911)
912. انظر: أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة. وقال السمين الحلبي:" ونكِّر غاسقاً وحاسداً لأنه قد يتخلف الضرر فيهما. فالتنكير يفيد التبعيض. وعرف النفاثات: إما للعهد كما يروى في التفسير، وإما للمبالغة في الشر" الدر المصون 11/ 159. [↑](#footnote-ref-912)
913. انظر: عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 16/ 1724 [↑](#footnote-ref-913)
914. فالفلق يفلق ما عقد له من سحر قال ابن عجيبة:" وفي تعليق العياذ بالرب، المضاف إلى الفلق، المنبىء عن النور بعد الظلمة، وعن السعة بعد الضيق، والفتق بعد الرتَق، عِدَة كريمة بإعاذة العامة مما يتعوّذ منه، وإنجائه منه وفَلْق ما عقد له من السحر وانحلاله عنه"البحر المديد 7/ 373. [↑](#footnote-ref-914)
915. وأرى مثل ذلك في الحسد فهو خروج شعاع أو شيء ما من عين الحاسد لتصيب المحسود، وعلى ذلك فمعنى الفلق متكرر في كل آية من الآيات الخمس. والاستعاذة بفالق كل شيء من شر من يخرج من العباد. [↑](#footnote-ref-915)
916. وأرى أن المفردة قد جاءت على صيغة المبالغة لتوهين عمل السحرة وكأن عملكم أيها السحرة مهما اجتهدتم في عقده والنفث فيه فإن الله يزيله ويذهبه. [↑](#footnote-ref-916)
917. ولذلك سُنَّ للمسلم أن يحصن نفسه بالمعوذات في كل صباح ومساء. [↑](#footnote-ref-917)
918. قال الماوردي في أعلام النبوة:" والوجه الرابع: من إعجازه كثرة معانيه التي لا يجمعها كلام البشر وذلك من وجهين: أحدهما: ما يجمعه قليل الكلام من كثير المعاني..والثاني: أن ألفاظه تحتمل معاني متغايرة تحار فيها العقول وتذهل فيها الخواطر وتكل فيها القرائح ثم لا تبلغ أقصاه ولا تدرك منتهاه حتى اختلفت فيه الوجوه وتقابلت فيه النظائر"الماوردي، أعلام النبوة 78 [↑](#footnote-ref-918)
919. قال سيد قطب "فلكل سورة شخصيتها وملامحها ومحورها وطريقة عرضها لموضوعها الرئيس، والمؤثرات الموحية المصاحبة للعرض، والصور والظلال والجوّ الذي يظللها، والعبارات الخاصة التي تتكرر فيها وتكون أشبه باللوازم المطردة فيها، حتى وهي تتناول موضوعاً واحداً أو موضوعات متقاربة، فليس الموضوع هو الذي يرسم شخصية السورة ولكنه هذه الملامح والسمات الخاصة بها"قطب، في ظلال القرآن 2/ 1015 [↑](#footnote-ref-919)